خطب

الأطرم المنبرية

ح دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع الرياض ١٤٣٣هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الأطرم، صالح عبدالرحمن

خطب المنبرية/

صالح عبدالرحمن الأطرم؛ عبدالرحمن صالح الأطرم

الرياض ١٤٣٣هـ

٤٩٢صفحة ١٧×٢٤

ردمك: ٥-١٨-٨١٢٤-٦٠٣-٩٧٨

١. الخطب الدينية   ٢. الوعظ والإرشاد

أ- الأطرم، عبدالرحمن صالح (محقق)   ب. العنوان

ديوي ٢١٣   ١٤٣٣/٩٦٩٨

رقم الإيداع: ١٤٣٣/٩٦٩٨هـ

ردمك: ٥-١٨-٨١٢٤-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية ص.ب ٢٧٢٦١ الرياض ١١٤١٧

هاتف: ٤٩١٤٧٧٦- ٤٩٦٨٩٩٤فاكس: ٤٤٥٣٢٠٣

E-mail: eshbelia@hotmail.com

الخطب المنبرية

تأليف

الشيخ الدكتور/ صالح بن عبدالرحمن بن عبدالله الأطرم

(١٣٥٣-١٤٢٨هـ)

- رحمه الله -

اعتنى به مراجعة وتصحيحاً

ابنه

عبدالرحمن بن صالح الأطرم

تلميذه

مخلد بن عقل الرزيني المطيري

دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

نبذة عن حياة المؤلف

بقلم تلميذه: مخلد بن عقل الرزيني المطيري

نسبه:

هو العلامة الفقيه المدقق صاحب الفضيلة : صالح بن عبدالرحمن بن عبدالله بن محمد الأطرم ، ويرجع نسب أسرته إلى الأساعدة من قبيلة عتيبة القبيلة المشهورة.

مولده : ولد في الحاذية من قرية علقة في مدينة الزلفي سنة ١٣٥٣هـ للهجرة النبوية، وإن كان تسجيل ولادته في الوثائق الرسمية عام ١٣٥٠هـ.

نشأته :

نشأ في رعاية والده وفقد بصره سنة ١٣٥٩هـ بسبب وباء الجدري وتوفيت والدته سنة ١٣٦٤هـ.

تعليمه :

قرأ القرآن الكريم على الشيخ أحمد بن عبدالرحمن العيد حتى أكمل ثلاثة أجزاء منه وكان بصحبة أخيه حمود الذي يكبره سناً (المتوفى في ١٢/ ٧/ ١٤١٦هـ، بسبب مرض لازمه عدة سنوات رحمه الله تعالى). والتحق بالمدرسة التي أسسها محمد بن عبدالله السعد المنيفي، وأكمل حفظ القرآن على الشيخ محمد العمر.

قال رحمه الله عن نفسه يصف طلبه للعلم..: «بدأت الاتصالات مع بعض الذين ذهبوا إلى الرياض ، والذين كانت لهم جلسات مع الشيخ سليمان بن عبيد ومحمد بن سليمان الذييب ، وكان لبعض المشايخ تأثير علي في حفظ بعض المتون كـ (ثلاثة الأصول) على تأليفها الحالي ، أما رؤوس المسائل فقد تلقيتها على يد الشيخ محمد

اللحيدان ، الذي كان يدور على مساجد الزلفي آنذاك لتعليم الناس مسائل الدين ، وكان من أشد من أثر علي في الشروع في حفظ المتون الشيخ قاسم بن فالح الصغير ، حيث رغبني في الانتقال للرياض ، حيث لم يدر في خلدي المجيء للرياض؛ لأنني في دبرة الوالد وكنت قد استسغت فكرة الذهاب للرياض ، إلا أن الوالد لا يريدني أن أذهب بمفردي ، وقد دار ذلك الحديث في مجمع من كبار السن ، منهم عبدالرحمن بن زيد العامر ، فقال لوالدي : أنا أذهب معه وألازمه ولا أتركه حتى أطمئن عليه ، فانقاد الوالد لذلك.

وبالفعل انتقلت إلى الرياض بصحبة عبدالرحمن بن زيد العامر ، الذي بدوره أوصى علي من سبقوني بالمجيء إلى الرياض ، لاسيما الشيخ علي بن سليمان الرومي، والشيخ سليمان بن محمد العطيوي ، والشيخ فهد الحمين الفهد ، والشيخ محمد بن أحمد الكليب. ثم بعد ذلك دربوني على الجلسة في حلقات العلم ، وطلبوا من الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، مفتي الديار السعوديه آنذاك ، تسجيلي ضمن الطلبة في حلقة العلم ، فأمر بذلك، وبدأت في حفظ المتون. وكان حفظي للقرآن في الزلفي على غير أصول الحفظ المتبعة لا في النطق ولا في تغيير بعض الحروف. فأراد هؤلاء الأخوة أن يلحقوني بحلقة الشيخ محمد بن أحمد بن سنان، فلما سمع قراءتي قال : لابد أن أبدأ من جديد. وقبل التحاقي في تلك الحلقة ، كنت قد أممت في صلاة التروايح زوجة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ وهي والدة الشيخ الدكتور عبدالله بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، وزير العدل ، وذلك في رمضان سنة ١٣٦٨هـ ، وكان قد سمع قراءتي الشيخ محمد بن إبراهيم فقال : إن صالحا حفظ القرآن على غير أصوله ، فلا يمكن له أن يتعدل إلا بنفسه إذا رغب أن يتعلم ، إلا الفاء والواو.

فأصبح لدي الرغبة الأكيدة في الحفظ ، فشرعت أحفظ المتون ، فكل ما سمعت من متن يقرأ بدأت في حفظه وطلبت من الشيخ القراءة فيه ، وكانت الكلمة منه تنير للطالب الشيء الكبير.

ومن المواقف التي لا تزال عالقة في خلدي : أنه لما سمعت حفاظ العقيدة الواسطية بدأت في حفظها ، وأحسست بتزاحم الطلاب للقرب من الشيخ محمد بن إبراهيم ، فلما أمر بالقراءة كنت الأول ، فقرأت بعد الحمد والتسليم على الرسول ﷺ، (الحمدلله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق) قرأتها بنصب (دين) فاستغفر الشيخ وقال لي: قم تعلم النحو قبل ، سم يالليِ بعده.

فمن أسباب توفيقي أنني جلست واستمررت في الحلقة ، ولما انقضت الحلقة وفيها الناصحون سألت الشيخ فالح بن مهدي : لماذا غضب الشيخ مني ؟ فأخبرني بالسبب ووجهني التوجيه السليم لتطبيق النحو ، وكنا قد قرأنا الآجرومية على الشيخ عبداللطيف بن إبراهيم آل الشيخ، فكان من توجيه الشيخ فالح بن مهدي أنه قال : ألست تقول للشيخ عبداللطيف : جار ومجرور ؟ فما معنى المجرور ؟ وكنت تقول : منصوب ، فما معنى المنصوب ؟ عندها أدركت خطأي عند الشيخ محمد ، وهو أن " دين الحق " مجرورة بعطفها على الهدى ، فكان ذلك من أبلغ الأسباب التي فتحت لي شيئا من التطبيق» ا.هـ.

وقال رحمه الله: «حصلت على درجة الماجستير من المعهد العالي للقضاء، وكانت مدة الدراسة ثلاث سنوات ، إلا أنني لم أدخل اختبار السنة الأولى ، وسبب تركي السنة الأولى هو شيء من الاقتناع في شهادة كلية الشريعة ، ومن جهة أخرى استشرت بعض المسؤولين الإداريين فقيل لي كلمة توحي بالتثبيط عن مواصلة الدراسة ، فزادت لدي الرغبة في

مواصلة الدراسة ، إلا أنني قلت للشيخ عبدالرزاق عفيفي رحمه الله: وأنا لا أستطيع المذاكرة بمفردي فقال : أنت اعزم وأنا أجد لك من يذاكر معك. ثم أحضر لي معالي الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي وزير الشؤون الإسلامية الآن ؛ الذي كان له كبير الأثر في مساعدتي عند دراستي بالمعهد العالي للقضاء» ا.هـ .

وكان الشيخ صالح قد التحق بالمعهد العلمي بالرياض سنة ١٣٧١ هـ منذ تأسيسه ، وكان نظام المعهد آنذاك أربع سنوات دراسية ، وبعدها التحق بكلية الشريعة سنة ١٣٧٥هـ ، وتخرج فيها سنة ١٣٧٨ هـ ثم عمل مدرساً بالمعهد العلمي بالرياض من سنة ١٣٧٩ -١٣٩٠ هـ وخلالها التحق بالمعهد العالي للقضاء من سنة ١٣٨٦ -١٣٩٠ هـ وحصل على درجة الماجستير منه وكان موضوع الرسالة : (جريمة الحرابة وعقوبتها في الإسلام)، ثم حصل على درجة الدكتوراه من المعهد العالي للقضاء سنة ١٤٠٥ هـ ، وكان موضوع رسالته " دوافع الأيمان وموجباتها في الفقه الإسلامي ".

أعماله :

- التدريس بالمعهد العلمي بالرياض من سنة ١٣٧٩ إلى سنة ١٣٩٠هـ.
- التدريس بكلية الشريعة بالرياض من سنة ١٣٩١ إلى سنة ١٤١٠هـ.
- أحيل للتقاعد سنة ١٤١٠ هـ.
- استمر متعاونا مع كلية الشريعة بالجامعة.
- تعاقد مع الرئاسة العامة لتعليم البنات للتدريس في الكليات بأمر ملكي ، فاستمر بالتدريس والإشراف على الرسائل العلمية.
- وفي ٦/ ٦/ ١٤١٣ هـ صدر الأمر الملكي الكريم بتعيينه عضوا في هيئة كبار العلماء.
- في ١٨/ ١١/ ١٤١٣ هـ صدر أمر خادم الحرمين الشريفين بتعيينه على المرتبة الممتازة على ملاك رئاسة دار الإفتاء ، ابتداء من ٦/ ٦/ ١٤١٣ هـ.

ولها مشاركات عديدة منها:

ـ الإمامة والخطابة إلى أن مرض رحمه الله.

ـ التعاون مع الإذاعة خاصة إذاعة القرآن الكريم في المملكة العربية السعودية في عدد من برامجها.

ـ المشاركة في التوعية الإسلامية بالحج منذ سنة ١٣٩٢ هـ.

ـ المشاركة في بعض المؤتمرات والندوات.

أولاده :

له خمسة عشر ابناً وسبع بنات، هم: (عبدالرحمن، أحمد (توفي صغيراً)، ساره، عبدالله، ومحمد، وعبدالعزيز، وحصة، وفاطمة، والجوهرة، وعلي، وسليمان، وعمر، وفهد، وعبدالملك، وبدر، وأحمد وإبراهيم، وفواز، وبسام، وندى، وعزيزة، ونجيبة.

صفاته وأخلاقه :

لقد صحبت شيخي و والدي الشيخ صالح بن عبدالرحمن الأطرم – رحمه الله تعالى –وجعله مع النبيين والصدقين والشهداءوالصالحين من سنة ١٣٩٧هـ الى وفاته – رحمة الله عليه – فرأيت منه العالم المتصف بصفات العلماء العاملين بعلمهم، وكان متسماً بالتواضع والحلم والحزم، قضى حياته للعلم تعلما وعملا وتعليما وبرع في علوم العقيدة والفقه وتميز بقوة الاستنباط، يقضي وقته في القراءة والمراجعة والحفظ ومدارسة العلم مع طلابه وإلقاء الدروس والمحاضرات والإطلاع على ما صنفه العلماء من سلف هذه الأمة من تفسير للقرآن العظيم وشرح لأحاديث الرسول ﷺ وكتب الفقه ومصنفات الإمامين ابن تيمية وابن قيم الجوزية وإمام الدعوة في القرن الثاني عشر الهجري الإمام مجدد دعوة التوحيد محمد بن عبدالوهاب التميمي رحمهم الله وسائر علماء المسلمين،

وكان رحمه الله يفتح صدره وبيته لطلاب العلم وغيرهم فيتلقاهم بالبشر والسرور ويبذل المشورة لكل من استشاره والمعونة لكل من طلب العون بما يستطيع وكان رحمه الله نعم المربي لأسرته وطلابه يوجههم لعقيدة أهل السنة والجماعة ولكل خلق جميل ، وكان رحمه الله مع أنه كفيف البصر يصف الأشياء بدقة ويعمل أشياء يعجز عنها المبصرون ، وكان رحمه الله يحرص على إخفاء عمله من نوافل العبادات والنصح والتوجيه ، وكان يوجه طلابه لحفظ المتون العلمية والمسائل المهمة مع الفهم، ويرشد وينصح كل من يزوره بما يعود عليه بالنفع في دينه ودنياه وخاصة عندما يلحظ أن الشخص بحاجة إلى شيء من ذلك ؛ لأنه رحمه الله يملك فراسة عجيبة لمعرفة أحوال الناس الذين يزورونه، وقد فقد الشيخ رحمه الله بصره وهو صغير، وكان ذلك من أسباب جده ومثابرته في طلب العلم حتى أصبح من العلماء بسعة العلم والفهم الدقيق وقوة الاستنباط مع الاستدلال، فقد حباه الله تعالى بصيرة في القلب ومحبة للعلم والتمسك بالسنة علما وعملا ودعوة والسير على عقيدة أهل السنة والجماعة،وكان دائما يبين لنا من خلال الدروس أهمية العقيدة الصحيحة المتمثلة في إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له ويحذرنا من ضدها وهو الشرك في عبادة الله ، ويهتم كثيرا ببيان ما تقتضيه شهادة أن لا إله إلا الله من نفي الشرك وإثبات التوحيد ويبين هدي الرسول صلى الله عليه وسلم تحقيقا لشهادة أن محمدا رسول الله ويحذر مما يضاد السنة وهي البدعة ، ويبين منهج أهل الكلام والفرق المخالفة لعقيدة أهل السنة والجماعة ويحذر منهم.وكان رحمه الله مدركا أهمية ما يسير عليه حكام هذه البلاد المباركة (المملكة العربية السعودية) ويبين منهجها المتميز في تحقيق توحيد العبادة لله وحده لا شريك له والسير على هدي الكتاب والسنة ، وهو المنهج الذي قام به الإمامان محمد بن سعود ومحمد بن عبدالوهاب رحمهم الله في

نشر دعوة التوحيد الخالصة من شوائب الشرك والبدع ، وسار عليه أبناؤهما من بعدهما الى عهد الإمام الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل وسار على ذلك أبناؤه من بعده رحم الله الأموات ووفق الأحياء .

منهجه رحمه الله في العقيدة :

هذه بعض التوجيهات التي كان يوجه بها طلابه والتي يتبين من خلالها منهجه رحمه الله تعالى في العقيدة.

١/ من وصاياه رحمه الله: «التمسك بأصل توحيد العبادة وسلامة المعتقد».

قال : «الاعتصام بحبل الله والالتفاف حول إمام هذه الجزيرة (المملكة العربية السعودية) نصر الله به الإسلام ورزقه البطانة الصالحة».

وقال: «لا تجعل المعاصي هي المحك ؛ لأن المعاصي لا يخلو منها مجتمع، ولكن مقل ومستكثر، ولكن التوحيد هو الذي يصلح بصلاحه العمل ويفسد العمل بالخلل فيه، فتوحيد العبادة هو الذي يجب بيانه للناس والتمسك به والحذر من الخلل فيه».

«و توحيد العبادة هو الأصل وينطلق منه تحكيم الشريعة وسائر الطاعات،فمن حكم الشريعة وجاء بجميع الطاعات لكن يعبد غير الله أو يعتقد عبادة غير الله فلا ينفعه شيء في الآخرة،أما في الدنيا فقد يثاب بمال أو ولد أو جاه... إلخ، قال تعالى : (وقدمنا إلى ماعملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا)».

" وأساس قبول الأعمال ومايجب لله وحده هو التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، وأعني بذلك التوحيد:توحيد الألوهية الذي يتضمن توحيد الربوبية والأسماء والصفات وآكد حقوق الله بعد التوحيد هي الصلاه ثم بقية الأركان والواجبات ".

"فائدة على مسألة : مضرة أصحاب السوء على الإنسان،وهي من مسائل كتاب التوحيد للإمام محمد بن عبدالوهاب باب إنك لاتهدي من أحببت، قال الشيخ صالح الأطرم رحمه الله على هذه المسألة: «علامة جليس السوء :أن يزرع في قلبك الحقد على من له حق عليك مثل: الوالدين والحاكم الذي له عليك حق ولاية وله حق عليك بالنصح والدعاء وكذلك عامة المسلمين لاسيما في دولة التوحيد هذه (المملكة العربية السعودية)» ١/ ٧/ ١٤١٤ هـ.

فائدة من كتاب التوحيد باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله:

قال رحمه الله:

س: لماذا كانت طاعة الأمراء عبادة ؟

ج: لأنه لا يوجد ولي أمر معصوم بعد الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يمكن أن يوجد معصوم بعده، وطاعة ولي الأمر واجبة ما لم يأمر بمعصية الله تعالى،أما كونه عاصياً في نفسه فهذا لا تؤاخذ عليه الرعية، بل معصيته على نفسه، وإنما يناصح حسب الطريقة المشروعة، ولا يجوز زرع الأحقاد على الولاة في نفوس العامة، بل هذا هو دين الخوارج الذين يكفرون بالمعصية ويزرعون الأحقاد في نفوس العوام على الولاة ويعملون على إثارة العامة على ولاة الأمر بحجة أنهم يريدون إماما معصوما ، وهذا لا يمكن أن يوجد.

ولذلك لم تقم للخوارج قائمة منذ خروجهم على عثمان رضي الله عنه إلى الآن، ولن تقوم لهم قائمة إن شاء الله تعالى إلى يوم القيامة ، وطاعة ولي الأمر برا كان أو فاجرا مادام يأمر بطاعة الله واجبة وقربة لله تعالى.

فائدة من كتاب التوحيد باب الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله.

قال رَحِمَهُ اللهُ: «إن من قبح الشرك كونه مسبة لله تعالى، وارتكاب النواهي التي نهى الله تعالى عنها يعتبر مسبة لله تعالى، ومن أعظم هذه المنهيات الشرك بالله تعالى، وكذلك ترك الأوامر وعدم الاهتمام بها يعتبر مسبة لله تعالى؛ لأن ذلك الرجل لم يهتم بأوامره ونواهيه وهذا منه مسبة وتنقص للآمر والناهي تعالى الله وتقدس.

والتكفير للذنوب يعم جميع الذنوب عدا الشرك بنوعيه الأكبر والأصغر، فالشرك الأكبر بالاتفاق أنه لا يكفر إلا بالتوبة منه، أما من مات عليه فهو خالد في النار، أما الأصغر فهناك خلاف، فالراجح أنه لا يكفر إلا بالتوبة منه ولكن صاحبه إذا مات عليه لا يخلد في النار بل يخرج منها بعد تطهيره وتمحيصه؛ لعموم قوله تعالى: (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر دون ذلك لمن يشاء)».

فائدة من تفسير آخر سورة هود، قوله سبحانه: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾:

قال رَحِمَهُ اللهُ: «فيها بيان معنى افتراق الخلق وكذا بيان مشروعية نشر كل ما يفرح الناس ويدخل السرور عليهم، ونحن مأمورون بدفن عيوب المسلمين وعدم نشرها، وبالاجتماع وتحبيب العباد إلى الله تعالى».

وقال رحمه الله في بيان أمارات معرفة صاحب الهوى:

١/ أنه لا يقبل ما يلاحظ عليه.

٢/ محاولة الرد.

٣/ محاولة أن يعيب من لاحظ عليه.

٤/ أنهم يحاولون أن يبرروا منهجهم ويسبون من خالفهم».

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «مسألة استعظام المعاصي ثم التألي على الله تعالى أن لا يغفر الله لفلان ويحصل ذلك غالباً بسبب:

١ – الرغبة في استنكار المنكرات بدون علم فيؤدي لما هو أكبر.

٢ – وصفهم ذلك بالصحوة، بينما توحيد العبادة الذي هو مسلك وعمل هذا البلد (المملكة العربية السعودية) ولله الحمد يعتبر أكبر صحوة.

٣/ ظاهرة التألي بسبب ما يرونه من المعاصي، فيستعظمون المعصية أعظم من الشرك، ونتج عن ذلك سب أولياء الأمر وشتمهم وإظهار بغضهم، وهذا المسلك يؤدي إلى مشابهة أهل البدع مثل الخوارج والمعتزلة وغيرهم ولذلك جعل الله الاجتماع على ولي الأمر وعدم الخلاف عليه من أُصول أهل السنة والجماعة» ٨/ ٧/ ١٤١٤هـ.

مشايخه:

تتلمذ على جملة من علماء عصره، وأبرزهم:

١ـ سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ.

٢ـ سماحة الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد رَحِمَهُ اللَّهُ.

٣ـ سماحة الشيخ عبدالعزيز ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ.

٤ـ الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ.

٥ـ الشيخ محمد البحيري (من علماء الأزهر) رَحِمَهُ اللَّهُ.

٦ـ الشيخ عبدالرزاق عفيفي رَحِمَهُ اللَّهُ.

٧ـ الشيخ عبدالعزيز بن ناصر الرشيد رَحِمَهُ اللَّهُ.

٨ـ الشيخ عبداللطيف سرحان رَحِمَهُ اللَّهُ.

٩ـ الشيخ محمد سرحان رحمه الله.

١٠ـ ويضاف إلى هؤلاء رحمة الله عليهم جميعا من ذكر رحمه الله في وصفه لطلب العلم المتقدم.

تلاميذه :

تتلمذ على يديه الآف الطلاب والطالبات من خلال التدريس النظامي ودروس المساجد والدورات العلمية، وأبرز من لازمه وتواصل معه قراءة وتتلمذاً من غير أولاده:

١ – كاتب هذه الأسطر: مخلد بن عقل الرزيني المطيري.

٢ – خالد بن عبدالعزيز الهويسين.

٣– معالي الشيخ صالح بن عبدالعزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ.

٤ – فالح بن محمد الصغير "ابن أخته".

٥ – عبدالله بن موسى العمار.

٦– محمد بن عبدالرحمن الوشلي.

٧– عبدالعزيز بن سعود العمار.

٨– سعد بن عبدالرحمن القاسم.

٩ – خالد العبدان.

١٠ – محمد رشدي السعداوي "من مصر".

١١ – هشام فؤاد البيلي " من مصر".

١٢ – عبدالله بن عبدالوهاب القحطاني.

١٣ – سليمان بن عبدالعزيز العيوني.

١٤ – مخلد بن فيحان الشيباني.

من مؤلفاته :

١ـ الخطب المنبرية.

٢ـ حديث الصيام وفضل القيام.

٣ـ جريمة الحرابة وعقوبتها في الإسلام (رسالة ماجستير).

٤ـ دوافع الإيمان وموجباتها في الفقه الإسلامي (رسالة دكتوراه).

٥ـ الوصية.

٦ـ مختصر الوصية.

٧ـ أسئلة وأجوبة في العقيدة.

٨ـ تحقيق مناسك النووي.

٩ـ نبذة عن سيرة سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، بالاشتراك مع الشيخ الدكتور/ عبدالله بن موسى العمار.

وفاته :

أصيب رحمه الله بالمرض فجر يوم السبت ٢٩/ ١/ ١٤٢٠ ولازمه المرض قرابة تسع سنوات وكان صابرا محتسبا ، وكنت أقرأ عليه أثناء مرضه في كتاب (شرح السنة للإمام البغوي) ويشرح ويبين مع ما يعانيه من آلام المرض حتى اشتد عليه مرضه في٢٠/ ٥/ ١٤٢٥هـ فتوقفت عن القراءة إلى أن وافاه الأجل المحتوم صباح يوم الجمعة ٢٥/ ١٢/ ١٤٢٨هـ وصلى عليه جموع غفيرة، وفي مقدمتهم العلماء وطلبة العلم وأعيان

المجتمع، في جامع الشيخ سليمان الراجحي الواقع على مخرج [١٥] من الدائري الشرقي بعد صلاة العصر من ذلك اليوم في مدينة الرياض.

وأم المصلين عليه سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ.

رحم الله شيخنا ووالدنا رحمة واسعة وأسكنه الفردوس الأعلى من الجنة.

كتبه الفقير إلى عفو ربه القدير
مخلد بن عقل الرزيني المطيري
غفر الله له ولوالديه ومشايخه ولجميع المسلمين
الرياض

. Makhlad١@hotmail.com

المقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألاَّ إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد:

فهذه مجموعة خطب صلاة الجمعة في موضوعات متنوعة منها ما جاء حسب مناسبات و منها غير ذلك، أشير علي بنشرها رجاء أن ينفع الله بها، ولعل من المناسب في هذه المقدمة التذكير والإشارة إلى بعض أساسيات الدعوة ومقوماتها، و إلى جملة من الأحكام المتعلقة بخطبة صلاة الجمعة، وبما أن خطيب الجمعة يعتبر داعية، فإن عليه مراعاة أسس الدعوة وهي:

١- تعلم أصول الدعوة إلى دين الله تعالى، والطريق الموصل إلى رضاه، وهي: الإخلاص، والعلم، والمتابعة؛ انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[١].

٢- العلم بأوليات الدعوة، و مراعاة حال المخاطبين؛ لحديث معاذ رضي الله عنه لما بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن قال: **(إنك ستأتي قوماً أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة ألاَّ إله إلا الله وأن محمداً رسول الله...)**. الحديث[٢].

---

(١) سورة يوسف، الآية [١٠٨].

(٢) متفق عليه، رواه البخاري ١/٢٦٥ برقم (١٤٩٦) في كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء، ومسلم ١/٥١ برقم (٤١٩) في كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام.

٣- العلم بطرق الدعوة الثلاثة المذكورة في قوله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾(١). فلا بد من معرفة المراد بالحكمة والموعظة الحسنة وصفة المجادلة؛ لتجنب طريقة المتكلمين الذين يفسرون الحكمة بالبرهان، والموعظة بالخطابة، والمجادلة بالجدل، فعلى الداعية والخطيب مراعاة النقاط التالية:

١-النصح كما لا تخفى النصوص الدالة على فضله.

٢-الوضوح ببيان الخطأ وبيان أثره.

٣-بيان العقيدة الصحيحة [عقيدة أهل السنة والجماعة].

٤-بيان الآثار المترتبة على المتابعة المنطلقة من عقيدة أهل السنة والجماعة.

ولأهمية صلاة الجمعة وخطبتها، ولما للخطيب من أثر في البيان والنصح والدعوة فإن كل خطيب مفتقر إلى العلم بمنهج خطب الرسول ﷺ والصحابة وما قاله علماء المسلمين في خطبة الجمعة ومتطلباتها من الأركان والشروط والمستحبات والأهداف.

قال الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن قاسم رحمه الله في كتابه الإحكام شرح أصول الأحكام: «وقال أحمد: لم يزل الناس يخطبون بالثناء على الله والصلاة على رسول الله ﷺ؛ لأن كل عبادة افتقرت إلى ذكر الله تعالى افتقرت إلى ذكر رسوله ﷺ كالأذان، وذكره مع ذكر ربه هو الشهادة بالرسالة. وقال ابن القيم رحمه الله: «وهو الواجب في الخطبة قطعا». وأوجب شيخ الإسلام وغيره رحمهم الله: حمد الله والثناء عليه والشهادتين والموعظة في الخطبة. وقال ابن

---

(١) سورة النحل، الآية [١٢٥].

القيم في خصائص الجمعة: الثانية والعشرون: أن فيه الخطبة التي يقصد بها الثناء على الله وتمجيده، والشهادة له بالوحدانية، ولرسوله ﷺ بالرسالة، وتذكير العباد بأيامه، وتحذيرهم من بأسه ونقمته، ووصيتهم بما يقربهم إليه وإلى جِنَانه، ونهيهم عما يقربهم من سخطه وناره، فهذا هو مقصود الخطبة والاجتماع لها.

وقال الشيخ عبدالرحمن بن قاسم أيضاً: «قال شيخ الإسلام وغيره: لا يكفي في الخطبة ذم الدنيا وذكر الموت؛ لأنه لا بد من اسم الخطبة عرفا بما يحرك القلوب ويبعث بها إلى الخير، وقال الزركشي وغيره: أركان الخطبة: حمد الله، والثناء عليه، والشهادتان، والصلاة على النبي ﷺ، والقراءة والموعظة.

وقال: «وذكر ابن القيم وغيره: أن خطبه ﷺ إنما كانت تقريراً لأصول الإيمان: من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه، وذكر الجنة والنار، وما أعد الله لأوليائه وأهل طاعته، وما أعد لأعدائه وأهل معصيته، ودعوة إلى الله، وتذكيرا بآلائه التي تحببه إلى خلقه، وأيامه التي تخوفهم من بأسه، وأمراً بذكره وشكره الذي يحببهم إليه، فيملأ القلوب من خطبه إيمانا وتوحيدا، ومعرفة بالله وآياته وآلائه، ومحبة لشكره، وذكره فينصرف السامعون وقد أحبوا الله فأحبهم.

ولمسلم وغيره: **(إذا دعا رفع السبابة وأشار بها)**، وله عن عمار مرفوعا: **(إن طول صلاة الرجل)** يعني بالنسبة إلى خطبته، ليس المراد بالتطويل المنهي عنه **(وقصر)** بكسر القاف وفتح الصاد، أي تقصير **(خطبته)** **(مئنة من فقهه)** بفتح الميم وكسر الهمزة أي: علامة ودلالة يستدل بها على فقه الرجل، **(فأطيلوا الصلاة واقصروا الخطبة)**؛ أي: حتى لا يملوها، ويكون قصرها معتدلا،

فلا يبالغ بحيث يمحقها. ولمسلم عن جابر: (كانت صلاته قصداً وخطبته قصداً). وكون قصر الخطبة علامة على فقهه؛ لأن الفقيه هو المطلع على حقائق المعاني، وجوامع الألفاظ، فيتمكن من التعبير بالعبارة الجزلة المفيدة».

وقال الإمام النووي رحمه الله في المجموع شرح المهذب: «يسن أن يقبل الخطيب على القوم في جميع خطبته ولا يلتفت في شيء منها».

وقال صاحب الحاوي وغيره رحمهم الله: «ولا يفعل ما يفعله بعض الخطباء في هذه الأزمان: الالتفات يميناً وشمالاً، لا في الصلاة على النبي ﷺ ولا غيره؛ فإنه باطل لا أصل له، واتفق العلماء على كراهة هذا الالتفات وهو معدود من البدع المنكرة».

وقال العلامة علي بن خلف المنوفي المالكي المصري رحمه الله في كتاب: كفاية الطالب الرباني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني: والمطلوب أن يكون الذي خطب هو الإمام، فإن طرأ ما يمنع إمامته كحدث أو رعاف، فإن كان الماء بعيدا فإنه يستخلف اتفاقا، وإن قرب فكذلك عند مالك، وحيث يستخلف ففي المدونة يستخلف من حضر الخطبة.

وقال في حاشية هذا الكتاب: قوله: «والمطلوب أن يكون الذي خطب هو الإمام». أي: يجب على سبيل الشرطية كما صرح بذلك في العشماوية.

وقال سيف الدين أبوبكر الشاشي القفال رحمه الله في كتاب حلية العلماء في معرفة مذاهب الفقهاء: ذكر القاضي حسين رحمه الله أن الخطبة لا تصح إلا بالعربية على ظاهر المذهب إذا كان هناك من يحسنها، وفيه وجه آخر: أنها تجوز بسائر اللغات. ويرفع صوته بقدر ما يسمعه العدد المعتبر في الجمعة، فإن لم يسمعوا؛ لبعدهم، أو لصمم بهم لم يجز. وفيه وجه آخر: أنه يصح.

وقال الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾(١). أي: ليكن دعاؤك للخلق مسلمهم وكافرهم، إلى سبيل ربك المستقيم، المشتمل على العلم النافع والعمل الصالح.

﴿بِٱلْحِكْمَةِ﴾: أي: كل أحد على حسب حاله وفهمه وقبوله وانقياده، ومن الحكمة الدعوة بالعلم لا بالجهل والبدأة بالأهم فالأهم، وبالأقرب إلى الأذهان والفهم، وبما يكون قبوله أتم، وبالرفق واللين.

فإن انقاد بالحكمة، وإلا فينتقل معه إلى الدعوة بالموعظة الحسنة، وهو: الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب.

إما بما تشتمل عليه الأوامر من المصالح وتعدادها، والنواهي من المضار وتعدادها.

وإما بذكر إكرام من قام بدين الله، وإهانة من لم يقم به.

وإما بذكر ما أعد الله تعالى للطائعين من الثواب العاجل والآجل، وما أعد للعاصين من العقاب العاجل والآجل، فإن كان المدعو يرى أن ما هو عليه حق، أو كان داعية إلى الباطل، فيجادل بالتي هي أحسن، وهي: الطرق التي تكون أدعى لاستجابته عقلا ونقلا، ومن ذلك الاحتجاج عليه بالأدلة التي كان يعتقدها؛ فإنه أقرب إلى حصول المقصود، وأن لا تؤدي المجادلة إلى خصام أو مشاتمة تُذْهِب مقصودها، ولا تحصل الفائدة منها، بل يكون القصد منها هداية الخلق إلى الحق لا المغالبة ونحوها. وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن

(١) سورة النحل، الآية [١٢٥].

﴿سَبِيلِهِۦ﴾ أي: علم السبب الذي أداه إلى الضلال، وعلم أعماله المترتبة على ضلالته وسيجازيه عليها. ﴿وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ علم أنهم يصلحون للهداية فهداهم، ثم مَنَّ عليهم فاجتباهم.

وقال عبدالحق بن عطية الأندلسي رحمه الله في تفسيره الموسوم بـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز عند كلامه على قوله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ﴾الآية. قال رحمه الله: «أمره الله تعالى أن يدعو إلى دين الله وشرعه بتلطف، وهو أن يسمع المدعو حكمة: وهو: الكلام الصواب القريب الواقع في النفس أجمل موقع، ﴿وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ﴾: التخويف والتوجيه والتلطف بالإنسان بأن يُجِلَّه ويُنَشِّطهَ، ويجعله بصورة من يقبل الفضائل ونحو هذا، فهذه حالة من يدعى وحالة من يجادل دون مخاشنة فتظهر عليه دون قتال، والكلام يُعطي: أن جدَّك وهمَّك وتعبَك لا يغني؛ لأن الله تعالى قد علم من يؤمن منهم ويهتدي، وعلم من يَضِل، فجملة هذا المعنى: اسْلك هذه السبيل، ولا تلجأ للمخاشنة، فإنها غير مجدية؛ لأن علم الله قد سبق بالمهتدي منهم والضال». وقال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله[(١)]: «أما كيفية الدعوة وأسلوبها فقد بينها الله عز وجل في كتابه الكريم وفيما جاء في سنة نبيه عليه الصلاة والسلام، ومن أوضح ذلك قوله جل وعلا: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾[(٢)]، فأوضح سبحانه الكيفية التي ينبغي أن يتصف بها الداعية ويسلكها، يبدأ أولا بالحكمة، والمراد بها: الأدلة المقنعة الواضحة الكاشفة للحق، والداحضة

---

(١) مجموع فتاوى ومقاولات متنوعة ١/٣٤٠.

(٢) سورة النحل، الآية [١٢٥].

للباطل، ولهذا قال بعض المفسرين: المعنى: بالقرآن، لأنه الحكمة العظيمة؛ لأن فيه البيان والإيضاح للحق بأكمل وجه، وقال بعضهم معناه: بالأدلة من الكتاب والسنة. وبكل حال فالحكمة كلمة عظيمة معناها: الدعوة إلى الله بالعلم والبصيرة، والأدلة الواضحة المقنعة الكاشفة للحق والمبينة له، وهي كلمة مشتركة تطلق على معان كثيرة: تطلق على النبوة، وعلى العلم والفقه في الدين، وعلى العقل، وعلى الورع، وعلى أشياء أخرى، وهي في الأصل كما قال الشوكاني رحمه الله: الأمر الذي يمنع عن السفه. هذه هي الحكمة، والمعنى: أن كل كلمة وكل مقالة تردعك عن السفه، وتزجرك عن الباطل فهي حكمة، فالآيات القرآنية أولى بأن تسمى حكمة، وهكذا السنة الصحيحة أولى بأن تسمى حكمة بعد كتاب الله، وقد سماها الله حكمة في كتابه العظيم كما في قوله جل وعلا: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾[1] يعني السنة، وكما في قوله سبحانه: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[2] فالأدلة الواضحة تسمى حكمة، والكلام الواضح المصيب للحق يسمى حكمة كما تقدم. إلى أن قال حفظه الله: هكذا ينبغي لك أيها الداعية، أن تتحمل وتصبر ولا تتشدد؛ لأن هذا أقرب إلى الانتفاع بالحق وقبوله، وتأثر المدعو وصبره على المجادلة والمناقشة».

وقال الشيخ محمد جمال الدين القاسمي رحمه الله في كتاب: إصلاح المساجد من البدع والعوائد: «أبلغ الخطب ما وافق حال المستمعين حسب الزمان والمكان والحال، فإن كان في رمضان مثلا: علمهم الخطيب أحكام وآداب

---

(١) سورة البقرة، الآية [١٢٩].

(٢) سورة البقرة، الآية [٢٦٩].

الصيام والمقصود منه، وينهاهم عن البدع التي تحدث فيه؛ مبيناً ضررها، وفي عيد الفطر يبين أحكام صدقة الفطر، ولا يحسن به أن يستبدلها ببيان أحكام الأضحية أو غير ذلك ويتركها بتاتاً، وفي مكان تفرق أهله يخطب فيهم بالاتحاد، أو تكاسلوا عن طلب العلم حثهم عليه، أو أهملوا تربية أولادهم حثهم أيضا عليها، إلى غير ذلك مما يوافق أحوالهم ويلائم مشاربهم ويناسب طباعهم (أي: طباعهم السليمة). يخطب في كل مكان بحسبه مراعياً أحوال العالم بصيرا بمقترفاتهم الواقعة خلال أسبوع، فينهاهم عنها وينبههم عليها متى رقى منبر الخطابة عسى أن يهتدوا طريقا قويماً».

وقال الشيخ القاسمي رحمه الله أيضا في الكتاب المذكور: «يشترط في الخطيب أن يكون عالما بالعقيدة الصحيحة متمسكاً بها حتى لا يزيغ، ولا يؤذي الناس بسوء عقيدته في درك ظلمات الضلال فتسوء العقبى».

وقال العز بن عبدالسلام رحمه الله في فتاويه: «ولا ينبغي للخطيب أن يذكر في الخطبة إلا ما كان يوافق مقاصدها من: الثناء والدعاء، والترغيب والترهيب بذكر الوعد والوعيد، وكل ما يحث على طاعته أو يزجر عن معصيته، وكذلك تلاوة القرآن، وكان النبي ﷺ يخطب بسورة [ق] في كثير من الأوقات؛ لاشتمالها على ذكر الله والثناء عليه، ثم على علمه تعالى بما توسوس به النفوس، وبما تكتبه الملائكة على الإنسان من طاعةٍ وعصيان، ثم يذكر الموت وسكرته، ثم يذكر القيامة وأهوالها والشهادة على الخلائق ثم يذكر الجنة والنار، ثم يذكر الصيحة والنشور، والخروج من القبور، ثم الوصية بالصلوات. فمن خرج عن هذه المقاصد فهو مبتدع. ثم أكد بأنه لا يذكر في

الخطبة ما ليس من مقاصدها فقال: «وعلى الخطيب اجتناب الألفاظ التي لا يعرفها إلا الخواص؛ فإن المقصود من الخطب نفع الحاضرين بالترغيب والترهيب، فإذا لم يفهموا ما يقوله الخطيب لم يحصل مقصود الخطبة للأكثرين، وهذا من البدع القبيحة». ا.هـ

ثم قال أيضاً: «لا تذكر الأشعار في الخطب؛ لأنه من أقبح البدع، وكذلك لا يذكر سلع[1] ولا حاجرا أي: وما في معناه من أماكن اللهو، لأن ذكر ذلك فسوق مذكِّر للهوى المكروه والمحرَّم والمباح، وأكثر الناس يطربون على ذلك، ويحثهم الطرب على ملابسة ما يهوونه- أقول: ومثله مما لا ينبغي ذكره ذكر أوصاف النساء المتساهلات بالأمور الشرعية- وليست الخطبة موضوعة للحث على الأسباب المباحة فضلا عن الأسباب المكروهة والمحرمة، وهذا من أقبح البدع التي لم نعلم أن أحداً سبق إليها» ا.هـ.

ولخطبة الجمعة أوصاف مجمع على مشروعيتها في الجملة، باعتبار أنها ركن أو شرط أو سنة مؤكدة أو مستحبة، وهذه بعض النقول من كتب الفقهاء:

قال في كشاف القناع عن متن الإقناع: «ومن شرط صحة كل منهما، أي: الخطبتين: حمد الله بلفظ: الحمد لله، فلا يجزئ غيره؛ لحديث أبي هريرة مرفوعا: **(كل كلام لايبدأ فيه بالحمد لله فهو أجذم)**. رواه أبوداود.

---

(١) سَلْع: جبل في المدينة، وحاجر: الأرض المرتفعة ووسطها منخفض، وما يمسك الماء، ويظهر أن هذه الأماكن كانت مما تنشد عندها الأشعار. (انظر: لسان العرب لابن منظور، وديوان محي الدين بن عربي).

والصلاة على رسوله ﷺ بلفظ: الصلاة؛ لأن كل عبادة افتقرت إلى ذكر الله تعالى افتقرت إلى ذكر رسوله كالأذان، قال في المبدع: ويتعين لفظ الصلاة، أو يشهد أنه عبدالله ورسوله، وأوجبه الشيخ تقي الدين؛ لدلالته عليه، ولأنه إيمان به، والصلاة دعاء له، وبينهما تفاوت.

وقراءة آية كاملة؛ لقول جابر رضي الله عنه: **(كان ﷺ يقرأ آيات ويذكر الناس)** رواه مسلم.

والوصية بتقوى الله تعالى؛ لأنه المقصود، قال في التلخيص: ولا يتعين لفظها، أي الوصية، وأقلها: اتقوا الله، وأطيعوا الله، ونحوه.

والموالاة بينهما، أي: بين الخطبتين.

والموالاة بين أجزاء الخطبتين.

والموالاة بينهما وبين الصلاة؛ لئلا يطول الفصل بينهما، أي: الخطبتين وبين الصلاة فيبطلها.

ومن شرط الخطبتين النية؛ لحديث: **(إنما الأعمال بالنيات)**، وإن كان بعض أهل العلم لم يصرح باشتراطها في الخطبة، لأن الخطبة إنما شرعت للأذكار والدعاء والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونحو ذلك فكان الحال مقتضياً للنية.

ورفع الصوت، بحيث يسمع العدد المعتبر إن لم يعرض مانع من السماع.

ولا تصح الخطبة بغير العربية مع القدرة عليها بالعربية.

ومن شرط الخطبة حضور العدد المعتبر للجمعة.

وقال في كشاف القناع عن متن الإقناع:

«ولا تشترط لهما الطهارتان، أي: طهارة الحدث الأصغر والأكبر، فتجزئ خطبة محدث وجنب؛ لأنه ذكر تقدم الصلاة أشبه الأذان، ونصه: تجزئ خطبة الجنب، وظاهره: ولو كان بالمسجد؛ لأن تحريم لبثه لا تعلق له بواجب العبادة، كمن صلى ومعه درهم غصب»، وقال في المغني: «والأشبه بأصول المذهب اشتراط الطهارة من الجنابة».

وأما مسنونات الخطبة:

نقلا من كتب الفقهاء في المذاهب الأربعة وبالأخص كتاب كشاف القناع عن متن الإقناع، وكتاب المغني، وكتاب المجموع شرح المهذب للإمام النووي، وكتاب الحاوي الكبير للماوردي، وكتاب الاستذكار لابن عبدالبر، وكتاب حاشية رد المحتار على الدر المختار لابن عابدين فهي كما يلي:

١-أن يخطب على منبر أو موضع عالٍ؛ لما روى سهل بن سعد ﵁: أن النبي ﷺ أرسل إلى امرأة من الأنصار: **(أن مري غلامك النجار يعمل أعواداً أجلس عليها إذا كلمت الناس)**. متفق عليه.

٢-الجلوس على الدرجة الثالثة التي تلي مكان الاستراحة؛ لفعله ﷺ.

٣-أن يسلم الخطيب على المأمومين إذا أقبل عليهم؛ لما روى ابن ماجه عن جابر ﵁ قال: (كان النبي ﷺ إذا صعد المنبر سلم).

٤-جلوس الخطيب على المنبر حتى يفرغ المؤذن من الأذان؛ لما روى ابن عمر رضي الله عنهما قال: (كان النبي ﷺ يجلس إذا صعد المنبر حتى يفرغ المؤذن ثم يقوم فيخطب). رواه أبوداود.

٥-أن يجلس بين الخطبتين جلسة خفيفة ؛ لما روى ابن عمر رضي الله عنهما قال : (كان النبي ﷺ يخطب خطبتين وهو قائم يفصل بينهما بجلوس). متفق عليه.

٦-أن يخطب قائما ؛ للحديث السابق.

٧-أن يعتمد على قوس أو عصا بإحدى يديه ؛ لما روى الحكم بن حزن الكلفي قال : (وفدت إلى رسول الله ﷺ إلى أن قال : فأقمنا بها أياما شهدنا فيها الجمعة مع رسول الله ﷺ ، فقام متوكئا على عصاً أو قوس فحمد الله وأثنى عليه : كلمات خفيفات طيبات مباركات). الحديث. رواه أبوداود.

٨-أن يقصد الخطيب تلقاء وجهه ؛ لأن النبي ﷺ كان يفعل ذلك ، ولا يلتفت يميناً ولا شمالاً.

٩-أن يقصر الخطبة ؛ لما روى عمار رضي الله عنه قال : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : **(إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة من فقهه ، فأطيلوا الصلاة واقصروا الخطبة)**. وقال جابر بن سمرة : **(كنت أصلي مع رسول الله ﷺ فكانت صلاته قصدا وخطبته قصدا)**. رواهما مسلم.

وعن جابر بن سمرة أيضا قال : (كان رسول الله ﷺ لا يطيل الموعظة يوم الجمعة ، إنما هنَّ كلمات يسيرات). رواه أبوداود.

١٠-أن تكون الثانية أقصر من الأولى.

١١-أن يرفع صوته ؛ ليُسْمِع الناس ؛ لحديث جابر رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش ، يقول : **(صبحكم ومساكم)**. ويقول : **(أما بعد ، فإن خير الحديث كتاب**

الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة).

١٢-أن يدعو للمسلمين ولنفسه وللحاضرين.

١٣-وإذا قرأ آية فيها سجدة في أثناء الخطبة فإن شاء نزل فسجد وإن أمكن السجود على المنبر سجد عليه وإن ترك السجود فلا حرج؛ قد فَعَلَهَ عمر وتَرَكَ.

١٤-أن يكون متطهراً من الحدث والنجس؛ لأن السنة أن يخطب متطهرا؛ لأن النبي ﷺ كان يصلي عقيب الخطبة، لا يفصل بينهما بطهارة، فدل على أنه كان متطهراً، والاقتداء به إن لم يكن واجبا فهو سنة.

١٥- السنة أن يتولى الصلاة من يتولى الخطبة؛ لأن النبي ﷺ كان يتولاهما بنفسه وكذلك خلفاؤه من بعده.

١٦-أن يخاطب الناس بـ أما بعد، بعد الحمد لله والثناء عليه والشهادتين والصلاة على الرسول ﷺ؛ لحديث جابر وفيه: ويقول: أما بعد. وقد سبق في رفع الصوت.

١٧-الدعاء لإمام المسلمين مشروع في الجملة بل مستحب، قال الإمام أحمد وغيره: ولو كان لنا دعوة مستجابة لدعونا بها للإمام، وقال: ولأن في صلاحه صلاح المسلمين. بل قال شارح تنوير الأبصار من الحنفية في باب الإمامة: «إن الدعاء لإمام المسلمين بالصلاح واجب. وإني لأدعو له بالتسديد والتوفيق؛ لأن أبا موسى الأشعري وهو أمير الكوفة كان يدعو لعمر بن الخطاب رضي الله عنه أيام خلافته، والصحابة حينئذ متوافرون، ولا يسكتون على بدعة، ولم ينكر عليه أحد. ولذا قال بعض العلماء: لو قيل: إن الدعاء للسلطان واجب؛ لما في تركه

من الفتنة غالبا لم يبعد. (حاشية ابن عابدين). وقال في المغني : وإن دعا لسلطان المسلمين بالصلاح فحسن.

١٨-أن يكون الخطيب متعظا بما يعظ الناس به.

١٩-حين الصعود إلى المنبر يصعد بتؤدة، وإذا نزل، نزل مسرعاً استحباباً.

وقال ابن عبدالبر في الاستذكار: قال ابن وهب عن مالك: يخطب خطبتين يفصل بينهما جلوس، ويجلس جلستين-أي: جلسة قبل الخطبة الأولى، وجلسة بين الخطبتين-ثم قال: «وأجمعوا على أن الخطبة لا تكون إلا قائماً لمن قدر على القيام، فإن أعيا وجلس للراحة لم يتكلم حتى يعود قائما. وقد كان عثمان ربما استراح في الخطبة، ثم يقوم فيتكلم قائما. قال محققه: «متفق بين الجمهور على أن الخطيب يبدأ بحمد الله والثناء عليه، والشهادتين والصلاة على النبي ﷺ، والموعظة والتذكير وخطبتين، والجلوس بين الخطبتين، وإعادة الحمد والثناء والصلاة على النبي ﷺ في ابتداء الخطبة الثانية، والدعاء فيها للمؤمنين والمؤمنات بالمغفرة والمعافاة من الأمراض والأدواء والنصر على الأعداء، وهكذا كله سنة عند الحنفية، مندوب عند المالكية، ومنها أركان عند الشافعية، وبعضها شروط عند الحنابلة، ومنها ما هو سنة عند الجمهور.

فمن ذلك اعتماد الخطيب بيساره أثناء قيامه على نحو عصا أو قوس لحديث الحكم بن حزن- وقد تقدم- وحكمته: أن الاستناد يعطي قوة للخطيب، ويجعل يمناه على المنبر، ومنها تقصير الخطبتين، ومنها أن تكون الثانية أقصر من الأولى، وهذا سنة عند الجمهور، مندوب عند المالكية؛ لحديث رواه مسلم عن

عمار **(أطيلوا الصلاة واقصروا الخطبة)**. ومما هو متفق على مشروعيته عند أصحاب المذاهب الأربعة:

١-كان رسول الله ﷺ إذا خطب علا صوته واحمرت عيناه واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش.

٢-كان يحمد الله ويثني عليه ثم يقول على أثر ذلك: أما بعد:

٣-كان يقصر الخطبة، ويطيل الصلاة، ويكثر الذكر ويقصد الكلمات الجوامع.

٤-كانت خطبه تتعلق بقواعد الإسلام وشرائعه، ويأمر وينهى في خطبته إذا عرض له أمر.

٥-وكان يشير بأصبعه السبابة في خطبته عند ذكر الله تعالى ودعائه.

٦-وكذلك كانت خطبه ﷺ إنما هي تقرير لأصول الإيمان، من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه وذكر الجنة والنار، وما أعد الله لأوليائه وأهل طاعته، وما أعد لأعدائه وأهل معصيته، فيملأ القلوب من خطبته إيماناً وتوحيداً، ومعرفة بالله وأيامه، وذكر صفات الرب جل جلاله، وأصول الإيمان الكلية، وذكر آلائه تعالى التي تحببه إلى خلقه، وأيامه التي تخوفهم من بأسه، والأمر بذكره وشكره الذي يحببهم إليه، فيذكر من عظمة الله وصفاته وأسمائه ما يحببه إلى خلقه، ويأمر من طاعته وشكره وذكره ما يحببهم إليه فينصرف السامعون وقد أحبوه وأحبهم. فيتحقق بذلك المقصد الأسمى من خطبة الجمعة.

مكروهات خطبة الجمعة:

١-يكره للخطيب استدبار المأمومين.

٢-يكره للإمام رفع يديه حال الدعاء في الخطبة. قال المجد: هو بدعة؛ لما روى الإمام أحمد ومسلم: أن عمارة بن رويبة رأى بشر بن مروان رفع يديه في الخطبة فقال عمارة: قبح الله هاتين اليدين، لقد رأيت النبي ﷺ وهو على المنبر ما يزيد على هذه، يعني السبابة التي تلي الإبهام.

٣-دعاء الخطيب عقب صعوده المنبر لا أصل له.

٤-يكره الالتفات يميناً وشمالاً وتزداد كراهته بكثرته.

الاستنابة في الإمامة والخطبة:

سئل العز بن عبدالسلام رحمه الله عن إمام مسجد يستخلف فيه ببعض راتبه؛ أي: يتفق مع من ينوب عنه ويخلفه ويقوم بعمله ببعض راتبه، ويتناول هو الباقي فهل له الاستخلاف وأكل هذا المال أم لا؟ وإن لم يجز فهل يكون الراتب للمستخلف حتى إذا أخذ القدر المصطلح عليه وهب للمستخلف بقيته، ينفعه ذلك أم لا؟

فأجاب رحمه الله قائلا: وأما ولاية الإمام، فلا يجوز لمن جعل له الرِّزْق على الإمامة أن يتناوله إلا أن يقوم بالإمامة على مقتضى الشرط أو مقتضى العادة فيمن يعد ملازما للمسجد، ولا يستنيب إلا لعذر جرت العادة بالاستنابة فيه: كالمريض والمحبوس ونحوهما، وإن استناب بغير إذن الناظر لم يستحق شيئا؛ لأنه لم يوله ناظر ولا نائب عن ناظر-والناظر هو: ناظر الوقف فيما لو كان المسجد موقوفا أو من يهمه الأمر في المساجد الرسمية التابعة في إدارتها للدولة وتنفق عليها وتصرف مكافأة للقائمين عليها-وإن أذن له الناظر في الاستنابة جاز أن يستنيب، ولا حق له فيما يجب لمن قام بالإمامة، وإن أذن له النائب في

أخذ بعض ذلك لم يحل للنائب ولا المأذون له في الاستنابة، وليس القائم بالإمامة نائب عن المستنيب، بل هو مستقل بالإمامة، وليس نائباً فيها عن أحد، فإن تواطأ الناظر ووكيله والقائم بالإمامة على أن يأخذ الإمام البعض والوكيل البعض لم يجز ذلك، وفي صحة تولية الإمام في هذه الصورة نظر مبني على أن المعلوم كالمشروط، أم لا؟ وإن شرط ذلك في نفس التولية بطلت، وإن قام بالإمامة لم يستحق شيئاً إذا كان الاستحقاق متواطئا بالتولية الصحيحة، وإن وقع مثل ذلك من غير شرط بالتولية الصحيحة ولا تواطءٍ على ذلك فلا بأس بما يتبرع به الإمام على الوكيل. وهذا في غاية الندور، وقد خرج أكثر الفقهاء عن الصواب في هذه المسألة، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً. «فتاوى سلطان العلماء العز بن عبدالسلام». ثم سئل رحمه الله عن رجل له خطابة جامع ببلد، وهو مقيم ببلد آخر، وله نائب مستمر، فهل يجب على متولي الإجلاء- أي: من يحق له التعيين والعزل-صرفه بذلك أمْ لا؟ فأجاب رحمه الله: نعم يصرفه، ويسترد منه ما أخذه، ولم يقم بشرطه. والله أعلم.

وقال ابن عابدين في حاشيته المسماة حاشية رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار: [مطلب في جواز استنابة الخطيب (قوله: واختلف في الخطيب المقرر من جهة الإمام الأعظم أو من جهة نائبه هل يملك الاستنابة في الخطبة) أي: بلا إذن من السلطان؟ أما بالإذن فلا خلاف فيه. قوله: (فقيل: لا مطلقا)- قائله صاحب الدرر- حيث قال: إن الاستخلاف لا يجوز للخطبة أصلا، ولا الصلاة ابتداء، بل بعد ما أحدث الإمام إلا إذا كان مأذونا من السلطان بالاستخلاف] أ.هـ .

هذا ما تيسر جمعه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

صالح بن عبدالرحمن الأطرم

الخطبة الأولى:

فضل الشهادتين

الحمد لله المتفرد بالعظمة والوحدانية، أحمده سبحانه وأشكره على ما هدانا للإسلام وما كنا لنهتدي لو لا أن هدانا الله.

وأشهد ألاَّ إله إلا الله وحده ولا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أفضل من عبد الله. اللهم صلِّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه فسار على ملته، أما بعد:

فياأيها الناس اتقوا الله، ﴿ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾(١).

عبادالله:

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(من شهد ألاَّ إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبدالله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان عليه من العمل)**(٢). وفي حديث عتبان: **(فإن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله)**(٣).

أيها المسلمون: إن هذه كلمة عظيمة، ألا وهي العروة الوثقى، وكلمة التقوى والإخلاص، وهي التي قامت بها السموات والأرض وجاء لتكميلها

---

(١) سورة الحشر، الآية [١٨].

(٢) رواه البخاري رقم (٣٢٥٢)، ومسلم رقم (٢٨).

(٣) البخاري (٤١٥)، ومسلم (٣٣).

السنة والفرض، ولأجلها جردت سيوف الجهاد، وبها ظهر الفرق بين المطيع والعاصي من العباد، من قالها وعمل بها صدقا وإخلاصاً وقبولاً ومحبة وانقيادا أدخله الله الجنة على ما كان من العمل.

عباد الله: إن كلمة التوحيد التي هذا فضلها وهو: دخول الجنة والخروج من النار، هي التي من أجلها خُلِقَ الخلق وبُسِطت الأرض، وأُرسلت الرسل وأنزلت الكتب، ورفعت السماء، ولكن لا بد من معرفة معنى الشهادة بالعلم واليقين والصدق والإخلاص، والعمل بمقتضاها والكفر بما ينافيها، ففي الحديث: **(من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم دمه وماله وحسابه على الله)**[(١)]. وقال تعالى: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ﴾[(٢)]، والعروة الوثقى هي: لا إله إلا الله.

ومع الجهل والشك فلا تعتبر ولا تنفع وقد تضمنت هذه الكلمة العظيمة نفياً وإثباتاً: فنفت الألوهية الحقة عن كل ما سوى الله بقولك: (لا إله) وأثبتت الألوهية الحقة لله وحده بقولك: (إلا الله) قال تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[(٣)]. قال ابن القيم: «الإله هو الذي تألهه القلوب محبة وإجلالا وإنابة وإكراماً وتعظيماً وذلاً وخضوعاً وخوفاً ورجاء وتوكلا»[(٤)].

---

(١) رواه مسلم (٢٣).

(٢) سورة البقرة، الآية [٢٥٦].

(٣) سورة آل عمران، الآية [١٨].

(٤) مدارج السالكين ج١/ ١٨.

وقوله: **(وأن محمداً عبده ورسوله)** أي: بصدق ويقين وذلك يقتضي اتباعه وتعظيم أمره ونهيه، ولزوم سنته ﷺ وأن لا تُعَارَض بقول أحد؛ لأن غيره ﷺ يجوز عليه الخطأ، والنبي ﷺ قد عصمه الله تعالى وأمرنا بطاعته والتأسي به، ورتب الوعيد على ترك طاعته بقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾[(١)].

وقال تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[(٢)].

قال الإمام أحمد رحمه الله: أتدري ما الفتنة؟ الفتنة: الشرك. لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك[(٣)].

وقوله: **(وإن عيسى عبد الله ورسوله)** فيه بيان الحق الذي يجب اعتقاده نحو عيسى عليه الصلاة والسلام، وفيه رد على النصارى الذين جعلوه إلهاً وثالث ثلاثة أو ابن الله (تعالى الله علوا كبيرا).

قوله: **(وأن الجنة حق)** أعدها الله للمؤمنين يوم القيامة وما فيها من القصور والثمار والفواكه والنعيم المقيم والنظر إلى وجه الله الكريم كما قال تعالى: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾[(٤)] وقال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[(٥)].

---

(١) سورة الأحزاب، الآية [٣٦].

(٢) سورة النور، الآية [٦٣].

(٣) رواه ابن بطة العكبري في الإبانة (١/ ٢٦٠/ برقم ٩٧).

(٤) سورة هود، الآية [١٠٨].

(٥) سورة السجدة، الآية [١٧].

وقوله: **(والنار حق)** أعدها الله تعالى لمن كفر به وألحد في أسمائه وصفاته وأشرك في ألوهيته وربوبيته، ومن لم يؤمن بالجنة والنار فقد كفر بالقرآن والرسل عليهم الصلاة والسلام؛ فإن الله تعالى بين الجنة وما أعد فيها للمتقين، وبين النار وما أعد فيها من العذاب وأنه أعدها لمن كفر به وأشرك.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾.

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المؤمنين والمؤمنات فاستغفروه إنه غفور رحيم.

❊ ❊ ❊

الخطبة الثانية

أركان الإســلام

الحمد لله الذي يعز من اعتز به، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين، سبحانه هدانا إلى الإيمان وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأشهد أن لا إله إلا الله من اعتصم بحبله نجا ومن التزم بشرعه فاز، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله جاء بشريعة الإسلام الداعية إلى توحيد الله وإفراده بالربوبية (رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين) صلى الله وسلم على نبينا محمد ومن دعا بدعوته وسلك طريقته إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى؛ فإن بتقواه كل عز وهناء.

عباد الله: اعلموا أنه ما بناء إلا وله أركان وقواعد وأسس يقوم عليها بدوام واستمرار، وأنه متى فقدت هذه الأسس اختل البناء وانهار وتصدع وانقطع استمراره؛ وهذا يعرفه كل واحد منا بشدة حرصه على أسس بيته حينما يهم ببنائه؛ لعلمه أن الخطر يهدده إذا ضعف أساسه، وهذه الخيام وبيوت الشعر لا تنفع صاحبها ولا تقيه من حر وبرد أو مطر إلا بعُمُد.

وأنت أيها المسلم بأعمال الإسلام تبني لك بيوتاً وتشيد لك قصوراً، وتزخرف غرفا تجري من تحتها الأنهار، تحيط بها الأشجار والثمار، فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين، والخلود الذي لا موت بعده، والشباب الذي لا هرم يعقبه، والراحة التي لا سأم بعدها ولا تعب؛ ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ

مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾[١]، أصحابها على سرر متقابلين من الغل والحسد والحقد تراهم سالمين.

أيها المسلمون: لا بد من التساؤل عن أسس هذه البيوت وهذه القصور، ألا وهي تقوى الله تعالى التي تحمل المسلم على الخوف من عذاب الله تعالى ورجاء رحمة الله عز وجل؛ : ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٢].

وهذه التقوى هي الأساس لجميع أعمال الإسلام وهي القابلة لتثبيت أركانه، والداعمة لها، فالإسلام لا بد له من أسس يقوم عليها، يقول الرسول الكريم، والمصطفى الأمين نبي الرحمة والهدى ﷺ: **(بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا)**.

فأول هذه الأركان: توحيد الله في ربوبيته، وألوهيته، وأسمائه، وصفاته، والاعتقاد بأنه لا ند له ولا مثيل، وأن محمداً رسول الله، بمعنى: طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وألاَّ يعبد الله إلا بما شرع، فمن قال: لا إله إلا الله: عن علم ويقين وصدق وإخلاص وعمل بمقتضاها وجدته يحارب الشرك والمشركين، ويبغض الكفر والكافرين، والنفاق والمنافقين والزنادقة والملحدين، ويتبرأ من أفعالهم وأقوالهم ومحاكاتهم، والسفر إليهم دون حاجة ملحة أو ضرورة ماسة.

---

(١) سورة الحجر، الآية [٤٥-٤٨].

(٢) سورة التوبة، الآية [١٠٩].

فهذه طريقة رسول الله ﷺ وأتباعه الذين يسيرون على بصيرة من أمرهم، شأنهم ودينهم تنزيه الله تعالى والبراءة من أعدائه أيا كان مبدأهم ومذهبهم يهوداً ونصارى، عرباً أو عجماً ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾(١).

ومن قال: لا إله إلا الله فإنه لم يدع إلا الله؛ : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾(٢).

ولا يستغاث إلا به، ولا يذبح إلا له وباسمه، ولا يستعان إلا به، ولا ينذر إلا له، ولا يطاف إلا بكعبته؛ رغبة ورهبة وخشوعاً له، صفة الصالحين المؤمنين الصادقين المسارعين في الخيرات؛ : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾(٣).

ومن قال: لا إله إلا الله محبة ورغبة، وصدقاً وإخلاصاً، وجدت عمله فيما يرضي الله تعالى ولو سخط الناس، فهو يتوكل عليه ويفوض أمره إليه، ولا يحلف إلا به ولا يسوي به أحداً من المخلوقين؛ لعلمه أنه إذا أرضى الله تعالى بسخط الناس يرضى الله تعالى عنه ويرضي عنه الناس، وإن أسخط الله تعالى برضى الناس يسخط الله عليه ويسخط عليه الناس.

فاتقوا الله تعالى في أنفسكم؛ فهذه كلمة الإخلاص ومفتاح الجنة تزن الأرض والسماء لو وزنت بهما، فحققوها أيها المسلمون قولاً واعتقاداً وعملاً تفلحوا وتفوزوا في الدنيا والآخرة.

---

(١) سورة يوسف، الآية [١٠٨].

(٢) سورة غافر، الآية [٦٠].

(٣) سورة الأنبياء، الآية [٩٠].

أعـوذ بـالله مـن الـشيطان الـرجيم ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِىٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِىٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴾[١].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقـول قـولي هـذا وأسـتغفر الله العظـيم لـي ولكـم ولـسائر المـسلمين والمسلمات من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❋ ❋ ❋

---

(١) سورة الشورى، الآية [١٣].

الخطبة الثالثة:

الإيـــمان

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ؛ ليظهره على الدين كله ، وكفى بالله شهيداً ، أحمده سبحانه وأشكره وأسأله من فضله مزيدا ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ؛ إقراراً به وتوحيداً ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وأمينه على وحيه ، الذي كان من لم يتبعه عنيداً.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه وعلى جميع أتباعه.

أما بعد :

فيا أيها الناس : اتقوا الله تعالى ، وحققوا إيمانكم ، واصدقوا مع ربكم ؛ فلا تجعلوا إيمانكم وإسلامكم قولاً بألسنتكم وشعاراً في حفائظ نفوسكم ؛ فإن للإيمان فرائض وشرائع وحدوداً وسنناً فمن استكملها استكمل الإيمان ، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان ، فالإيمان يتفاضل بتفاضل أهله ، حسب أعمالهم تتباين درجاتهم ، فقد اتفق الصحابة والتابعون ومن بعدهم من علماء أهل السنة والجماعة على أن الأعمال بالنيات ، وأنها سبب لدخول الجنة ؛ قال تعالى : ﴿ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾(١) أي : بسبب ما كنتم تعملون.

عباد الله : اعلموا أن الإيمان قول باللسان وعقيدة بالجنان وعمل بالأركان ، هذه عقيدة الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، ويعتقدون أيضاً أنه يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ؛ قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا

(١) سورة النحل ، الآية [٣٢].

تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾(١)، وقوله: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾(٣).

فدلت هذه الآيات على أن الأعمال كلها إيمان، كما دل على ذلك حديث أبي هريرة: **(الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول: لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان)**. فجعل النطق بلا إله إلا الله إيماناً والحياء إيماناً وإماطة الأذى عن الطريق إيماناً.

عباد الله: إن كلام المرء بذكر الله تعالى إن لم يقترن به عمل صالح لم ينفع، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾(٥).

فدلت هذه الآيات على أن العمل لا بد منه، فمن خالف قوله فعله بأن ادعى الإيمان ولم يعمل فهو وبال عليه ويعتبر إيمانه إيمان المنافقين الذين يقولون بألسنتهم ماليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون.

---

(١) سورة الأنفال، الآية [٢-٤].

(٢) سورة التوبة، الآية [١٢٤].

(٣) سورة فاطر، الآية [١٠].

(٤) سورة الملك، الآية [٢].

(٥) سورة الإسراء، الآية [١٩].

أيها المسلمون: ما أكثر هذه النوعيات في المجتمعات الإسلامية، أعني الذين يدعون الإسلام والإيمان ولكنهم لا يستسلمون للأعمال أو يقصرون فيها.

فكم من مدعٍ للإسلام يترك الصلاة، أو يتساهل بها، أو فيما يجب لها، وكم من مدعٍ للإسلام يبخل بزكاة ماله، وكم من مدعٍ للإسلام يخالف أمر ربه عز وجل وأمر رسوله ﷺ، فيرتكب المحرمات؟! فلا ندري ما معنى دعواه للإيمان أهو تمنٍ منه؟! أم لا يعرف معنى الإيمان؟! أم هو مكذب بما يؤول إليه الإنسان من جنة أو نار؟!.

والمقصود أيها المسلمون: أن الإيمان مرتبط بالأعمال الصالحة فلا يقبل أحدهما إلا بالآخر، ومن لم يجمع بين الإيمان والعمل الصالح فإيمانه تمنٍ كما تمنت العرب الذين قالوا: لا نبعث ولا نحاسب، فالإيمان ما وقر في القلب وصدقته الأعمال.

ومن هنا يتبين لنا غلط كثير من المسلمين الذين يرتكبون بعض المخالفات، فحين يأمرهم الآمر أو ينهاهم الناهي يضرب على صدره ويقول: التقوى هاهنا، ولم يعلم أنه لو كان هنا تقوى لظهرت آثارها وثمارها في أعماله، فمن أين له التقوى وهو متساهل في صلاته؟ وأين التقوى وهو يؤمر بمتابعة الرسول بإعفاء لحيته فيخالف بحلقها، ويقول: التقوى هاهنا؟ وأين التقوى وهو يؤمر بترك محرم كالدخان والمسكرات والمخدرات فلا ينتهي ويقول: التقوى هاهنا؟.

أما علمت - يا أخي المسلم-أن تمنيك هذا كتمني اليهود والنصارى التي ادعت كل واحدة منها أنه لا يدخل الجنة غيرها ؛ لذا قال الله تعالى فيهم : ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾[1].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

---

(١) سورة النساء، الآية [١٢٣-١٢٥].

الخطبة الرابعة:

الحث على التمسك بالإسلام

الحمد لله الذي يعز من اعتز به، وتمسك بكتابه، والتزم بشرعه، ﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(١) وأشهد أن لا إله إلا الله هدانا إلى صراطه المستقيم، ﴿ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴾(٢)، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، نبي الهدى والسلام، والداعي إلى شريعة العدل جميع الأنام، ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾(٣)، اللهم صلِّ وسلم وبارك على عبدك ونبيك خير الداعين إليك وسلم تسليما كثيراً أما بعد: فيا أيها الناس اتقوا الله تعالى عباد الله المسلمين.

أيها المسلمون: يا أهل لا إله إلا الله، يا من أقررتم برسالة محمد ﷺ من عند الله، إن الله تعالى أرسله؛ ليعلن كلمة التوحيد لا إله إلا الله، ويحذر من ضدها وهو الشرك، ويكبر ربه وينزهه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنذِرْ ۝ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴾(٤) فامتثل أمر ربه غير خائف ولا وجل من قومه، وأعلن لا إله إلا الله وأنذر عن الشرك بالله، فبدأ بعشيرته الأقربين، ويعم بها الأبعدين ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾(٥) فانقسم الناس على ذلك إلى قسمين

(١) سورة الزخرف، الآية [٤٣].
(٢) سورة الشورى، الآية [٥٣].
(٣) سورة الصف، الآية [٩].
(٤) سورة المدثر، الآية [١-٥].
(٥) سورة الحجر، الآية [٩٤].

مؤمن به وكافر، فأما المؤمن فهو مَنْ قَبِلَ رسالة محمد صدقاً وإخلاصاً وآمن بوعده ووعيده المؤجل له في الآخرة، والمعجلة له آثارها في الدنيا، والكافر من أبى عن طاعة رسول الهدى، وآثر الدنيا وزينتها على الآخرة التي تبقى؛ ومعلوم أن كل صنف نصب للصنف الآخر العدا، والكفار حينئذ أشد قوة وأكثر عددا، فَئَاذوا رسول الهدى ومن آمن معه من أهل التقى، حتى أظهر الله تعالى دين رسوله على الدين كله ولو كره المشركون، ثم إن الله تعالى بين حكم الكفر بعد الإيمان إلا إذا كان رجوعه مكرهاً بالقول دون الفعل والاعتقاد؛ قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ﴾ فذكر الله تعالى في هذه الآية:

أولا: أن المسلم إذا أوذي من قبل الكفار بما يؤدي إلى قتله أو ما يؤلمه؛ فإنه يجوز له أن ينطق بكلمة الكفر؛ متخلصاً من هذا الأذى، كما جرى ذلك لعمار ابن ياسر رضي الله عنهما الذي اشتد عليه أذى الكفار حتى سب رسول الله ﷺ ومدح آلهتهم، ولكن ما في قلبه لا يستطيعون تحويله؛ لأن ذلك بيد الله تعالى، يوضح هذا أن عماراً رضي الله عنه ذهب إلى رسول الله ﷺ يعتذر، فقال عليه الصلاة والسلام: **(كيف تجد قلبك؟)** قال: مطمئناً بالإيمان. قال: **(لا عليك)**، وفي رواية: **(فإن عادوا فعد)**. هذا إذا كان نطقاً باللسان فقط؛ لقوله: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ﴾[1].

ثانياً: أما من تواطأ قلبه بالكفر مع اللسان، ومات على ذلك فهو مرتد عن ملة الإسلام؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ۝٩٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ﴾[2].

(١) سورة النحل، الآية [١٠٦].
(٢) سورة آل عمران، الآية [٩٠-٩١].

أيها المسلمون: إنَّ صبر المؤمن على إيذاء الكفار؛ ليغيظهم، ولا يشمتهم بالمسلمين، ولا يفرحهم عليهم فهو أجر له، فهذا بلال ﷺ مؤذن الرسول عليه الصلاة والسلام يشتد عليه أذى الكفار حتى إنهم ليضعون الصخرة على صدره وهو يقول: أحد أحد، لو أعلم أن كلمة تغيظكم غيرها لقلتها. وهذا حبيب بن زيد الأنصاري ﷺ يقول له مسليمة الكذاب: أتشهد أن محمداً رسول الله؟ فيقول: نعم أشهد أن محمداً رسول الله، فيقول له مسليمة: أتشهد أني رسول الله؟ فيقول حبيب: لا أسمع، فجعل يقطعه عضواً عضوا وهو باق على إيمانه.

وهذا عبدالله بن حذافة السهمي يأخذه ملك النصارى أسيراً عنده، ويقول: اتبعني وأشركك في ملكي، وهو يقول: لا أبغي بدين محمد بديلا، ثم يُحْمِي ملك الروم النحاس بالنار، وتغلى القدور أمامه، فيبكي عبدالله بن حذافة ﷺ فطمع به ملك الروم، فدعاه، فقال: تتبعني وتترك دينك، فقال: ما بكيت خوفاً على نفسي، ولكن وددت أن يكون لي نفوساً عدد شعري من المسلمين يعذبون هذا العذاب؛ ليدخلوا الجنة بغير حساب، وفي رواية: أنه حبسه عن الطعام والشراب ثلاثة أيام، فأرسل إليه الخمر والخنزير، فامتنع عن الأكل، وقال: إني لأعلم أنها تباح لي، ولكن لا أشمتك بالمسلمين.

أيها المسلمون: هذه نماذج من ثبات المسلمين على شدة الأذى من الأعداء. نسأله الثبات في الآخرة والأولى، وإذا فهمنا هذا الحكم وهذه النماذج من المسلمين فهل يسوغ للمسلم وابن المسلمين ومن نشأ في بيئة التوحيد وتحت راية لا إله إلا الله محمد رسول الله أن يذهب إلى بلاد الكفار فيتشبه بهم بتناول الخنزير والخمور، وفعل البغاء، ويوافقهم في مظاهرهم باسم أنه ذهب إليهم ليتعلم علوما ليست عندنا في مدارسنا وجامعاتنا ثم يعود متنكراً علينا، وعلى

أوضاعنا وعاداتنا العربية والإسلامية، وإذا فهمنا عداء الكفار للإسلام والمسلمين وأذاهم لهم وحرصهم على إذلالنا وهزيمتنا عسكرياً ومعنوياً، فلنكن على حذر منهم، ولا ينبغي لابن الإسلام ومن نشأ تحت راية لا إله إلا الله محمد رسول الله، أن يتلقف ما استورد من عاداتهم وتقاليدهم التي تخالف وتناقض مبادئ ديننا الحنيف فيعيش بين المسلمين مناصراً للكفار بإظهار بدعهم من أعياد تخالف أعيادنا، وارتكاب للمحرمات من مسكرات وغيرها.

فلنتق الله تعالى في ديننا الحنيف ولنتخلق بآداب قرآننا، والحذرالحذر من التمادي فيما يغضب رب العالمين، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾(١).

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

---

(١) سورة الأنفال، الآية [٢٤].

الخطبة الخامسة:

الاستغناء بالشريعة عما سواها

الحمد لله عالم الغيب والشهادة، المطلع على السر والعلانية، أحمده سبحانه وأشكره على جزيل نعمه المتوالية، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، العالم بمصالح خلقه حالاً ومآلا.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أخشى الخلق لربه وأكثرهم له إجلالاً، وأحسنهم فعالاً، اللهم صلِّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى، واخشوا يوماً لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا، مادمتم في دار العمل والإمهال فاعملوا ما يرضى الله تعالى عنه، واجتنبوا كل طريق كان فيه اعوجاج؛ قال الله تعالى آمراً نبيه ﷺ - وأمره لنبيه أمر لأمته-: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۖ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾(١).

عباد الله إن الله تعالى أغنانا بالحنيفية السمحة عبادات ومعاملات فيما بيننا وبين خالقنا، أو فيما بيننا وبين الناس عن كل قانون وضعي؛ غربياً كان أم شرقياً إنسياً كان أم جنياً، والذي هو من زخرف القول لا يؤمن به إلا من خف ميزانه عند ربه، وضعف إيمانه بآخرته ورغب عن إسلامه.

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ

---

(١) سورة الجاثية، الآية [١٨-١٩].

﴿أَفْئِدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾(١). لقد أغنانا الله تعالى بالإسلام بما يسره لنا على لسان نبيه ﷺ، وسهله لأمته عن الدخول في طرق المكر والكذب والخيانة والغش والخداع؛ ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾(٢)، ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾(٣)، فأغنانا بالحق عن الباطل وماذا بعد الحق إلا الضلال والكفر والفسوق ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾(٤).

فهل نحن بما أغنانا الله تعالى مستغنون، وبما شرعه لنا عاملون، وبذلك يصدق علينا أننا مسلمون.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾(٥).

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

---

(١) سورة الأنعام، الآية [١١٢-١١٣].

(٢) سورة البقرة ، الآية [١٨٥].

(٣) سورة الحج، الآية [٧٨].

(٤) سورة يونس، الآية [٣٢].

(٥) سورة الجاثية، الآية [١٨-١٩].

الخطبة السادسة:

والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض

الحمد لله الذي أعد للمؤمنين دار كرامته، وللمنافقين والكافرين أليم عقابه؛ جزاء وفاقا، أحمده سبحانه وأشكره، على عموم فضله ونعمه التي من أجلّها بيانُ صفات الخير لمبتغيها وسالكيها، وتبيين طرق الشر لمريد اجتنابها والهرب عنها، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له معز من أطاعه ومذل من خالف أمره وعصاه، في دنياه وأخراه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أكمل المؤمنين إيمانا وأحسنهم خلقا وأعرفهم بالله صدقا ويقينا، اللهم صلِّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه المتآزرين على ما يقتضيه الإيمان برب العالمين وعلى ما يتحصنون به من شر الشياطين.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى، واعلموا أنه ما من إنسان يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله إلا ويرجو رحمة الله ومرضاته ومغفرته وجنته وسعادته في دنياه وآخرته، وأن من يرجو هذه الأمور فلا بد أن يخاف من أضدادها، فيخاف من غضب الرب وسخطه، ومن الجبار وسطوته، ومن التعاسة والشقاوة وانعكاس أمره عليه في دنياه وآخرته وهذه صفات المؤمنين المتقين كما بينها تعالى بقوله: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[1] فهذه الصفات هي أسباب

---

(١) سورة التوبة، الآية [٧١].

النصرة والرحمة، والعزة والكرامة، والمغفرة ودخول الجنة، قال الحافظ ابن كثيررَحِمَهُ اللَّهُ: أي: يتناصرون ويتعاضدون كما جاء في الصحيح: **(المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا)**، وشبك بين أصابعه. وفي الصحيح أيضا: **(مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر)**.

فمقتضى هذا: أن المؤمن يحب لأخيه كل خير، ويود أن يبعد عنه كل شر، كما يرغب ذلك لنفسه، وهذا من أكمل الإيمان وأتمه؛ قال ﷺ: **(لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)**. وهذا ما تعنيه الولاية في قوله سبحانه: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ فالولي لا يغش من تولاه ولا يخونه، وأيضا هو معنى الدعوة إلى الخير وإلى المعروف، كما تقتضي الولاية بين المتوالين والمتآخين أن يزيحوا المنكر عن مجتمعاتهم وينزهوا أنفسهم عن أدرانه وآثامه، وأن يتوجهوا إلى ما يصلهم بربهم وخالقهم، ويداوموا عليه وهي الصلاة، وأن يصلوا ما أمر الله تعالى بصلته من خلقه بسلام أو مال، وهذا ما تفرضه طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺفمتى وجدت هذه الأسباب وجد الفرد الصالح ووجدت الأمة المتحدة بالإيمان.

﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ يتجهون بهذه الولاية إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإعلاء كلمة الله، وتحقيق الوصاية لهذه الأمة في الأرض.

﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ وهي: الصلة التي تربطهم بالله تعالى ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ وهي: الفريضة التي تربط بين الجماعة المسلمة، وتحقق الصورة المادية والروحية للولاية والتضامن.

﴿ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾ فلا يكون لهم هوى غير أمر الله تعالى، وأمر رسوله ﷺ، ولا يكون لهم دستور إلا شريعة الله تعالى ورسوله ﷺ، ولا يكون لهم منهج إلا دين الله تعالى ورسوله ﷺ، ولا يكون لهم الخيرة إذا قضى الله تعالى ورسوله ﷺ، وبذلك يوحدون نهجهم وهدفهم وطريقتهم، فلا تتفرق بهم السبل عن الطريق الواحد الواصل المستقيم.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُ ﴾ أي: سيرحم الله من اتصف بهذه الصفات، والرحمة لا تكون في الآخرة وحدها، إنما تكون في هذه الأرض أولاً، ورحمة الله تشمل الفرد الذي ينهض بتكاليف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وتشمل الجماعة المكونة من أمثال هذا الفرد الصالح برحمة الله في اطمئنان القلب والاتصال به، والرعاية والحماية من الفتن والأحداث، ورحمة الله في صلاح الجماعة وتعاونها وتضامنها واطمئنان كل فرد للحياة واطمئنانه لرضا الله تعالى.

إن هذه الصفات الأربع في المؤمن وهي: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة؛ لتقابل صفات المنافقين وهي: الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف ونسيان الله .. وإن رحمة الله للمؤمنين لتقابل لعنته للمنافقين والكفار، إن تلك الصفات التي وعد الله تعالى المؤمنين عليها بالنصر والتمكين في الأرض ليحققوها في وصايتهم الرشيدة على البشرية.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ قادر على إعزاز الفئة المؤمنة، ليكون بعضها أولياء بعض في النهوض بهذه التكاليف، حكيم في تقدير النصر والعزة لها؛ لتصلح في الأرض وتحرس كلمة الله بين العباد، وإذا كان عذاب جهنم ينتظر المنافقين

والكافرين، وكانت لعنته لهم بالمرصاد، وكان نسيانه لهم يدفعهم بالضآلة والحرمان، فإن نعيم الجنة ينتظر المؤمنين.

﴿ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ﴾(١).

فاتقوا الله أيها المسلمون، وكونوا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾(٢).

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾(٣).

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

---

(١) سورة الصف، الآية [١٢].

(٢) سورة الصف، الآية [٤].

(٣) سور التوبة، الآية [٧١-٧٢].

الخطبة السابعة:

حلاوة الإيمان

الحمد لله على نعمه وعلى ما هدانا إليه من حبه وحب رسوله وكتابه، أحمده سبحانه، فلا حب خالص إلا له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، المتفرد بكمال الجلال والقدرة الموجبة لإفراده بالحب والعبادة، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي حبه مقدم على حب النفوس، اللهم صلِّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه، أهل الحب والوفاء لله وللمصطفى.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى حق التقوى، واعملوا بما يحب ويرضى، واعلموا أن حلاوة الإيمان بتقديم العبد حب الله تعالى ورسوله ﷺ على كل ما يهوى؛ ففي الحديث الشريف: **(ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد رسولا)**.

فالمؤمنون لا يقدمون محبة أحد على محبة الله تعالى ورسوله ﷺ؛ قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾[1].

عباد الله: لقد جاء الوعيد الشديد والعذاب الأكيد لمن قدم حب العبيد على حب رب العبيد، وحكم عليه بالفسق والخروج عن الطريق؛ قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[2]، وإذا قدم الإنسان محبة

---

(١) سورة البقرة، الآية [١٦٥].

(٢) سورة التوبة، الآية [٢٤].

شيء على حب الله تعالى، استحق نفي الإيمان عنه أو بعض الإيمان الواجب؛ قال عليه الصلاة والسلام: **(لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين)**. وقال عمر بن الخطاب ﵁: (يا رسول الله، لأنت أحب إليَّ من كل شيء إلا نفسي)، فقال النبي ﷺ: **(لا، والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك)**، فقال له عمر: (والله لأنت أحب إليَّ من نفسي)، فقال النبي ﷺ: **(الآن ياعمر)**.

عباد الله: إن للإيمان حلاوة وطعما وتلذذا لا يذوقها ولا يتلذذ بها إلا من أثرت فيه محبة الله تعالى ومحبة رسوله ﷺ، وكانت المحركة له في تقديم محبة الله تعالى ومحبة رسوله ﷺ على محبة نفسه، ومحركة له بالهروب عن الكفر، ومحركة له بحب ما يحبه الله تعالى ورسوله ﷺ، وبغض ما يبغضه الله تعالى ورسوله ﷺ، وبهذا يكون ولياً لله تعالى؛ وفي الحديث: **(ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه، كما يكره أن يقذف في النار)**. وفي الأثر عن ابن عباس: (من أحب في الله، وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله؛ فإنما تنال ولاية الله بذلك).

أيها المسلمون: إن لمحبة الله تعالى أسبابا استنبطها علماء المسلمين من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ:

أحدها: قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه وما أريد به.

الثاني: التقرب إلى الله تعالى بالنوافل بعد الفرائض.

الثالث: دوام ذكره على كل حال باللسان والقلب والعمل والحال، فنصيبه من المحبة على قدر هذا.

الرابع: إيثار محبته على محبة نفسك عند غلبات الهوى.

الخامس: مطالعة القلب لأسمائه وصفاته ومشاهدتها، وتقلبه في رياض هذه المعرفة وميادينها.

السادس: مشاهدة بره وإحسانه ونعمه الظاهرة والباطنة.

السابع: وهو أعجبها انكسار القلب بين يديه.

الثامن: الخلوة وقت النزول الإلهي وتلاوة كتابه ثم ختم ذلك بالاستغفار والتوبة.

التاسع: مجالسة المحبين الصادقين، والتقاط أطايب كلامهم، ولا تتكلم إلا إذا ترجحت مصلحة الكلام وعلمت أن فيه مزيداً لحالك ومنفعة لغيرك.

العاشر: مباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله عز وجل.

وقد قيل في تفسير قوله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ﴾(١)، **لا يجد طعمه ونفعه إلا من آمن بالقرآن، ولا يحمله بحقه إلا الموقن؛ لقوله تعالى**: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢا﴾(٢).

قال **تعالى**: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾(٣).

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

---

(١) سورة الواقعة، الآية [٧٩].

(٢) سورة الجمعة، الآية [٥].

(٣) سورة الحجرات، الآية [٧].

الخطبة الثامنة:

طاعة ولي الأمـــر

الحمد لله الذي خلق آدم من سلالة من طين، وجعل نسله من ماء مهين، وأشهد ألاَّ إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الحق المبين وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين، اللهم صلِّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى وأطيعوه، وراقبوا أمره ولا تعصوه، واشكروه على جميع نعمه ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾(١).

عباد الله: اعتصموا بحبل الله تعالى جميعا ولا تفرقوا، واجتهدوا في إصلاح ذات البين؛ فإن فساد ذات البين هي الحالقة للدين، واحذروا النزاع وأسباب التفرق: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾(٢).

ومن أسباب التفرق وتمزيق القلوب: الحسد، والتباغض، والتدابر، وفعل ما يسخط الآخر كالنجش، وهو: أن يزيد في ثمن السلعة بعد أن يرضى صاحبها ببيعها للسائم الأول، أما ما دامت في السوق وصاحبها يطلب الزيادة فلا بأس، وبيعه على بيع أخيه، وشرائه على شراء أخيه، فاحذروا أسباب التفرق؛ لأنه من أمور الجاهلية.

---

(١) سورة الزمر، الآية [٧].

(٢) سورة الأنفال، الآية [٤٦].

واعلموا أن الله تعالى أمر ولاة أمور المسلمين بأن يؤدوا ما بأعناقهم من الأمانة للرعية، وأن يحكموا بالعدل فيقيموا الحدود والتعزيرات، ويردعوا العصاة عن المعاصي، وأن يرفقوا بالرعية، فلا يكلفوهم ما يشق عليهم؛ قال تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[1]، وأمر الرعية بأن يسمعوا لهم ويطيعوهم فيما أمروهم أو نهوهم مالم يكن في معصية الخالق؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾[2].

فوجوب طاعة ولي أمر المسلمين عقيدة دينية يدين بها المسلم لربه، فإن أمره أميره أو مديره بأمر وجب عليه تنفيذه ما لم يكن معصية لله تعالى، وإن نهاه عن فعل شيء وجب الانتهاء عنه، وولاة الأمور هم العلماء والأمراء، فطاعة هؤلاء فيها مصلحة الدين والدنيا، ومخالفتهم فيها فساد الدين والدنيا، فولي الأمر جُنة: أي: ستر وحجاب، ونعمة على المجتمع الإسلامي يقودهم للجهاد في سبيل الله تعالى، والدفاع عن الأعراض والأموال، ويقودهم من له الولاية على الحرمين في الحج، ويولي من هو أهل للولاية على مصالح المسلمين، ويعزل من ليس أهلاً، ويحمي سبيل المسلمين عن من يحاول قطع الطريق والتعرض للمسلمين، ويأخذ أموالهم، أو يقتلهم، أو ينتهك أعراضهم، ويضرب على يد من يريد الإخلال بالأمن.

فلهذه المصالح وغيرها قال العلماء: تجب طاعة الأمير ولو كان فاسقا بنفسه، فإن صلى بالناس إماماً وجب أن يصلوا معه.

---

(١) سورة الشعراء، الآية [٢١٥].

(٢) سورة النساء، الآية [٥٩].

وكما تجب طاعة ولاة الأمور يجب النصح لهم، وإظهار محاسنهم وإخفاء مساوئهم، ويحرم الكلام بما يوقع بغضهم في القلوب أو ينفر عنهم، ومن لم يقدر على النصح دعا لهم.

ويروى عن الإمام أحمد، والفضيل بن عياض: «لو أعلم أن لي دعوة مستجابة لصرفتها لولي الأمر؛ لأن في صلاح ولي الأمر صلاح الرعية»، وهذا من فقههما رحمهما الله تعالى؛ ففي الحديث: **(إن الله تعالى يرضى لكم ثلاثاً أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وأن تجتمعوا ولا تفرقوا وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم)**.

ويشترط لنصح ولي الأمر: صلاح نية الناصح، وصدقها، ويعرف ذلك بألاَّ يرى منه الافتخار بأنه يصل إلى الأمراء والحكام، بل يخفي نصيحته؛ فإن صادفت قبولا كان دالا على الخير، والدال على الخير كفاعله، وإن صادفت ردا فقد برئت ذمته، ففي احترام ولاة الأمور من الأمراء والعلماء عز المجتمع؛ لأن ذلك سبب لوحدة الكلمة، ووحدة الكلمة لها روعتها ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾[1].

فلا يوقع بهم الكلام لا سيما مع الصغار والعوام، والذين لا يعرفون العواقب؛ فالكتاب والسنة مملوءان بهذا المعنى، وإليكم أقوال بعض العلماء في تفسير الآية الكريم: أطيعوا السلطان في ضرب الدراهم، والدنانير، والمكاييل، والموازين، والأحكام، والحج، والجمعة، والعيدين، والجهاد.

قال بعض المفسرين: لو نهى السلطان العالم عن الفتوى فليس له أن يفتي؛ فإن أفتى فهو عاصٍ؛ لأن الفتوى علاج للقلوب، فلا بد أن ينظر السلطان في طبيب القلوب؛ فهو أولى بالنظر من طبيب الأجسام ومثله المعلم.

---

(١) سورة آل عمران، الآية [١٠٣].

ومن أمثلة ما يطاعون به: سائر الأنظمة التي فيها مصلحة للمجتمع، ولا تخالف نصا من الكتاب والسنة، وكما تجب الطاعة لولاة الأمور من المواطنين فيه تجب أيضاً على المقيمين والزائرين فيجب عليهم أن ينفذوا ماالتزموا به من شروط وضعتها الدولة فلا يعيثون في الأرض فسادا، ولا يبثون كلاما مسموما ولا يغشون في أعمالهم؛ فمن خالف ما التزم به من الشروط، أو أعان على المخالفة فهو عاص لولاة الأمور، ففي الحديث الشريف: **(من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع الأمير فقد أطاعني ومن عصاه فقد عصاني)**. وفي الحديث الآخر: إن سلمة بن يزيد سأل رسول الله ﷺ قال: (يا نبي الله، أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألون حقهم ويمنعونا حقنا فما تأمرنا؟ فأعرض عنه حتى سأله الثانية والثالثة فجذبه الأشعث بن قيس، فقال: **(اسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم)**.

وفي الحديث الآخر: **(إنها ستكون بعدي أثرة وأمور تنكرونها)**. قالوا: يارسول الله، كيف تأمر من أدرك ذلك منا؟ قال: **(تؤدون الحق الذي عليكم وتسألون الله الذي لكم)**. وفي رواية: **(وتسألون لهم الهداية)**.

وفي الحديث الآخر: **(خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم)**. قالوا: يارسول الله، ألا ننابذهم؟ عند ذلك قال: **(لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، لا، ما أقاموا فيكم الصلاة)**. وفي الحديث الآخر: **(ألا من ولي عليه وال فرآه يأتي شيئا من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزعن يداً من طاعة)**. وفي الحديث الآخر: **(على المرء السمع والطاعة فيما أحب أو كره إلا أن يؤمر بمعصية فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة)**. أي: لا ينفذ ما

أمر به من المعصية، أما ما أمر به من الطاعات فعليه تنفيذه، ولهذه النصوص ولغيرها قال بعض العلماء: لا يزال الناس بخير ما عظموا السلطان والعلماء؛ فإذا عظموا هذين أصلح الله دنياهم وأخراهم، ومن تعظيم العلماء والحكام ألاَّ ينشر الإنسان أو يذيع أمرا أو حدثا رآه، بل يرد لهاتين الفئتين؛ قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾(١).

قال القرطبي رحمه الله في أحكام القرآن: «والمعنى أنهم إذا سمعوا شيئا من الأمور فيه أمن نحو ظفر المسلمين وقتل عدوهم، ﴿أَوِ ٱلۡخَوۡفِ﴾ وهو ضد هذا ﴿أَذَاعُواْ بِهِۦ﴾، أي: أفشوه وأظهروه وتحدثوا به قبل أن يقفوا على حقيقته؛ ولا يصدر هذا من أقوياء المسلمين وأهل العقول السليمة، ولهذا قال بعض المفسرين: إنه يصدر من ضعفة المسلمين؛ لأنهم كانوا يفشون أمر النبي ﷺ ويظنون أنهم لا شيء عليهم في ذلك»(٢).

كما نقل عن الضحاك قال: «هو في المنافقين، فنهوا عن ذلك؛ لما يلحقهم من الكذب في الإرجاف».

وقال القرطبي رحمه الله أيضا في قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ﴾: «أي: لم يحدِّثوا به ولم يفشوه حتى يكون النبي ﷺ هو الذي يحدث به ويفشيه، أو أولوا الأمر وهم: أهل العلم والفقه».

كما نقل عن بعض التابعين أن المراد بولي الأمر: الولاة، وقيل: أمراء السرايا، ولا يمنع أن تشمل الآية العلماء والولاة المؤمنين العاملين بشرع الله تعالى.

---

(١) سورة النساء، الآية [٨٣].

(٢) أحكام القرآن (٥/٢٩١).

ولا مانع أن يكون الإخبار للمسئول المباشر أو المسئول العام حسب الحال والمصلحة، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾(١). قال القرطبي: «أي: لعلموا ما ينبغي أن يفشى منهم، وما ينبغي أن يكتم، فلو تأدب المسلمون بآداب القرآن وتخلقوا بأخلاقه لسلمت صدورهم، واجتمعت كلمتهم، وانتصروا على عدوهم».

ولولاة الأمور والرعايا الأسوة الحسنة في رسول الله ﷺ وأصحابه حينما جاءه خبر بني قريظة ونقضهم للعهد بعد انهزام الأحزاب في غزوة الخندق، حيث بعث إليهم بعض الصحابة؛ ليتثبت عن نقض بني قريظة، ثم قال لهم رسول الله ﷺ كلاماً معناه: إذا وجدتهم لم ينقضوا فارفع صوتك بالخبر إذا أقبلت علينا، وإن وجدتهم قد نقضوا فأعطني الإشارة من دون أن يسمع الصحابة(٢)، فالرسول ﷺ أراد منه أن يرفع صوته عند عدم نقضهم العهد؛ لما في ذلك من تقوية لنفوس المسلمين ورفع لمعنوياتهم.

وكذا الإشارة حال نقضهم العهد؛ لما في ذلك من تشجيع للمنافقين وليكون الإخبار من جهة الرسول ﷺ حسب الطريقة التي يراها.

ولهذا خطب الرسول ﷺ بالصحابة بعد صلاة الظهر وأمرهم ألاَّ يصلوا العصر إلا في بني قريظة، فما كان منهم رضي الله عنهم إلا السمع والطاعة.

---

(١) سورة النساء، الآية [٨٣].

(٢) انظر: البداية والنهاية للحافظ ابن كثير ٦/٣٧، تحقيق التركي.

فالمسلم حقا يعمل بما سمع من كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، ولو خالفهما الكثير من الناس؛ قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾(١)، وقال: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾(٢).

فالعبرة أيها المسلمون، بمن نجا كيف نجا وليس العبرة بمن هلك كيف هلك.

فلا تستوحشوا من الطريق لقلة السالكين، ولا تغتروا بكثرة الهالكين.

نسأل الله تعالى العفو والعافية في الدنيا والآخرة، كما نسأله السلامة من حقوق خلقه والإعانة على أداء حقه، وأن يجعلنا من المتعاونين مع ولاة أمورنا على البر والتقوى وألاَّ يجعلنا من المتعاونين على الإثم والعدوان.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾(٣).

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

---

(١) سورة الأنعام، الآية [١١٦].

(٢) سورة سبأ، الآية [١٣].

(٣) سورة النساء، الآية [٥٩].

الخطبة التاسعة:

التحذير من البدع

الحمد لله الذي أمرنا باتباع أوامره، ونهانا عن ارتكاب نواهيه، أحمده سبحانه وأشكره على نعمة الإيمان، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، وأشهد أن لا إله إلا الله، قوله الحق وله الملك وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله القائل: **(إياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار)**. صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه الذين تمسكوا بكتاب ربهم فصفت عقيدتهم ورسخ إيمانهم، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فاعلموا أيها الناس، أن أعظم النعم على الإنسان العقل؛ لأنه الآلة في معرفة الإله سبحانه وتعالى، والسبب الذي يتوصل به إلى تصديق الرسل، فالعقل لاستبصار الحق مثل العين لرؤية الشمس والقمر والطرق، فعلى كل ذي عقل سليم أن يحذر من البدع ومحبتها والعمل لإظهارها وتشجيع أصحابها، وأن لا يستحسن ما ليس بالحسن؛ ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾[1] فهناك للبدع شيطانان: شيطان إنس وشيطان جن يزينانها ويحسنانها، فالعاقل يحذر ذلك؛ ﴿فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2]، ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾[3].

---

(١) سورة فاطر، الآية [٨].

(٢) سورة النحل، الآية [٦٣].

(٣) سورة الأنعام، الآية [١١٢].

أيها المسلمون: إن البدع المذمومة هي: ما حدثت على خلاف دليل شرعي وتضمنت معصية الله تعالى ومعصية رسوله ﷺ، لارتكاب أصحابها ما نهتهم عنه شريعة الله تعالى، وفي هذه الأيام ظهرت في بلادنا بدع كثيرة: اعتقادية وعملية، وبلادنا التي حباها الله جل وعلا بنور العلم والمعرفة على أيدي دعاتها وحكامها المخلصين، وقد طهرها الله تعالى -ولله الحمد- من درن الشرك والأدناس وظهور البدع، وانتشار المعاصي، إلا أننا بحكم الانفتاح في وسائل الحياة واحتياجاتنا في الأعمال لغيرنا؛ الأمر الذي أثر فينا بالاختلاط، فالاختلاط أوجد بعض المعاصي والبدع وتكاثرت، ووجودها من بعض الأفراد غير مستغرب ولا مستنكر، وإنما الخوف من الدعوة إليها حتى تصبح السنة بدعة، والبدعة سنة، ولقد حذرنا الرسول ﷺ أشد التحذير من البدع التي تخالف السنة، وأمرنا بأخذ ما آتانا وأن نترك ما نهانا عنه، وقد جاء في الحديث في خطبة عظيمة، التي وصفها العرباض بن سارية رضي الله عنه بقوله: (وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون، فقلنا: يارسول الله، كأنها موعظة مودع فأوصنا قال: **(أوصيكم بتقوى الله عزوجل، والسمع والطاعة، وإن تأمر عليكم عبد حبشي، وإنه من يعش منكم فيسرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار)**.

فقول الصحابي: (ذرفت منها العيون) صفة مدح، مدح الله تعالى بها المؤمنين عند سماع الذكر؛ كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾(١).

---

(١) سورة الأنفال، الآية [٢].

وقال إبراهيم بن ميسرة: **(من وقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام)**[(١)]، وقال الفضيل بن عياض: من أحب صاحب بدعة فقد أحبط الله عمله، وأخرج نور الإسلام من قلبه، وكان السلف الصالح يستبشرون ويفرحون، وكانوا يسجدون لله شكراً إذا مات صاحب بدعة، قال بعضهم: جاء موت هذا الذي يقال له بشر المريسي وأنا في السوق، فلولا أن الموضع ليس موضع سجود لسجدت؛ شكراً لله؛ الحمد الله الذي أماته.

فالواجب الحذر من البدع ونصرة أصحابها، فصاحب البدعة أحب إلى إبليس من صاحب المعصية؛ لأن العاصي يعصي ويتوب، وصاحب البدعة يجيء ويدعو إليها ويعتقد حلها، ومهما اجتهد هذا وزاد من اجتهاده، ازداد من الله بُعداً.

فيا أيها الإخوة المسلمون: احذروا البدع وتمسكوا بكتاب ربكم وهدي نبيكم، واعلموا أن ما أحدث قوم بدعة إلا رفع الله مثلها من السنة، فتمَسُّكٌ بسنةٍ خيرٌ من إحداثِ بدعةٍ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾[(٢)].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للإمام اللالكائي برقم (٢٧٣) ١/١٥٧.

(٢) سورة الزخرف، الآية [٤٣-٤٤].

الخطبة العاشرة:

التحذير من تشميت الأعداء بالإسلام

الحمد لله الذي أعزنا بالإسلام، وفضلنا على سائر الأمم، وأشهد أن لا إله إلا الله، كتب العزة لمن تمسك بدينه، والتزم بكتابه، ونفذ شريعته، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله جاء بالهدى ودين الحق، اللهم صلِّ وسلم وبارك على نبيك محمد الداعي إلى الحق وإلى الطريق المستقيم، وارض اللهم عن أصحابه الذين آمنوا به، واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المؤمنون حقاً، لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم.

أما بعد:

أيها المسلمون: اتقوا الله تعالى الذي أوجدكم بعد العدم؛ لتعيشوا في هذه الحياة الدنيا خاضعين أذلاء لله الذي له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما، وما تحت الثرى، الذي خلقكم؛ لتفردوه بالعبادة، وتنقادوا له بالطاعة، وتحبوا فيه؛ وتبغضوا وتعادوا من أجله، وتوالوا من أجله كذلك، اتقوا الله تعالى، اتقوا من أسلمتم وجوهكم إليه، وأحسنوا العبادة بين يديه، فقد ادخر لكم الأجر والثواب وأمنكم من الخوف ومن الحزن على ما حل وأصاب؛ ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(١).

اتقوا الله عز وجل، واشكروه على نعمه، واستزيدوا من فضله، فقد وعد الشاكرين بالمزيد، والكافرين بالعذاب الشديد؛ قال تعالى وقوله الحق: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾(٢).

---

(١) سورة البقرة، الآية [١١٢].

(٢) سورة إبراهيم، الآية [٧].

فلا نعمة أتم، ولا أجل، ولا أكبر، مما نحن فيه من نعمة الإسلام، رزقنا الله اتباع سيد الأنام، فيما شرع من حلال وحرام، وعبادات وأحكام؛ قال جل ثناؤه ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾(١) كيف لا يكون أحسن الأديان؟! وقد كمله الله لجميع الأزمان، ووصفه بالنعمة، ورضيه لنا طريقاً ومنهجاً ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾(٢).

عباد الله: لهذه الأوصاف ولغيرها - إذ لا تحصى فوائد الإسلام ونعمه العظام - صارت لكم الدول الكافرة حاسدين، فحاولوا أن يشنوا الحملات المتتابعات، فَلَنْ يرضوا حتى يردوكم عن دينكم.

وهذه المحاولات بدأت منذ فجر الرسالة وهي مستمرة إلى الآن، وستبقى حتى يقوم الناس لرب العالمين؛ قال الله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾(٣) كيف لا يحسدوننا؟! وقد ظهر عليهم الرسول ﷺ فألقى الله تعالى الرعب في قلوبهم مسيرة شهر للسائرين، كيف لا يحسدون؟! وقد امتدت الفتوحات الإسلامية غرباً إلى فرنسا، وشرقاً إلى الصين، وما ذلك إلا لتصديق الفاتحين والمجاهدين لما جاء به سيد المرسلين ﷺ، وما ذلكم إلا لوجود تمسك المسلم من أعماق قلبه صدقاً وإخلاصاً بتعاليم دينه، وإن الإسلام قد خالط لحمه ودمه وصبغ قوله وعمله؛ ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾(٤).

---

(١) سورة النساء، الآية [١٢٥].

(٢) سورة المائدة، الآية [٣].

(٣) سورة البقرة، الآية [١٠٩].

(٤) سورة البقرة، الآية [١٣٨].

إن من واجب المسلم أن يقوم دائماً على أمر الله فينفذ تعاليمه، ولا يشمت بالمسلمين أعداءهم، ولا يزهد بإسلامه وعقيدته، بل يشعر أنه محسوب على الإسلام والمسلمين، يعرف أن الإسلام هو: الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والخلوص من الشرك، يعرف أن للإسلام أركاناً ومكملات، فيحافظ على الأركان عن هدم البناء، وعلى الواجبات والمستحبات لقطع طمع الأعداء، يقدم نفسه فداء لدينه.

فقد قيل: إن عبدالله بن حذافة السهمي رضي الله عنه أسره الروم، فحبسه طاغيتهم في بيت فيه ماء ممزوج بالخمر ولحم خنزير مشوي؛ ليأكل منه ويشرب الخمر، وتركه ثلاثة أيام فلم يفعل، ثم أخرجوه خشية موته، فقال: والله لقد كان الله أحله لي، لأني مضطر، ولكن لم أكن لأشمتكم بدين الإسلام.

فليراجع كلٌ منا نفسه وسيرته وتطبيقه للإسلام في أقواله وأفعاله، أين هو من هؤلاء الأصفياء؟! وبعد المراجعة للنفس يتحرك الإنسان إن كان خاملا، ويزداد إيمانه إيماناً إن كان متمسكاً كاملا.

عباد الله: إن عداوة الكفار الموجودة على وقت الرسول ﷺ هي موجودة الآن، وإن المحاولات تلو المحاولات تدبر؛ لصدكم وإخراجكم عن إسلامكم ودينكم، وقطع الصلة بينكم وبين ربكم، وحينما يقع ذلك فالعمل حابط، والخلود في النار لمن مات على الردة مقضي به حتماً.

﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾(١).

(١) سورة البقرة، الآية [٢١٧].

أيها المسلمون: إن كل ضعف في المسلمين يفرح به الأعداء سواء في أبدانهم أم في دنياهم أم في أعمالهم ؛ فهذا جاسوسهم يأتي إلى بعض البلدان الإسلامية، ويرجع باكياً حزيناً ؛ حينما يرى صبياً من المسلمين يتعلم الرماية، ويأتي مرة أخرى فيعود إلى أهله فرحاً مسروراً ؛ حينما وجد رجلاً من المسلمين سقط خاتم محبوبته في الساحل فهو يبكي ؛ لأنها أجبرته على إخراجه، فالعدو في غاية الفرح والسرور مما شاهده على هذا الرجل من بكاء ؛ خوفاً من محبوبته وحزناً على خاتمها ؛ لأنه عرف قصر نظره وضعف همته، وأثر هذا في المجتمع الإسلامي، فما بالك أيها المسلم، حينما يراك الأعداء في وقتنا هذا، وقد تساهلت في أمور إسلامك عقيدة وقولاً وعملاً، وأخذت في تشجيعهم وتحسين أقوالهم! ما بالك إذا رأوا أحداً من المسلمين لا هم له إلا التمادي في المجون والخلاعات: من سكر وقمار وعكوف على ألحان الطرب والمزمار! وما بالك إذا رأوا تاجر المسلمين لا يبالي من أين يكتسب المال أمن حلال أو حرام! ولا يبالي بما استورده للمسلمين أكان به عوناً على البر والتقوى، أم كان به عوناً على الإثم والعدوان!

وما بالك أيها المسلم، إذا رأى الأعداء المسلمين غير متنزهين عن الربا وسفاسف الأخلاق! وإذا رأوا أنه لا فرق بين المرأة المسلمة والمرأة في أوربا.

فهل ذلك يفرحهم أو يحزنهم؟! وهل ذلك المسلم الذي أساء إلى مجتمعه الإسلامي وإخوانه المسلمين، وشمت الأعداء بالإسلام، استفاد منهم أمراً دنيوياً أو أنه سيستفيد أمراً أخرويا؟! أو أنه ينصرهم ويشد أزرهم من حيث يشعر أو لا يشعر!.

فاتق الله يا أخي المسلم، ولا تنصر الأعداء بالتنكر لإسلامك وتعاليمه وهدي رسولك ﷺ، اتق الله ولا تعط لعدوك وعدو دينك فرصة ليستغل - لا قدر الله-فيك ضعف إرادتك، إن ربك - يا أخي - لا تنفعه طاعتك ولا تضره معصيتك، ولكنه القائل: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾(١).

اللهم زينا بزينة الإيمان، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، وحبب إلينا الإسلام والمسلمين، وبغض إلينا الكفر والكافرين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾(٢).

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

---

(١) سورة الزلزلة، الآية [٧-٨].

(٢) سورة المائدة، الآية [٣].

الخطبة الحادية عشرة:

التحذير من اتباع الكفار

الحمد لله الذي أمرنا باتباع أوامره، وأن نسلك في أمورنا مسلك المؤمنين، وحذرنا من اتباع أعداء الله، وأعداء المسلمين، وأشهد أن لا إله إلا الله، جعل في اتباع أوامره الفلاح والنجاح، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى الهدى والصلاح، ما قلد قومه في عاداتهم، ولم يشاركهم في ضلالاتهم، بل اتبع ملة إبراهيم حنيفا، وما كان من المشركين ﷺ وعلى آله وأصحابه الذين التزموا بأوامر ربهم، وتوجيهات نبيهم، فسادوا العالم وعاشوا أعزة في ديارهم.

أما بعد:

أيها المسلمون: اتقوا الله تعالى، واعلموا أن القرآن نزل من فوق سبع سموات؛ للعمل به أمراً ونهيا، نزل للاستشفاء به من جميع أمراض القلوب، نزل للاستنارة به من غياهب الجهل ودياجير الظلام، نزل القرآن ليصل عالم الأرض بعالم السماء، وليميز الخبيث من الطيب، والصادق من الكاذب، والمؤمن من الشاك، فيقول: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْ ۗ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[1].

أتدرون ما معنى: يا أيها؟ (يا) حرف نداء، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ منادى، وممن هذا النداء؟! أهو من مخلوق، أنت وهو سواء؟ أم هذا النداء من رب العباد، رب الأرض والسماء، ممن يملك ما بينهما وما تحت الثرى، ممن يعلم السر

(١) سورة البقرة، الآية [١٠٤].

وأخفى، من الإله الرازق، إليه المآب والمنتهى، وإليه المرجع والمصير، مهما تكبر الإنسان وبغى وطغى، أتدرون ما الغرض من هذا النداء؟ إنه يدعو إلى المبادرة والانقياد، ومن امتنع فإن المنادِي له بالمرصاد، ولأنه نداء ممن يمهل ولا يهمل، ممن لا يعجزه شيء ولا يفوته أمر، إنه نداء ممن أمره إذا أراد شيئا ﴿أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[1] فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون، تصوروا لو كان هذا النداء من أمير، أو شرطة، أو دائرة قضاء، أو هاتف، أو بواسطة عمدة، أو أي فرد من الورى، كيف شعور أحدنا وكيف تجاوبنا؟ نعم إنه المبادرة؛ مخافة العقوبة العاجلة، فكيف بمن بيده العقوبة العاجلة والآجلة، وإن كانت الإجابة لولي الأمر واجبة الامتثال؛ فهي أمر من الله تعالى؛ حيث قال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[2] مادام متقيداً بأمر الله جل وعلا، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الله، ثم إن الله سبحانه شرفكم بهذه الصفة صفة الإيمان؛ تحمل صاحبها على سرعة الامتثال، والتي تشعر بإيمانه في الدنيا والآخرة، ولقد كرم الله عز وجل أمة محمد ﷺ بهذا النداء في تسعة وثمانين موضعاً من القرآن، وكان ينادي الذين من قبلكم بقوله: يا أيها المساكين، فاسم المؤمن أشرف الأسماء والصفات، فإذا كان يخاطبنا في الدنيا بأشرف الأسماء والصفات فنرجو من فضله أن يعاملنا في الآخرة بأحسن المعاملات، فماذا بعد ذلك أيها المسلمون؟

جاء رجل إلى ابن مسعود رضي الله عنه فقال: اعهد إليَّ، فقال: «إذا سمعت الله يقول: يا أيها الذين آمنوا، فارعها سمعك؛ فإنه خير يأمر به، أو شر ينهى عنه»، إذاً فإنما الذي بعد هذا النداء هو شر نحن منهيون عنه، وهو مشابهة

(١) سورة يس، الآية [٨٢].

(٢) سورة النساء، الآية [٥٩].

الكفار في أعمالهم وأقوالهم، وهم أعداء الله لهم عذاب أليم، سواء كانوا يهوداً، أو نصارى، أو شيوعيين ملحدين، أو مجوساً، أو وثنيين، فالمسلم منهي عن التشبه بالكافر في جميع أعماله وأقواله وعبادته، وغير ذلك من أمورهم التي لم تشرع لنا ولم نقرر عليها، حتى يتميز جنود الرحمن من جنود الشيطان.

نزلت هذه الآية -وهي قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾[1]- في اليهود الذين يدعون محمداً ﷺ بهذه الكلمة وهي (راعنا) وهم يقصدون بها السوء؛ لأنها تحمل معنى المذلة والهوان، ولأن معناها عندهم يحمل معنى؛ الدعاء عليه، بمعنى: اسمع غير مسمع، أو اسمع لا سمعت، أو أنها من الرعونة، وهي: السخرية والاستهزاء، فاستعملها المسلمون في مخاطبة الرسول ﷺ ففرح بها اليهود، فأبطل الله تعالى كيدهم ومكرهم بنهي المؤمنين عن استعمالها، فانظر أخي المسلم، نهى الله تعالى المسلمين عن مشابهة اليهود بالأقوال، والمسلمون مع ذلك لم يقصدوا سوءاً، فكيف إذا عرف المسلمون سوء نواياهم ومقاصدهم، فشابهوهم عبادة أو عادة؛ ففي مشابهتهم خطورة عظيمة، ومخاوف جسيمة على المسلمين، ففيها دلالة على ضعف الإيمان، إن لم يدل على الكفر، وفي مشابهتهم تخذيل بالمسلمين وتشجيع للكفار، ومشابهة هذه الأمة لليهود والنصارى وفارس والروم مما ذمه الله تعالى ورسوله ﷺ في عدة آيات وأحاديث لا تحصى .. فمن الآيات قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا وَصَرَّفۡنَا

(١) سورة البقرة، الآية [١٠٤].

فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾(١) وقوله: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾(٢)، ومن الأحاديث ما رواه الإمام أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **(بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعلت الذلة والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم)**. والله سبحانه وتعالى قد بين قبائح أفعالهم قبل مبعث محمد ﷺ وأراد أن يبين قبائحهم وجدهم واجتهادهم في القدح فيه والطعن في دينه؛ لأنهم لم يؤمنوا برسالته ولا بما أنزل عليه من القرآن، وكلما كثرت مخالفتهم كثر البعد منهم، والقرب من رسول الله ﷺ؛ فالمرء مع من أحب، وزعم بعض من أظهر الإسلام أنهم يحبون رسول الله ﷺ وأفعالهم تخالفه، فأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يتحداهم بقوله: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٣).

ولقد روي أن سعد بن معاذ رضي الله عنه سمع من اليهود كلمة (راعنا) فقال: يا أعداء الله، عليكم لعنة الله، والذي نفسي بيده لإن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله ﷺ لأضربن عنقه؛ فقالوا: أولم تقولونها؟ فنزلت هذه الآية. فرضي الله عن سعد وأصحاب محمد ﷺ الذين عرفوا أهداف اليهود

---

(١) سورة طه، الآية [١١٣].

(٢) سورة البقرة، الآية [١٤٥].

(٣) سورة آل عمران، الآية [٣١].

فصمدوا أمامهم، وقوله تعالى: ﴿وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْ﴾ هذا من دواء الله لأمة محمد ﷺ بعد ما بين الداء قبله، وقوله: ﴿وَٱسۡمَعُواْ﴾ أي: سمع طاعة وانقياد وامتثال لفعل الأوامر واجتناب المنهيات، لا كاليهود الذين قالوا: سمعنا وعصينا؛ حسداً وطعناً في دين محمد ﷺ ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا وَٱسۡمَعۡ وَٱنظُرۡنَا لَكَانَ خَيۡرًا لَّهُمۡ وَأَقۡوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾(١).

عباد الله: إن للكفار عادات وعبادات، ومحللات ومحرمات وأغلالا وتشديدات، وديننا الحنيف دين يسر، ودين سماحة، ودين الخير والفضيلة، دين العزة والرفعة إلى الدرجات العليا، مملوء بما يغنينا عن متابعاتهم وابتداعاتهم، بل و حتى عما شرع لهم؛ لأن ما يملون به من كتبهم وهو القليل إذا صح العمل به فقد وضحه لنا الرسول ﷺ، فعليه لا شرع إلا شرعه ﷺ؛ قال تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾(٢).

ولقد جاء في نظام المسلمين مع الذميين بأنهم ألزموهم توقير المسلمين، وألاَّ يظهروا شعاراتهم في أسواق المسلمين، وألاَّ يشابهوا المسلمين في زيهم ومركبهم وحملهم السلاح، فالتزم الذميون واليهود والنصارى بذلك.

فكيف إذا انعكس الأمر فأخذ المسلمون بمشابهتهم في أعيادهم أو عاداتهم، فما يحدثونه من بدع في الأعياد كالاحتفال بمناسبة ميلاد الرسول ﷺ أو غير ذلك، فهو بدعة محدثة في ديننا، حذرنا عنها رسولنا وبين أنه ليس لنا إلا عيدان

---

(١) سورة النساء، الآية [٤٦].

(٢) سورة المائدة، الآية [٤٨].

فيهما عبادة الله وإظهار الفرح والسرور وإظهار شيء من الزينة بطريقة تخالف طريقة الكفار، وإن كانت هذه الأعياد غير موجودة في بلادنا ولله الحمد، لكن قد يسمعها بعضنا من وسائل الإعلام الخارجية فيظن أن هذا أمر جائز، ولو كان جائزا أو مستحبا لفعله الرسول ﷺ في ميلاد عيسى أو فعله الصحابة في ميلاد محمد ﷺ، فظهر أن فعله بدعة محدثة، ولو زعموا ذلك محبة للرسول ﷺ؛ لأن محبة الرسول ﷺ في الاتباع لا في الابتداع، وأما أعياد الكفار فهي كثيرة لا تحصى من ميلاده وغيره، يجب اعتقاد مخالفتها، والبعد عن التصديق بها، وعدم مداهنتهم، فإنهم يكمنون لنا البغض والحسد والحقد مهما أظهروا لنا المودة والمحبة، فاتقوا الله أيها الأخوة المسلمون، والتزموا بشرع الله ولا تفرطوا في عقيدتكم ومعتقداتكم، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾[(١)].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

---

(١) سورة الممتحنة، الآية [١].

الخطبة الثانية عشرة:

حكم المستهزئين بدين الله وعقوبتهم

الحمد لله الذي أعزنا بالإسلام واختاره لنا ديناً، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين، أحمده سبحانه منَّ علينا بنعمة الإيمان، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، وأشهد أن لا إله إلا الله، يعلم بواطن الأمور وأسرار القلوب، وهو عليم بذات الصدور، ويجازي كل نفس بما كسبت ولا يظلم ربك أحداً، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الغر الميامين، فهموا الإسلام قولاً وعملاً وأنه دنيا ودين مصحف وسيف، فأعزهم الله تعالى وأعز بهم دينه، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى. يقول عز وجل في كتابه العزيز: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾[1].

أيها المسلمون: الخوض هو: المشي بما يلوث الأقدام بالماء والطين، واللعب هو: العبث بما لا فائدة فيه، وتسوء عاقبته من قول أو فعل، والمراد بالخوض هنا: الخوض بما يلوث العقيدة ويكدر صفوها ويسود صفحتها؛ ذلكم أن رجالاً خرجوا مع النبي ﷺ في غزوة تبوك انحازوا جميعاً فأخذوا يتكلمون

(١) سورة ، الآية [٦٥-٦٦].

بالرسول ﷺ وأصحابه ويستبعدون قدرة الله تعالى، يرجفون بالمسلمين ويصفونهم بالصفات الذميمة، بما هم مبرؤون منه، ويقولون: أيظن هذا الرجل أن قتال الروم كقتال العرب، ثم يقولون: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطوناً، ولا أكذب ألسنة، ولا أجبن عند اللقاء، يعنون بذلك رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم؛ سخرية منهم واستهزاء، ثم عرفوا أن الله تعالى سيفضحهم بتنزيل آية تتلى إلى يوم القيامة، فجاءوا يعتذرون بقولهم: إنما كنا نخوض ونلعب ونتحدث حديثاً نقطع به الطريق، فأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يرد عليهم بالتوبيخ والتقريع والإنكار: ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾[1] ويخبرهم بأن عذرهم غير مقبول؛ لأنه لا يصح لهم الدخول في ذلك، فعمدة الإيمان هو تعظيم الله تعالى، وتعظيم قدرته وسلطانه وشرعه وأحكامه من عبادات وحلال وحرام، وواجبات ومستحبات وأن أحكام الله تعالى تسمو على كل حكم، وفوق كل قانون، وأن كل مبدأ يتضاءل أمام شريعة الله تعالى، ويضمحل جانبها: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[2] وإن الخاضعين والمنقادين لأوامره تعالى وأوامر رسوله ﷺ، المذعنين لطاعته لا يزالون سباقين للمعروف وقافين عن المحارم، كما أن الاستهزاء هو: الاستخفاف بذلك كله، والاستهانة به، وإظهار المعائب والنقائص بالمسلمين على وجه يضحك منه، سواء بالوصف الذميم أو المحاكاة القولية والفعلية، ومن هذه الآية نستفيد حكم من استهزأ بشيء فيه ذكر الله

---

(١) سورة التوبة، الآية [٦٥].

(٢) سورة التوبة، الآية [٥٠].

تعالى أو القرآن أو الرسول ﷺ أو المسلمين ؛ لإسلامهم ، وحكم ذلك : الكفر سواء كان المستهزيء جاداً أم هازلاً.

فالمسلم يرتد بذلك والكافر يزداد كفراً، سواء استهزأ بشعيرة من شعائر الدين ؛ كما قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾(١).

فسلب الله تعالى هؤلاء العقل النافع والروح الصافية ، وأنه لم يبق معهم إلا بمقدار ما للبهائم من تمييز غذاء البدن ، وما تأكله من مواد الغذاء الجسمي ، أو كان الاستهزاء بالمسلمين المؤمنين ؛ لما هم عليه من التقوى والإيمان لرب الورى.

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴾(٢).

فأثبت الله تعالى الإجرام لهؤلاء بسبب استهزائهم وسخريتهم ضحكاً وغمزاً وتفكهاً بذكر معائب المسلمين ، ومثالب المؤمنين ، واستمراراً في طغيانهم ؛ حسبما تملي لهم أذواقهم المرة ، وفطرهم المنعكسة ، وأفكارهم المتقلبة ، وقلوبهم المسودة ، وأهواؤهم السيئة ، وأنفسهم الأمارة بالسوء.

ولذا حكموا لأنفسهم أنهم أهل الهدى ، وأن هؤلاء المؤمنين لضالون : أي : لتائهون عن الطريق ، وما شعروا بأن الضلال سجيتهم ، والدمار مآلهم والهلاك مصيرهم : ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾(٣).

---

(١) سورة المائدة ، الآية [٥٨].

(٢) سورة المطففين ، الآية [٢٩-٣٤].

(٣) سورة الشعراء ، الآية [٢٢٧].

حينما تتجلى الحقيقة في يوم لا ينفع فيه الندم، يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون، يوم يخزي الله تعالى فيه المجرمين المستهزئين بالمؤمنين رفعة وعزة وكرامة وثواباً على ما صبروا واحتسبوا من الإيمان وتحملوا الأذى من الكفار: ﴿ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ۝٣٤ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴾(١). يتساءلون عن إثابة الكفار على ضحكهم بالمؤمنين استبعاداً؛ لأن مثل هذا تستوخم عاقبته، فلا يستحقون ثواباً بل عقاباً.

ويتساءل المؤمنون شكراً لله تعالى على ما أنعم به عليهم من الإيمان والتقوى، والعمل بما يرضي الله تعالى، وأن سخرية هؤلاء المجرمين لم تقف حجر عثرة في طريقهم، وتحقيق غايتهم، و لم تعقهم عن مسيرهم إلى ما فيه راحتهم وقرة أعينهم.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴾(٢).

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

---

(١) سورة المطففين، الآية [٣٤-٣٥].

(٢) سورة التوبة، الآية [٦٥-٦٦].

الخطبة الثالثة عشر:

التصوير

الحمد لله الذي خلق الخلق ليعبدوه، ولا يشركوا به شيئا، أحمده سبحانه المتفرد بالخلق والإيجاد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صفوة الخلق وأكرمهم على الله تعالى، وأفضل من عرف الله تعالى حق معرفته وأفرده بألوهيته ووصفه بأسمائه وصفاته، وأقر بربوبيته ﷺ وعلى آله وأصحابه المهتدين المتمسكين بسنته إلى يوم الدين.

أما بعد:

أيها المسلمون: اتقوا الله تعالى بالمبادرة إلى فعل أوامره، والكف عن محارمه، ولا تغتروا بإمهاله فهو الحليم الكريم، يمهل ولا يهمل، وكيف يهمل من خلق فسوى، وقدر فهدى، فهو الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم، وجرى تركيبه بأمر العزيز الحكيم، ونفخ فيه الروح العلي العظيم﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾[1] فلا يصح للمسلم أن يخالف هذا الشرع القويم، فلا يغتر بإمهال الله تعالى لمن خالفه، وتمادى في غيه وطغيانه، ألا وإن مما نهى عنه شرع الله تعالى المبين، وسنة رسوله الغراء: تصوير ذوات الأرواح، فجاء الوعيد الشديد، والتهديد الأكبر على المصورين لذوات الأرواح من إنسان وطيور أو حيوان، ووصفه الله

---

(١) سورة الانفطار، الآية [٦-٨].

تعالى في الحديث الشريف بالظلم فهو أظلم الظالمين ؛ لأن هذا المصور ذهب يضاهي خلق الله تعالى وهو عاجز حقير عن أن يخلق أضعف مخلوق، وإن صوره فهو عاجز عن نفخ الروح فيه ؛ لذا كان عذابه على يد من صوره يوم القيامة فإنه يكلف بأن ينفخ فيه الروح وليس بنافخ، فروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: قال الله عز وجل: **(ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرة، وليخلقوا حبة أو شعيرة)**. وكفى بهذا الوعيد للمصور رادعاً وزاجراً إن كان مؤمناً بربه ومقراً برسالة محمد ﷺ القائل: **(أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهئون بخلق الله)**. وقال بعض العلماء: «من صور الصورة لتعبد، أو قصد معنى المضاهاة معتقداً جواز ذلك فهو كفر، فهو أشد الناس عذاباً يوم القيامة، وإن لم يعتقد بها العبادة ولا المضاهاة فهو فاسق، صاحب ذنب كبير ولا يكفر كصاحب المعاصي».

وقال بعض أهل العلم: تصوير صورة الحيوان حرام شديد التحريم، وهو من الكبائر المتوعد عليها بهذا الوعيد الشديد، وسواء صنعه لما يمتهن أم لغيره فصنعه حرام بكل حال، وسواء كان في ثوب أو بساط أو درهم أو دينار أو فلس أو حائط أو إناء أو غيرها، فأما ما ليس فيه صورة حيوان فليس بحرام كالأشجار والجبال ونحوها.

وإذا تقرر فيما تقدم حكم المصور، فاستعمال الصور لا يجوز، إلا على وجه الإهانة ؛ لما فيه من التشجيع على المعصية وانتشارها، فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ رأى عندها قماشاً فيه صور فقال: **(ما هذه النمرقة)**، قلت:

لتجلس عليها وتوسدها، قال: **(إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة، يقال لهم: أحيوا ما خلقتم، وإن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه الصور)**.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «قدم الجملة الأولى اهتماماً بالزجر عن اتخاذ الصور؛ لأن الوعيد إذا حصل لصانعها فهو حاصل لمستعملها، ولأنها لا تصنع إلا لتستعمل فالصانع تسبب، والمستعمل باشر، فيكون أولى بالوعيد، ويستفاد منه: أنه لا فرق في تحريم التصوير بين أن تكون الصورة لها ظل أو لا، وبين أن تكون مدهونة أو منقوشة أو منقورة أو منسوخة».

ويبين رسول الله ﷺ موقف المسلم من الصورة فيما روى مسلم عن أبي الهياج قال: قال لي علي: (ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ: ألاَّ تدع صورة إلا طمستها، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته).

فاتضح لنا أن استعمالها من غير حاجة ماسة لا يجوز، وسواء استعملها تعليقاً على الحيطان تقديراً أو إجلالاً، أو احتفاظاً لها وتعظيماً وإكراماً، وخصوصاً إذا كانت صور أحد العلماء الصالحين.

أما علمتم أن تعظيم صور العلماء الصالحين هو سبب أول شرك وقع على وجه الأرض؛ قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا﴾[1]، قال المفسرون: هذه أسماء رجال صالحين لهم القدر العظيم عند أقوامهم، فجاءهم الشيطان فأوحى إليهم بأن يتخذوا صوراً لهؤلاء؛ ليتذكروا أعمالهم فيفعلوها، فلما ماتوا قال الشيطان لمن بعدهم: إن آباءكم لم يتخذوا صوراً لهؤلاء إلا لعبادتها فعبدوها، فمن هنا وقع الشرك،

---

(١) سورة نوح، الآية [٢٣].

ومن هنا حذر الرسول ﷺ من تعظيم الصور للصالحين والعظماء؛ مخافة أن تقع أمته فيما وقع فيه هؤلاء، وفيما وقعت فيه اليهود والنصارى من تعظيم صور الصالحين حتى نصبوها في كنائسهم وعبدوها.

فاحذروا ما نهاكم الله تعالى عنه أيها المسلمون، ولا تتخذوا من دون الله تعالى أنداداً وأنتم تعلمون.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ۝٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[1].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

(١) سورة البقرة، الآية [٢١-٢٢].

الخطبة الرابعة عشرة:

تعليق التمائم

الحمد لله الكافي الشافي، أحمده سبحانه وأشكره، من توكل عليه كفاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يحفظ من اعتصم به، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إمام الموحدين، وأفضل المتوكلين على رب العالمين، اللهم صلِّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه الذين برئوا مما بريء منه رسولهم الكريم.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى الذي يخلق ويهدي، ويطعم ويسقي، ويمرض ويشفي، ويحيي ويميت، ويغفر الخطايا يوم الدين؛ قال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾(١) فاتقوا الله ربكم وتعلقوا به، واحذروا كل تعلق بغيره؛ فإنه القادر، والمخلوق هو العاجز مهما عظم: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾(٢)، فلا يجوز للمسلم أن يعلق شفاءه من الأمراض، أو حمايته للنفس والعين بما يسمى تمائم وهي: ما يعلق في الأعناق، أو تحت الوسائد أو في الصناديق لمن لا يولد لها، فكل ذلك حرام، ومثل هذا أنواع من السحر تتخذه النساء لتحبب زوجها إليها، ومثل ذلك ما يعلق بالدواب أو السيارات مخافة العين، أو ما

---

(١) سورة يونس، الآية [١٠٧].

(٢) سورة الزمر، الآية [٣٨].

يتخذ من الرُقى وهي: العزائم المخالفة للطريق المشروع والتي تكتب بحروف مقطعة أو بغير العربية، فالرقية الجائزة يا عباد الله هي: ما كانت بأسماء الله تعالى وصفاته، وبالأدعية القرآنية والنبوية، وباللسان العربي، وأن لا يعلق بها ثقته وآماله بل يجعلها سببا، والشافي هو الله تعالى وحده، فمن اتخذها لغير ذلك فعليه الخطر من العقوبة؛ قال ﷺ: **(من تعلق تميمة فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة، فلا ودع الله له)**.

لأن هذا من الشرك؛ ورسالته ﷺ تحارب الشرك.

فمن لم يتبع سنته فقد عرض نفسه لما يسخط الله تعالى ورسوله ﷺ.

جاء عشرة رجال إلى رسول الله ﷺ ليبايعوه فبايع تسعة وأمسك عن العاشر، فقالوا: ما شأنه؟ فقال: **(إن في عضده تميمة)**، فقطع الرجل التميمة فبايعه رسول الله ﷺ ثم قال: **(من تعلق تميمة فقد أشرك)**.

فانظر أخي المسلم إلى هذا الرجل كيف بادر إلى ما يرضي رسول الله ﷺ؛ ليحظى بصحبته في الدنيا والآخرة، فبادر أنت إلى سنته؛ لتحظ بصحبته في الآخرة، واسمع مقالته ﷺ: **(ويحك ما هذه؟)**، قال: من الواهنة. قال: **(أما إنها لا تزيدك إلا وهنا، انبذها عنك؛ انبذها عنك؛ فإنك إن مت وهي عليك ما أفلحت أبداً)**. رواه أحمد.

فأي عقوبة أكبر من عدم الفلاح على من اتخذ التمائم، فعلى المسلم أن يبادر إلى تغيير ما رأى من ذلك؛ فعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه دخل على امرأته وفي عنقها شيء مقصود فجذبه فقطعه، ثم قال: (لقد أصبح آل عبدالله أغنياء عن الشرك بالله مما لم ينزل به سلطانا).

ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(إن الرقى والتمائم والتولة شرك)**. وجاء في عقوبة من تعلق بشيء من ذلك أن الله تعالى ينزع منه عونه ومدده ونصرته؛ قال ﷺ: **(من تعلق بشيء وكل إليه)**، هل يربح من وكل إلى نفسه أو إلى أحد من المخلوقين؟! ولو لم يكن في عقوبة من اتخذ الأوتار والتمائم ونحوها إلا أن تبرأ الرسول ﷺ منه لكفى، وجاء في فضل من غير شيئاً منها قوله ﷺ: **(من قطع تميمة من إنسان كان كعدل رقبة)**. فمن تعلق بالله تعالى وأنزل حوائجه به والتجأ إليه، وفوض أمره إليه كفاه، وقرب إليه كل بعيد، ويسر له كل عسير، ومن تعلق بغير الله تعالى أو سكن إلى رأيه وعقله ودوائه وتمائمه وأوتاره وعزائمه ونحو ذلك وكله الله تعالى إلى ما ركن إليه وخذله.

فاتقوا الله تعالى وثقوا فيه، وإياكم والبدع وانحراف العقيدة، وكونوا دائما ربانيين تفوزوا برضا رب العالمين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾(١).

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

---

(١) سورة الشعراء، الآية [٧٨-٨٢].

الخطبة الخامسة عشرة:

التحذير من السخرية بشرع الله

الحمد لله الذي هدانا للإسلام وما كنا لنهتدي لو لا أن هدانا الله، أحمده وأشكره وأتوب إليه وأستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله علمنا وأرشدنا وأخبرنا أن من اتبع طريقه والتزم بسنته كان رفيقه في الجنة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فيا أيها الناس، اتقوا الله تعالى، واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله تعالى ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون، يوما لا محامٍ ولا مجادل عن المجرمين، ومن جادل عنهم في الدنيا ودافع فجداله ودفاعه مؤقت ﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلۡتُمۡ عَنۡهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا﴾(١).

عباد الله: ألا إن من اتقى الله تعالى وراقب الوقوف بين يديه، فإنه يحذر من إيذائه لرسول الله ﷺ والاستهزاء به والسخرية- أعاذنا الله تعالى وإياكم من ذلك-فمن آذى رسول الله ﷺ أو سبه، أو انتقص من قدره، أو أبغضه، كان رفيقا لأبي لهب في نار جهنم الذي اكْفَهَرَّ وجْهُهُ أمام رسول الله ﷺ لما جمعهم وأنذرهم، قال أبولهب: تبا لك ألهذا جمعتنا؟ ومن عمل بشيء من إيذائه كان عونا لأبي لهب كما أعانته زوجته أم جميل بذم رسول الله ﷺ، وإلقاء الشوك

(١) سورة النساء، الآية [١٠٩].

في طريقه، وجاءته لتلقي عليه حجراً ثقيلاً، ولكن الله تعالى أعمى بصرها عنه، كما عميت بصيرتها، فقالت لأبي بكر ﷺ: أين صاحبك؟ ورسول الله ﷺ كان بجانب أبي بكر ولكنها لم تره .. وأنفقت أم جميل قلادتها تبرعاً لمن يؤذي رسول الله ﷺ، فجازاها الله تعالى حبلا من النار في عنقها، فكان أبولهب وزوجته كثيري الإيذاء لرسول الله ﷺ، والبغض والازدراء له ولدينه، فرسول الله ﷺ يغشى الناس ويقول: قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا، وأبولهب يمشي خلفه ويقول: إنه صابيء كذاب.

أيها المسلمون: اعلموا أن السخرية والسب والازدراء برسول الله ﷺ أو بسنته في حياته وبعد مماته تكون كفرا بمن صدرت منه هذه الأفعال السيئة، فمن استهزأ بالصلاة أو بالزكاة أو بالصيام أو بالحج أو ببر الوالدين، أو أحب الكفار وعمل على تشجيعهم أو خالف أمر الله تعالى أوأمر رسوله ﷺ فإن عليه الخطر من أن يناله ما نال أبالهب الذي حقت عليه اللعنة والعذاب المهين، ومن آذى المؤمنين بسب إيمانهم وإسلامهم، أو سخر بشعائرهم الإسلامية، أو نال شيئاً من أعراضهم أو غشهم وخانهم فقد آذى رسول الله ﷺ ومن آذى رسول الله فقد آذى الله تبارك وتعالى، فاحذروا أيها المسلمون، من أن تؤذوا الله تعالى ورسوله ﷺ بمخالفة الأوامر الإسلامية وارتكاب المنهيات ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾[1].

عباد الله: إن من رغب عن الآخرة؛ اعتزازا بماله وبمنصبه وولده وبمساكنه ومراكبه وكثرة حيله على تحصيل الأموال من غير طريقها المشروع، فلا يستبعد

---

(١) سورة الأحزاب، الآية [٥٧-٥٨].

أن يعمه ويشمله حكم الله تعالى على أبي لهب ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾(١).

فالمسلم العاقل هو الذي يحذر ويخشى فعل المحرم أو ترك المأمور به، والمسلم المنافق ضعيف الإيمان هو الذي يتبجح ويفخر بتركه مأموراً به وارتكابه منهيا عنه وعدائه للآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، فليراجع كل منا نفسه، ولنحذر مخالفة الله تعالى ورسوله ﷺ والسخرية من دين الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ وإيذاء أولياء الله تعالى.

اللهم اجعلنا ممن يحبك ويحب رسولك وأتباعه، وقنا من مخالفة شرعك وارحمنا برحمتك واكفنا شر عذابك.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ۝٥٧ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾(٢).

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

---

(١) سورة المسد، الآية [١-٥].

(٢) سورة الأحزاب، الآية [٥٧-٥٨].

الخطبة السادسة عشرة

تشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال

الحمد لله نحمده ونستعينه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، ومن نزغات الشيطان وتوهيمه، أحمده سبحانه، من يهدِ الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشكره على نعمه الفاضلة وآلائه العظيمة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أنزل الكتاب على نبيه تبيانا لكل شيء، وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث بالحنيفية السمحة وبالمحجة البيضاء ليلها كنهارها لا شبهة فيها إلا على من عميت بصيرته ولج في بغيه وضلاله وطغيانه، واشتبه عليه علمه وفكرته، اللهم صلِّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه الذين حفظوا سنة نبيهم، وبلغوها كما ينبغي تبليغها وعلى من تبعهم وعمل بعملهم إلى أن تقوم الساعة.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى وآمنوا به، وباليوم الآخر، اتقوا الله تعالى واعرفوا معنى الإيمان به، ومقتضى الإيمان باليوم الآخر، ألا وإن معنى الإيمان بالله تعالى: الإقرار بوحدانيته، وربوبيته، وإفراده بالعبادة، وبأسمائه وصفاته، والعمل بأوامره واجتناب منهياته، ومقتضى الإيمان باليوم الآخر أن تخاف عقابه إذا لم تعمل بأوامره ولم تجتنب منهياته، ولم توحده بأفعالك، وأن ترجو ثوابه وإحسانه، والفوز بجناته، إذا قمت بتوحيده وعملت بأوامره واجتنبت محرماته.

أيها المسلمون: خلق الله تعالى بني آدم ذكوراً وإناثا، وجعل لكل منهم اختصاصا خَلقا وخُلقا ومهنة وعملا، فمن الأعمال ما لا يصلح إلا للرجال ومنها ما لا يصلح إلا للنساء، وفق جبلتها التي جبلها الله تعالى عليها، ولهذا حرم الله تعالى على الرجال أن يتشبهوا بالنساء، وعلى النساء أن يتشبهن بالرجال، وجعل المتشبه مطروداً من رحمة الله تعالى على لسان نبيه ﷺ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: **(لعن رسول الله ﷺ المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء)**. وفي رواية: **(لعن رسول الله المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال)**[1].

ومن التشبه المنهي عنه أن يتشبه أحدهم بالآخر بلبس اللباس، فللمرأة الطويل الساتر، و للرجال القصير، فإذا عكسوها فقد فعلوا المنهي عنه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (لعن رسول الله ﷺ الرجل يلبس لبسة المرأة، والمرأة تلبس لبسة الرجل)[2]. ومن التشبه المنهي عنه الوارد فيه الوعيد الشديد أن تلبس المرأة الرقيق من الثياب الذي يصف شيئا من جلدها، والضيق الذي يبين مقاطع جسمها، كالثدي والفخذ والساق، فإذا ظهرت مقاطع الجسم حرم عليها ذلك إلا عند زوجها، وما عدا الزوج لا يصح أن تمشي فيما يبرز مفاتنها سواء كانوا محارم أو أحماء أو أجانب.

فيا من تؤمنين بالله واليوم الآخر، وترجين الثواب، وتخشين العقاب، استري نفسك وعورتك، فجسمك كله عورة إلا الوجه في الصلاة مالم يكن

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه أبوداود.

أمامك رجال، فإن كان يراك رجال غير محارم فاستري وجهك حتى في الصلاة، ويا من تؤمن بالله واليوم الآخر من الرجال راقب نساءك من زوجات وبنات وأخوات، فلا تترك لهن الحبل على الغارب يتشبهن بالرجال، ويلبسن ما شئن مما يبدي مفاتنهن، فتشترك معهن في الويل والعذاب، وفي التعاسة وفساد الأخلاق، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(صنفان من أهل النار لم أرهما: أقوام معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس؛ ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا)**[1].

قال بعض العلماء: معنى كاسيات: أي: من نعمة الله، عاريات من شكرها، وقيل: معناه: تستر بعض بدنها وتكشف بعضه؛ إظهاراً لجمالها ونحوه، وقيل: تلبس ثوبا رقيقا يصف لون بدنها، وقيل: معناه: اللواتي يلبسن الضيق فترى مقاطع جسمها فكأنها لم تكتسِ، واللفظ يشمل جميع هذه المعاني، قال بعض العلماء: معنى مائلات: قيل عن طاعة الله، وما يلزم من حفظه، ومميلات يمشين متبخترات مميلات لأكتافهن، وقيل: مائلات يمتشطن المشطة الميلاء، وهي مشطة البغايا، ومميلات يمشطن غيرهن تلك المشطة، ومعنى رؤوسهم كأسنمة البخت أي: يكبرنها ويعظمنها بلف عمامة أو عصابة أو نحوها، ومن التبرج المنهي عنه للمرأة المسلمة وتلعن عليه: إظهار الزينة من الذهب والطيب التي تظهر رائحتها، واختلاطها بالرجال الأجانب.

---

(١) رواه مسلم.

وكل هذا تمقت عليه ويشترك معها زوجها ووليها إن رضي بذلك ؛ لأنه مأمور بتقويمها وأن يقيها من النار كما يقي نفسه ؛ قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾(١) أي : ادعوهم وعلموهم طاعة الله تعالى ، وانهوهم عن معصيته ، كما يجب عليكم ذلك لأنفسكم ؛ وقد قال النبي ﷺ : **(كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، الرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته يوم القيامة)**.

وقد أمر الله جل ثناؤه نبيه ﷺ بأن يأمر نساءه بإدناء الجلباب ولزوم الحجاب ، وأمر الله لنبيه أمر لأمته ، وكل مسلم من أمة محمد ﷺ مطالب بذلك.

فاحذر أيها المسلم مخالفة أوامر الله تعالى ، وكن بحق خير راع لمملكتك الصغيرة وهي بيتك.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾(٢).

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

---

(١) سورة التحريم ، الآية [٦].

(٢) سورة الأحزاب ، الآية [٥٩].

الخطبة السابعة عشرة:

الاستعاذة من الشيطان

الحمد لله الذي لم يجعل للشيطان سلطانا على المؤمنين ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾(١) وأشهد أن لا إله إلا الله أمرنا بالاستعاذة من الشيطان الرجيم فقال: ﴿فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾(٢) وأشهد أن محمداً عبده ورسوله القائل: **(إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم)** أي: في العروق، فضيقوا عليه بالاستغفار، اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى وآمنوا به وبرسله يؤتكم كفلين من رحمته ويغفر لكم، والله غفور رحيم، واتقوا يوم التنادي يوم تولون مدبرين مالكم من الله من عاصم.

عباد الله: إن لكل إنسان عدواً من الجن والإنس، ومن عرف أن له عدوا استعد له بما يدفعه عنه ويقيه عداوته التي تضره بنفسه وماله وعرضه وعقله ودينه وتفسد عليه آخرته، والله جل وعلا أمر المسلم باتخاذ الأسباب الواقية لعداوة الأعداء، فمما يتخذه المسلم أمام العدو من الإنس: المصانعة معه ومدافعته بالتي هي أحسن والحلم عليه، والعفو عنه؛ لعله يلين طبعه فتنقلب عداوته صداقة، قال تعالى: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ﴾(٣)،

---

(١) سورة النحل، الآية [٩٩].

(٢) سورة النحل، الآية [٩٨].

(٣) سورة فصلت، الآية [٣٤].

وقال تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًۢا﴾(٢)، ومن الأسباب الدافعة لعداوة الإنسان أن تتخذ السلاح والحصون المنيعة التي تقي من عداوته ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾(٣)، ثم إن عداوة الإنسان إذا قاتلك فقتلك فأنت شهيد، وإن غلبك فأنت معذور، ولكن المشكلة العدو اللدود الشيطان الرجيم الذي إن قتلك فأنت في النار، وإذاً فإن الأسباب الواقية منه، والسلاح الرادع له، هو: الاعتصام بالله تعالى والاستعاذة به عز وجل من شر الشيطان، قال تعالى بعد ما بيَّن موقفك مع العدو من الإنس، بيَّن موقفك أمام عدوك إبليس قال: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾(٥).

والاستعاذة هي: الالتجاء إلى الله تعالى، والالتصاق بجنابه من شر كل ذي شر، والاستعانة بالله تعالى، والاعتراف له بالقدرة، وللعبد بالضعف والعجز عن مقاومة هذا العدو المبين الباطني الذي لا يقدر على دفعه ومنعه إلا الله تعالى الذي خلقه، ولا يقبل مصانعة ولا يدارى بالإحسان، بخلاف العدو من نوع

---

(١) سورة الأعراف، الآية [١٩٩].

(٢) سورة الأحزاب، الآية [٧٣].

(٣) سورة الأنفال، الآية [٦٠].

(٤) سورة النحل، الآية [٩٨-٩٩].

(٥) سورة المؤمنون، الآية [٩٧-٩٨].

الإنسان، فمن قتله العدو البشري الظاهري كان شهيداً، ومن قتله العدو الشيطاني الباطني كان طريداً، ومن غلبه العدو الظاهري كان مأجوراً، ومن قهره العدو الباطني كان مفتونا أو مأزوراً، وهكذا لما كان الشيطان يرى الإنسان والإنسان لايراه: أمر الله تعالى بني آدم بأن يعتصموا بالذي يرى الشيطان والشيطان لا يراه وهو الله سبحانه وتعالى.

ومن فوائد الاستعاذة بالله تعالى من الشيطان: أنها طهارة للفم، مما كان يتعاطاه من اللغو والرفث، وتتأكد عند تلاوة القرآن في الصلاة وخارجها.

والشيطان عداوته قديمة ومستمرة إلى يوم القيامة، ولا يبتغي إلا هلاك بني آدم بكثرة المعاصي وإبعادهم عن الله تعالى؛ لشدة العداوة بينه وبين أبيهم آدم من قبل؛ قال الله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةٗ قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾(١)، وقال: ﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا ﴾(٢).

عباد الله: لقد أقسم عدوكم الشيطان لأبينا آدم أنه له لمن الناصحين، وقد كذب؛ بل هو من الغاشين الخائنين المخادعين، فكيف بمعاملته لنا وقد أقسم لربنا على أن يجد ويجتهد في إضلالنا وإغوائنا؛ قال تعالى: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴾(٣).

---

(١) سورة الأعراف، الآية [٢٧-٢٨].

(٢) سورة الكهف، الآية [٥٠].

(٣) سورة ص، الآيتان [٨٢-٨٣].

فاتق الله تعالى -أخي المسلم- والجأ إلى الله تعالى، فكلما راودتك نفسك على كذب أو غش أو خيانة أو تأخير صلاة عن وقتها، وتلاعب بشروطها وأركانها أو عقوق الوالدين وغير ذلك من المعاصي، فاعلم أن ذلك من الشيطان، فاستعذ بالله سبحانه وتعالى منه وكن بجانب ربك، فلا مخلِّص لك ولا كافيك منه إلا الله عزوجل.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾(١).

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

(١) سورة فاطر، الآية [٦].

الخطبة الثامنة عشرة:

التطير والتشاؤم

الحمد لله حمداً كثيراً كما ينبغي لجلاله وعظيم سلطانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الذي له الحمد كله والملك كله، وبيده الخير كله، وإليه الأمر كله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المرسل لتحقيق التوحيد ونفي الشوائب عنه، فهو أفضل المتوكلين، اللهم صلِّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه الذين هم بسنة نبيهم متمسكون وعلى ربهم يتوكلون وبه يستعينون.

أما بعد:

فيا أيها الناس علينا أن نتقي الله تعالى فنحافظ على عقيدتنا وتوحيدنا وأخلاقنا وأعمالنا الإسلامية، فمن ابتغى ذلك من غير الإسلام فمآله الهلاك والخسران: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾[(١)] فالحذر أيها المسلم أن تلوث إسلامك بشيء من أفعال الجاهلية الماضية، أو الجاهلية الحاضرة، بما يكدر صفو توحيدك أو يقدح في إسلامك، ألا وإن من أفعال الجاهلية التي حاربها الإسلام: التطير والتشاؤم بالأزمان والشهور، أو بالنجوم أو بالأشخاص، وكان هذا التشاؤم يصدهم عن مقاصدهم، فنفاه الشارع الحكيم وأبطله، وأخبر الرسول ﷺ أنه لا تأثير له في جلب نفع أو دفع ضر، فكان من جهلهم أنهم يتشاءمون في شهر صفر، كما يتشاءمون من بعض الأشخاص إذا أصابهم ما يكرهون، وكذلك من بعض الطيور

---

(١) سورة آل عمران، الآية [٨٥].

والحيوانات؛ قال ﷺ: **(لا عدوى ولا طيرة ولا صفر ولا هامة)**. وكان قوم فرعون إن أصابتهم حسنة نسبوها لأنفسهم، وإن أصابتهم سيئة علقوها بموسى وقومه، كأنهم القادرون على جلبها وردها، وبهذا الاعتقاد نسوا الله تعالى وتدبيره وتقديره، فأبطل الله عز وجل هذا الظن السيىء؛ فقال جل ذكره: ﴿فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ﴾ ثم أخبر سبحانه أن ما أصابهم هم سببه، وشؤم معاصيهم هي الجالبة له؛ فقال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾ ثم أخبر بأن اعتقادهم هذا هو عين الجهل والبعيد عن العلم؛ فقال: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[(١)] والطيرة والتشاؤم هو: ما أمضى الإنسان إلى حاجته أو رده عنها أو أثَّر في عزمه على هذا العمل، فإذا وجد هذا فهو من الطيرة الممنوعة والشركية؛ الذي قال فيه الرسول ﷺ: **(الطيرة شرك.. الطيرة شرك)**. فمن اعتقد أن شهر صفر ينفع أو يضر بنفسه فهذا شرك أكبر، والذنب الذي لا يغفر، إلا من تاب قبل موته، ومن قال هذا تساهلا فهو الشرك المنافي لكمال التوحيد، ومثله من تشاءم بنوع من الطيور كالبوم، أو شهر من الشهور كشهر صفر، ومثله أيضاً من فاجأه عند عزمه لسفر منظر مروع، أو منظر لا يريده فرده عن السفر، أو فاجأه أول الصباح مشتر ذو عاهة كأعور فلم يبعه، كل ذلك من الطيرة المذمومة، والعلاج لمن يجد في نفسه شيئاً من هذه الأمور أن يقول: **(اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك ولا إله غيرك)**. ويقول: **(اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك)**، فهذا علاج نافع لتحقيق التوكل

---

(١) سورة الأعراف، الآية [١٣١].

على الله سبحانه وتعالى، وحسن الظن به؛ لأن التشاؤم -ياعباد الله-والتطير سوء ظن بالرب جل جلاله؛ حيث يجعل الأزمان والمخلوقات مساوية لله-تعالى وتقدس- في جلب المنافع ودفع المضار، فتوكلوا على الله تعالى إن كنتم مسلمين، أيها المسلمون، قد يوجد بعض الأحيان شيء من المساوئ فيتجنبها المسلم فليس هذا من التطير والتشاؤم الممنوع؛ لأن هذه العين اقترن بها شيء من الضرر بتقدير الله تعالى وتدبيره وخلقه فيها هذا الضرر، كالدابة مثلا نجدها مثلا سيئة الأخلاق صعبة غير منقادة، وكالزوجة نجدها خبيثة شريرة خائنة، وكالسيارة تكون كثيرة الخلل، وكبقعة تحضرها الشياطين فلم تقع فيها بركة، ولم يكن للخير فيها مقر، فهذه الأمور يتجنبها المسلم؛ لما رتب الله تعالى على طبائعها من السوء إذا ظهرت له علامة ذلك، وأما من لم يرتب الله تعالى عليها شيئاً من ذلك كالزمن والطيور، وذوي العاهات فإنه لا يصح أن ترتب عليه إمضاء حاجتك أوردها، فمثلا شهر صفر؛ مَنْ قال: إنه مشئوم؟ ورسول الله ﷺ يقول: **(لا عدوى ولا طيرة ولا صفر)**. ومن قال: إن الطير مشئوم إن قابلك أو استدبرك أو سنحك يميناً أو يساراً؟! ومن قال: إن الأعور إذا كان أول مشتر منك سيضرك؟! فاتقوا الله تعالى -ياعباد الله- واعلموا أن التشاؤم ممنوع، والتفاؤل جائز، والتفاؤل هو: الكلمة الطيبة، وهو الشيء الذي يجعلك تفرح وتستبشر، ولكن لا يؤثر على حاجتك إمضاءً أو رداً، وهو حسن ظن بالله تعالى، كأن يرى الإنسان منظراً حسناً أو تيسيراً في حاجته فيستبشر خيرا، وحقيقة التوكل على الله تعالى موجودة عنده فإن ذلك لا يضره.

أيها المسلمون: أما مجيء المطر في الشتاء وكثرته، وكثرة هبوب الرياح في بعض فصول السنة، فليس للزمن فيها دخل ولا تصرف، وإنما ذلك من سنن

الله تعالى الكونية أجرى وقوعها غالبا في هذا الزمان؛ لتنظيم الحياة وليعرف الناس مصالحهم، كما جرت سنته في أن الغرس والبذر يصلح في وقت دون وقت، وكما جرت سنته في مد البحر وجزره وطلوع الشمس والقمر في أوقات معلومة، وتدبيره في جعل بعض الأرض صالحة للبذر والغرس، وبعضها غير صالح، وكما أجرى بعض النجوم وأثبت بعضها كالجدي؛ لتكون علامة للاهتداء بها، كل ذلك بتقدير الله تعالى -ياعباد الله- فمن اعتقد أن الزمن هو المؤثر في المطر أو النبات أو غيره فإن ذلك هو المحذور، والذنب غير المغفور، إلا من تاب وآمن بالرب المشكور قبل أن يموت.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَيَبۡسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ يَشَآءُ وَيَجۡعَلُهُۥ كِسَفٗا فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡهِم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمُبۡلِسِينَ﴾[(١)].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[(٢)].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

---

(١) سورة الروم، الآية [٤٧-٤٨].

(٢) سورة الأعراف، الآية [١٣١].

الخطبة التاسعة عشرة:

التحذير من الأعياد البدعية

الحمد لله الذي جعل لنا مواسم خير وبركة تعود وتتكرر علينا في الأسبوع والسنة .. أحمده سبحانه أن جعل لنا في أعيادنا فرحاً وسروراً، وعبادة يثيبنا عليها؛ إنه كان غفورا شكوراً، فأشكروه على إنعامه وإفضاله؛ فقد شرع لنا من الأعياد ما يغنينا عن أعياد الجاهلية والمخالفين لديننا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يثيب بفضله ويعاقب بعدله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وأمينه على وحيه، جعل الله تعالى لنا كل خير وسعادة في شرعته .. اللهم صلِّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه المتمسكين بسنته والمبغضين لمجتنبيها ومخالفيها تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى، وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته، فأمر الله تعالى بالتقوى في هذه الآية موجها للمؤمنين كما أمرهم بالاستمرار على الإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ، ثم وعدهم بما تقر بها أعينهم وتستبشر بها نفوسهم دنيا وأخرى بقوله: ﴿ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ ﴾[(١)] أي: نصيبين من رحمته بسبب إيمانكم بمن قبله من الرسل عليهم الصلاة والسلام، ثم وعدنا الله تعالى بنور نمشي به على الصراط؛ كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ ﴾[(٢)]، ومعلوم أن النور على الصراط لا يحصل إلا بعد النور الحاصل من العلم بشرع الله تعالى والعمل به فهو السبيل

(١) سورة الحديد، الآية [٢٨].

(٢) سورة التحريم، الآية [٨].

الواضح الذي يهتدى به ؛ كما قال تعالى: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(١)، وقال: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾(٢)، وغاية المؤمن المطلوبة أن يغفر الله تعالى له ذنوبه، والله تعالى قد وعده: ﴿ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(٣).

أيها المسلمون .. لا بد أن يتميز المسلم في عقيدته، والأعمال هي التي تميز الشخص ؛ لأنها تبرز ما في الضمير، فغير المسلمين لا يؤمنون بالله تعالى ولا برسوله ﷺ فدياناتهم كيف شاءوا ؛ لأنهم في كتبهم غيروا وبدلوا وحرفوا، وبرسالة محمد ﷺ لم يؤمنوا، فبينكم وبينهم الفرق العظيم في هذه العقيدة، فالمسلم الصحيح هو المعترف بعبادة الله وحده لا شريك له، وغير المسلمين عبدوا مع الله غيره، فالنصارى عبدوا عيسى وأمه، وهما بريئان من أن يرضيا بذلك ؛ كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾(٤)، واليهود قالوا: عزير ابن الله ؛ فهم يضاهئون قول الذين كفروا، ولا تحصى طرق ديانات غير المسلمين والمبتدعين، وأهل البدع ممن يدعي الإسلام في بدعهم، ألا وإن من أعمال النصارى كثرة الأعياد وشابههم في ذلك كثير ممن يدعي الإسلام،

---

(١) سورة المائدة، الآية [١٥-١٦].

(٢) سورة إبراهيم، الآية [١].

(٣) سورة الحديد، الآية [٢٨].

(٤) سورة المائدة، الآية [١١٦].

ولقد كنا–عباد الله–في هذا البلد الآمن المطمئن بسبب علمائنا وحكامنا مكتفين بعيدي السنة: عيد الفطر وعيد الأضحى، وبيوم الجمعة في كل أسبوع؛ يجتمع المسلمون ليؤدوا فيه عبادة ربهم، ولكن هذه الأوقات التي كثرت فيها وسائل التنقلات والاتصال، واطلع العالم في أقطار الأرض بعضه على بعض، واستقدم المسلمون غير المسلمين؛ لأعمال خاصة تتطلبها الحياة، وسافر بعض المسلمين إلى غير المسلمين، وأدى ذلك إلى ظهور أعمال نصرانية بين المسلمين، ومسائل بدعية قد يغتر بها بعض المسلمين فيظنها جائزة مثل: الاحتفالات بالموالد؛ فإنها بدعة، ومثلها بدعة إطفاء الشموع بمناسبة احتفال مولد الإنسان ومنها ما هو متكرر كعيد رأس السنة، ومعلوم أن مثل هذه الاحتفالات لم توجد في القرون السابقة المفضلة، ولو كان خيرا لسبقونا إليه، والذي أردت التحذير منه:

أن لا يعتقد أحد من المسلمين جواز ذلك، و أن لا يعمل ما يعمل هؤلاء، ولنعلم أن من عمل عمل النصارى أو عمل المبتدعة فهو مثلهم: **(من تشبه بقوم فهو منهم)**. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾[1]، ولقد بلغنا أن بعض المسلمين قد يهنيء النصارى في عيد السنة أو مشاركتهم في الاحتفال به، وهذا وجد بين الأفراد على وجه الخفية في بلادنا؛ لأنهم–ولله الحمد والمنة–قد مُنِعُوا من إظهار عاداتهم الفاسدة ودياناتهم، ولهذا لو ثبت تهنئتهم أو مشاركتهم من أحد المسلمين؛ لعزر من قبل المسؤولين؛ لأنه شجعهم وخذل المسلمين؛ ولأنه خان ولاة الأمور الذين منعوا النصارى من إظهار دينهم وعاداتهم الفاسدة، فلا ندري ماذا يريد هذا

(١) سورة الأنعام، الآية [٦٨].

الفرد المسلم بهذه المخالفات؟ هل أراد بها النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين؟.

كلا، ولكنه التقليد الأعمى، وقد ورد في منع وكراهة مشاركتهم أحاديث وآثار عن الصحابة الذين هم قدوتنا وأسوتنا بعد نبينا، وكل من اتبعه بإحسان ممن رضي الله عنه وأرضاه، قال البيهقي رحمه الله: «وفي هذه الكراهة لتخصيص يوم بذلك لم يجعله الشرع مخصوصا به، وهذا عمر رضي الله عنه نهى عن لسانهم وعن مجرد دخول الكنيسة عليهم يوم عيدهم، فكيف بمن يفعل بعض أفعالهم أو يفعل ما هو من مقتضيات دينهم؟ أليست موافقتهم في العمل أعظم من الموافقة في اللغة؟ أو ليس بعض أعمال عيدهم أعظم من مجرد الدخول عليهم في عيدهم؟ وإذا كان السخط ينزل عليهم يوم عيدهم بسبب عملهم، فمن يشركهم في العمل أو بعضه: أليس قد عرض نفسه للعقوبة.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «اجتنبوا أعداء الله في عيدهم». أليس هذا نهياً عن لقائهم والاجتماع بهم فيه، فكيف بمن عمل عيدهم؟ وأما عبدالله ابن عمر رضي الله عنهما فصرح أنه من بنى ببلادهم وصنع نيروزهم ومهرجانهم وتشبه بهم حتى يموت حشر معهم، وقد فسر كثير من العلماء الزور في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾(١)، أنها الأعياد البدعية، والله تعالى يمتدح عباده بالصفات الحميدة التي من جملتها ﴿لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ وعقد بعض العلماء فصلا، فقال: فصل: لا يجوز شهود أعياد اليهود والنصارى، وقال الخلال في جامعه: «باب كراهة خروج المسلمين في أعياد

---

(١) سورة الفرقان، الآية [٧٢].

المشركين»، فاتقوا الله عباد الله واحذروا مشابهة الضالين، واتبعوا سنة نبيكم تفلحوا.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[1].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

---

(١) سورة آل عمران، الآية [٣١-٣٢].

الخطبة العشرون:

فضل العلم

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان مالم يعلم، أحمده سبحانه وأشكره فهو الرب الأكرم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾(١) وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إمام المعلمين وأشرف المتعلمين، وأعرفهم برب العالمين، اللهم صلِّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه وجميع أتباعه والسالكين منهجه وطريقته في تعلمهم وتعليمهم.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى ويعلمكم الله، فالله يعلم وأنتم لا تعلمون، عباد الله ما من أحد منا إلا ويحب أن يكون متعلماً، وولده متعلما، وهذه الظاهرة هي الموجودة في وقتنا الآن، والتي كرست لها أعظم الجهود، وكل الطاقات، واهتم بها المسئولون، ورصدت لها الأموال الطائلة، وشغل نجاح البنين والبنات معظم الأوقات من الآباء والأمهات؛ لأن العلم صفة عالية في الإنسان بل وحتى الحيوان، فالكلاب مثلاً: المعلم منها يباح أكل ما قتله من الصيد، وغير المعلم لا يباح أكل صيده، فإذا كان قد امتاز معلم الكلاب على جاهلها فما بالك بالإنسان؛ قال تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾(٢) أي: أصحاب العقول من بني آدم الذين

---

(١) سورة النحل، الآية [٧٨].

(٢) سورة الزمر، الآية [٩].

تعلموا ما خلقوا من أجله وعملوا به، فالعلم يكون لهم نورا وبصيرة وظلا يوم القيامة، وحياة في الدنيا والآخرة والجهل يكون عليهم عمى وظلمة وحرارة وموتا؛ قال تعالى: ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴾(١) ويكسب العلم بني آدم العزة والرفعة؛ قال جل ثناؤه: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾(٢) وتتمكن خشية الله تعالى من العلماء؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾(٣) ويجعل العلم أهله يشهدون بما يشهد به الله وملائكته، وهو وحدانية الله وعزته وقدرته وقيوميته بالقسط، وهذا أفضل مشهود به؛ قال جل ثناؤه: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾(٤) وبالعلم يثبت العقل للأمثال التي يضربها الله للناس؛ قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾(٥).

فيا عباد الله إن فضل العلم أكثر من أن يحصر، ولكن أتدرون ما العلم النافع المفيد في الدنيا والآخرة؟ وما العلم الذي يخرج من الظلمات إلى النور؟ والذي به الحياة من الموت؟ والذي به البصر عن العمى؟ والشخصية القوية؟ والخشية من الله؟ وبه الظل عن الحرور يوم القيامة؟ ألا إنه العلم بما أنزل الله تعالى وبما شرعه

---

(١) سورة فاطر، الآيات: [١٩-٢٢].

(٢) سورة المجادلة، الآية [١١].

(٣) سورة فاطر، الآية [٢٨].

(٤) سورة آل عمران، الآية [١٨].

(٥) سورة العنكبوت، الآية [٤٣].

على لسانه نبيه ﷺ ؛ قال تعالى : ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾(١) وإنه العلم بمعرفة الحلال ؛ لتفعله ، والحرام والمكروه لتجتنبه ، وبمعرفة المتشابه ؛ لتتقيه وإنه العلم بتفرد الله بالخلق والرزق والإيجاد والإعدام ، وأنه المستحق لأن يصرف العباد أفعالهم كلها له تعالى من : دعاء واستغاثة واستعانة وعزم ، وأن الله تعالى هو المستحق لهذه العبادة كلها دون غيره ، وأنه المتفرد بصفاته العليا وأسمائه الحسنى ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾(٢).

فهذا هو العلم الذي من سلك طريقه سهل الله تعالى له طريقا إلى الجنة ، وحفته ملائكة الرحمة ، وتنزلت عليه السكينة ؛ قال ﷺ : **(من سلك طريقاً يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقاً إلى الجنة وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ومن بطّأ به عمله ، لم يسرع به نسبه)**(٣).

والعلم النافع هو الذي يأوي به الإنسان إلى الله تعالى ، بينما رسول الله ﷺ جالسٌ وحوله أصحابه متحلقين : جاء ثلاثة رجال ، فوجد واحد منهم فرجة فجلس وجلس الثاني خلف الحلقة والثالث رجع ، فلما انتهى الرسول ﷺ قال : **(ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟)** ، قالوا : بلى يا رسول الله ، قال :

---

(١) سورة الرعد ، الآية [١٩].

(٢) سورة الشورى ، الآية [١١].

(٣) رواه مسلم (٢٦٩٩).

(أما أحدهم فآوى إلى الله فآواه الله ، وما الآخر فاستحيا ، فاستحيا الله منه ، وأما الثالث فأعرض ، فأعرض الله عنه)[(١)].

فالعلم بما تقدم هو الخير كل الخير ؛ قال ﷺ : **(من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)**. وإن من العلم النافع أن يتعلم المسلم ما ينفع به المسلمين من المرافق الحيوية التي يستعان بها على طاعة الله تعالى ، وتقوية المسلمين حسا ومعنى كعلم الطب والزراعة والصناعة والتجارة ، فما أعظمها من علوم إذا حسن القصد من تعلمها والاستفادة منها.

نسأل الله تعالى أن يسدد خطانا ، ويفقهنا في ديننا ، ويعلمنا العلم النافع ، ويوفقنا العمل الصالح الذي ينفعا في دنيانا وآخرتنا.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾[(٢)].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

---

(١)أخرجه البخاري ومسلم والترمذي.

(٢) سورة العلق ، الآيات : [١-٥].

الخطبة الحادية والعشرون:

العلم والتعليم

الحمد لله الغني الحميد، أحمده سبحانه الغني عن خلقه، وهم الفقراء إليه، وأشكره ونسأله المزيد من فضله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل في الحديث القدسي: **(أنا أغنى الشركاء عن الشرك؛ فمن عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه)**. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إمام المتقين وسيد الأولين والآخرين، وعلمه أفضل علم السابقين واللاحقين، اللهم صلِّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وأصحابه الذين نهلوا من علمه، ما جعلهم أولى بصحبته، عند ورود حوضه، هدفهم سام، وغايتهم رضا الله تعالى وابتغاء مرضاته.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى... اتقوا الله عباد الله المسلمين، واعلموا أن مقتضى الإيمان بالله تعالى هو العمل بأوامره واجتناب منهياته والمسارعة إلى طاعته، وطاعة رسوله ﷺ، فاتقوا الله تعالى واستعدوا لليوم الآخر الذي فيه ثواب الأعمال الصالحة، والجزاء على الأعمال الفاسدة، يوما يقف فيه الإنسان فردا بين يدي الله تعالى لا واسطة تشفع ولا رشوة تنفع لمن أغفل نفسه في هذه الدنيا وأهملها فكأنه يسمع ولا يسمع، هدفه زخرف الدنيا وزينتها، ألا وإن أهم ما ينبغي أن نهتم بإصلاحه العلوم الشرعية، فنتعلم أحكام الشريعة للعمل بها، ومن العلوم الدنيوية ما يعيننا عليها.

أما إذا قصدنا في تعلمنا لهذه العلوم تأمين حياتنا ومستقبلنا على حد تعبير بعض المتعلمين في وقتنا الحاضر، فالقصد غير صحيح، والمآل إلى الخسران؛ فإن

هذا المفهوم يحمل الخطر الكبير على عقيدة المسلم ؛ حيث إنه لا يعلم المستقبل ومع ذلك ربطه بجهوده ، والمفروض عليه أن يستعين بالله تعالى ، ويفعل الأسباب ، ويجعل النية الصالحة قائده ، والمصلحة العامة رائده ، متقيداً في تعلمه وتعليمه بقيود الشريعة ، أما إذا كان تعلمه على حساب عقيدته وأخلاقه وسلوكه وهدم شخصيته ؛ فإن هذا المسلك هو هلاكه وموته وظلمته ، وهذا المسلك المهلك أيها المسلمون يتركز على ما يأتي :

أولا : أن يتعلم للمراءاة والمباهاة ، وأن يلقب بأسماء الشهادات والمؤهلات.

ثانيا : أن يركز تعلمه لقصد المنصب والرئاسة ؛ ليكسب الفخر والجاه.

ثالثا : أن يؤديه تعلمه إلى تعظيم النصارى واليهود ، وأن يتحصل على التفوق ؛ ليفوز بالابتعاث إليهم والدراسة بين يديهم ، والتلقي لما يقولون بأفواههم ماليس في قلوبهم.

رابعا : أن يعتقد هذا المبتعث تعظيمهم ، وتعظيم مجتمعهم ، وينتقص المسلمين ، وما علم أن ذلك نقص فيه وليس في الإسلام والمسلمين ، فما أكثر من انحرف ممن ابتعث إلى هؤلاء في عقيدته وانهارت أخلاقه ، وخبث سلوكه وعاد متنكراً لمجتمعه وتقاليده ، وكأنه يريد أن يقلب مجتمعه الإسلامي الفاضل مجتمعاً أوربيا ، ولربما رغب بعضهم أن يقلبه مجتمعاً شرقيا ، ومن أجل هذا حرم الرسول ﷺ الإقامة على المسلم بين الكفار من غير ضرورة ماسة أو حاجة ملحة ، فقال رسول الله ﷺ : **(أنا برئ ممن أقام بين المشركين)**. فاتقوا الله تعالى أيها المسلمون ، وتمسكوا بإسلامكم ، ولا تشجعوا أبناءكم على الابتعاث إلى أعداء الله تعالى فيتولون تربيتهم وتوجيههم فكيف يأمن الإنسان عدوه ، وعنده الحقد الدفين والحسد

القويم؟! وما أدل على هذا من أنهم يحاولون عزل أولادهم عن أولاد المسلمين في الدراسة في كل بلدة إسلامية إذا قدموا إليها للعمل، فكيف ونحن نزج بفلذات أكبادنا في حوضهم المظلم، وبحرهم المغرق غير مبالين، وبذلك مفتخرين متسابقين، كتب أحد ملوك الروم لأحد الأمراء المسلمين في الأندلس: أن ابعثوا إلينا أبناءكم نعلمهم ونبعث إليك أبناءنا تعلمونهم. فأجابه: أما أبناؤكم فنعم ابعثوهم إلينا؛ لحاجتهم إلى العلوم الإسلامية، أما أبناؤنا فلا، لأننا لسنا بحاجة إليكم، فلم ير هذا الأمير المسلم ما عندهم من العلوم مثل ما عنده من العقيدة وفروعها، فجعل الحفاظ على العقيدة الإسلامية أكبر علماً وأفضل فقهاً.

أيها المسلمون: ما حالة المسلمين اليوم إذْ لم يكتفوا بإرسال الأبناء، بل ابتعثوا البنات؟! وما عذرهم وقد وفرت لهم الدولة جميع وسائل التعليم مما هو غاية أو وسيلة؟!

أما يكفي المسلمين من الشرور ما يبثه لهم أعداؤهم بواسطة وسائل الإعلام المقروءة، والمرئية، والمسموعة، وبواسطة الاستشارات المسمومة المعسولة؟!

أيها المسلمون: كل علم لا يحافظ على العقيدة الربانية، والشريعة الإسلامية خلقا وعملا وعبادة في شتى المجالات فهو كعلم إبليس وجنوده من اليهود والنصارى والزنادقة والملحدين، فما نفع إبليس علمه إلا أن أخلده في النار، فاحذروا من مثل هذا، وحذروا أبناءكم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا

يُؤۡمَرُونَ ﴾[١]، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ ﴾[٢].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

(١) سورة التحريم، الآية [٦].

(٢) سورة التوبة، الآية [١٢٢].

الخطبة الثانية والعشرون:

فائدة التعلم

الحمد لله القائل: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾(١) أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، خير معلم لأمته صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه المتمسكين بسنته ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد: فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى الذي أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا، اتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم، اتقوا الرب الكريم الذي علم الإنسان ما لم يعلم.

وبالعلم يشرف الإنسان ويزداد عزاً وكرامة وبالجهل يهبط ويزداد ذلة وندامة.

قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾(٢).

وقال تعالى؛ آمراً لنبيه ﷺ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾(٣).

قال العلماء في تفسير هاتين الآيتين: يرفع الله تعالى المؤمن العالم على المؤمن غير العالم، ورفعة الدرجات تدل على الفضل؛ إذ المراد به كثرة الثواب، وبها ترتفع الدرجات، ورفعتها تشمل الرفعة المعنوية في الدنيا: بعلو المنزلة وحسن الصيت، والحسية في الآخرة: بعلو المنزلة في الجنة، وفي صحيح مسلم: أن نافع ابن عبدالحارث الخزاعي: «لقي عمر بن الخطاب بعسفان فقال له عمر: من استخلفت على أهل الوادي؟ فقال: استخلفت عليهم ابن أبزى مولى لنا. فقال: عمر: استخلفت عليهم مولى؟! قال: ياأمير المؤمنين إنه قارئ لكتاب الله

---

(١) سورة الزمر، الآية [٩].

(٢) سورة المجادلة، الآية [١١].

(٣) سورة طه، الآية [١١٤].

عالم بالفرائض قاضٍ. فقال عمر رضي الله عنه: أما إن نبيكم صلى الله عليه وسلم قد قال: **(إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع به آخرين)**. وعن زيد بن أسلم في قوله تعالى: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ﴾(١)، قال: بالعلم، وقوله: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾(٢)، واضح الدلالة على فضل العلم؛ لأن الله تعالى لم يأمر نبيه صلى الله عليه وسلم بطلب الازدياد من شيء إلا من العلم، والمراد بالعلم: العلم الشرعي الذي معرفته والعمل به سبب لدخول الجنة والجهل به وتركه سبب لدخول النار، فيجب على المكلف أن يتعلم من أمر دينه ما يجب عليه في عباداته ومعاملاته، والعلم بالله تعالى وأسمائه وصفاته وما يجب له من القيام بأمره وتنزيهه عن ما لا يليق به سبحانه، ومدار ذلك على التفسير والحديث والفقه، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وإنها مثل المسلم فحدثوني ماهي؟)** فوقع الناس في شجر البوادي، قال عبدالله: فوقع في نفسي أنها النخلة فاستحييت، ثم قالوا: حدثنا ماهي يارسول الله؟ قال: **(هي النخلة)**.

قال القرطبي: فوقع التشبيه بينهما من جهة أن أصل دين المسلم ثابت وأن ما يصدر عنه من العلوم والخير قوت للأرواح مستطاب، وأنه لا يزال مستورا بدينه، وأنه ينتفع بكل ما يصدر عنه حيا وميتا. انتهى.

وبعد أن أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم الصحابة بأن الشجرة هي النخلة، قال عبدالله: فحدثت أبي بما وقع في نفسي، فقال: لأن تكون قلتها أحب إليَّ من أن يكون لي كذا وكذا، زاد ابن حبان في صحيحه أحسبه قال: (حمر النعم).

---

(١) سورة الأنعام، الآية [٨٣].

(٢) سورة طه، الآية [١١٤].

وفي هذا الحديث: توقير الكبير، وتقديم الصغير أباه في القول، وأنه لا يبادره بما فهمه وإن ظن أنه الصواب، وفيه أن العالم الكبير قد يخفى عليه بعض ما يدركه من هو دونه؛ لأن العلم مواهب، والله تعالى يؤتي فضله من يشاء.

واستدل به مالك على أن الخواطر التي تقع في القلب من محبة الثناء على أعمال الخير لا يقدح فيها إذا كان أصلها لله تعالى، وذلك مستفاد من تمني عمر المذكور، ووجه تمني عمر رضي الله عنه: ما طبع الإنسان عليه من محبة الخير لنفسه ولولده، ولتظهر فضيلة الولد في الفهم من صغره، وليزداد من النبي ﷺ حظوة، ولعله كان يرجو أن يدعو له إذ ذاك بالزيادة في الفهم، وفيه الإشارة إلى حقارة الدنيا في عين عمر؛ لأنه قابل فهم ابنه لمسألة واحدة بحمر النعم من عظم مقدارها وغلاء ثمنها.

فتعلموا أيها المسلمون: أنه مهما بلغ الشخص من العلم فإنه لم يؤت إلا قليلا، وتزودوا منه ما أمكنكم ذلك، وخصوصا العلوم الشرعية التي يعرف بها المسلم عبادة ربه، والحلال من المعاملات فينفع به نفسه، وينتفع بها منه كل إنسان وحيوان، بل والجمادات؛ ولهذا ورد تسبيح الكائنات لطالب العلم الشرعي حتى الحيتان في الماء.

قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾(١)، وقد جعل الله تعالى شهادة العلماء الشرعيين بوحدانيته بصف شهادته وشهادة ملائكته في هذه الآية الكريمة التي فيها أجل شاهد وأجل مشهود به.﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾(٢).

---

(١) سورة طه، الآية [١١٤].

(٢) سورة آل عمران، الآية [١٨].

فأفضل ما يشتغل به المسلم آية محكمة، وسنة قائمة، وفريضة عادلة.

حينئذ تمتاز عن سائر أصناف الناس من كفار ومنافقين وعن سائر الجمادات والحيوانات، ولا جرم أنه لا يعقل هذا إلا من منح فطنة وذكاء وعقلا.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[(١)].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

---

(١) سورة الزمر، الآية [٩].

الخطبة الثالثة والعشرون:

كتاب الله هداية الله للعالمين

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، أحمده سبحانه إله الأولين والآخرين، وأشكره فهو المتفضل والمنعم بنعم عظيمة أجلها نعمة الإسلام على المسلمين الذين ينتفعون بوعظه ويعتبرون بزجره، ويهتدون بهديه، ويأتمرون بأمره وينتهون بنهيه، ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾[1]، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي أعد الجنة للمتقين، وأعد النار بمقتضى عدله وحكمته للعاصين.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أنزل عليه القرآن العظيم ﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾[2] اللهم صلِّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه الذين عظموا القرآن بحفظه وتلاوته والعمل به حق التعظيم، فما قدموا عليه غيره، ولم يهتموا بسواه حتى أحاديث الرسول ﷺ لم يكتبوها؛ مخافة أن تشتبه بالقرآن.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى، وعظموا كتاب ربكم حفظا وتلاوة وعملاً واستماعاً، كباراً وصغاراً، واحذروا من انعكاس الأمر من أن تشتغلوا بتعظيم غيره، من قراءة مقالة، أو صحيفة أو مجلة، أو قصص، ومسرحيات وسماع

---

(١) سورة النور، الآية [٣٤].

(٢) سورة البقرة، الآية [٢٣٢].

الأغاني والمغنيات بطريقة التسجيل والإذاعات، وهذه ظاهرة خطيرة كأنه لا يقرأ القرآن إلا الصغار، ولا يهتم به إلا الضعفاء، وهذا أكبر خطر يهددنا، إذا استغنى التجار بتجارتهم، وأهل الجاه بجاههم، وأصحاب الأشغال بأشغالهم، وكأن الآخرة ليست بشغل، وليست بتجارة أو جاه، فهذا رسول الله ﷺ كان لا يخطب إلا أن يقرأ آية أو سورة، وكان من أكثر ما يقرأ سورة (ق) كما روت أم هشام بنت حارثة رضي الله عنها قالت: (وما أخذت (ق) إلا على لسان رسول الله ﷺ على المنبر كان يقرأها كل جمعة على المنبر يخطب بها كل جمعة)، والمقصود -أيها المسلمون- أن رسول الله ﷺ كان يقرأ هذه السورة في المجتمعات الكبار كالعيدين والجمعة؛ لما تشتمل عليه من المعاني العظيمة، والمواعظ الكثيرة كتعظيم القرآن الكريم، والكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وفي هذه السورة التنبيه على كفر من أنكر رسالة محمد ﷺ وعلى من أنكر البعث، وفيها التنبيه على علم الله الواسع وعلى قدرته الكاملة لخلق السموات والأرض والماء والجبال والنبات من كل زوج بهيج، وعلى قدرته بإهلاك العاصين المكذبين بالرسل، وأن الخلق الثاني ليس بأعظم من الخلق الأول، وفيه التنبيه على أنه الذي خلق الإنسان فهو يعلم ما توسوس به نفسه، ويحصي كل ما ينطق ويعمل به، وفيها بيان حالة الإنسان وقت نزول الموت وسكراته، وأنه لا مفر حينئذ إلا إلى الله تعالى، وفيها بيان نشر صحيفة الإنسان أمامه يوم القيامة، والحكم بجهنم على من حاد عن هذه الشريعة، وأنه لا تنفعه الحيلة ولا الاعتذار ولا الخصومة والمحامون حينما تقرب جهنم أو الجنة، وفيها

بيان أن الله تعالى أهلك قرونا كثيرة قد بلغوا في القوة ما بلغوا فما أعجزوا الله عز وجل، وما فاتوه، وفيها أن القرآن ذكرى لأهل القلوب، وفيها أنه لا يعجزه شيء فهو المستحق للتسبيح والتعظيم في الصباح والمساء، وبعد أداء الصلوات بين كل آونة وأخرى، وفيها بيان نهاية هذا العالم وهي الصيحة، فهو الذي يحيي ويميت وإليه المصير.

وفي ختام الآيات من هذه السورة أنه لا يتذكر بالقرآن إلا من يخاف وعيد الله تعالى ويرجو عفوه ورضاه، اللهم اجعل القرآن ربيع قلوبنا وغذاء نفوسنا ونور قبورنا يارب العالمين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[(١)].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

(١) سورة الحشر، الآية [٢١].

الخطبة الرابعة والعشرون:

الأذان من شعائر الإسلام

الحمد لله ذي الجلال والإكرام، والفضل والطول والمنن الجسام، الذي هدانا للإسلام، وأسبغ علينا نعمه وألطافه العظام، وأفاض علينا من خزائن ملكه أنواعاً من الإنعام، وكرم الآدميين وفضلهم على غيرهم من الأنام، وجعل فيهم قادة يدعون بأمره إلى دار السلام، أحمده سبحانه المستحق لأعظم الحمد وأكمله وأشمله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له المتضمنة اعتقاد ربوبيته والإذعان لجلاله وعظمته ووحدانيته وحمده، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المصطفى من خليقته، والمختار المجتبى من بريته، صلى الله عليه وآله وصحابته والمتبعين لسنته.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى، واعلموا أن الأذان شعيرة من شعائر الإسلام، وفريضة عظيمة يجب على المسلمين إظهارها وإعلانها، والقيام بحقوقها، والحفاظ عليها، وتشجيعها؛ ديانة لله سبحانه ورجاء ما عنده من الثواب، وخوفا من عقابه، فالأذان هو: الإعلام بوقت الصلاة بألفاظ مخصوصة؛ تعبداً لله تعالى وهو مع قلة ألفاظه يشتمل على مسائل العقائد؛ لأنه يبدأ بالتكبير وهو المتضمن لوجود الله وكماله، ثم ثنى بالتوحيد ونفي الشريك، ثم بإثبات الرسالة لمحمد ﷺ، ثم دعا إلى الطاعة المخصوصة عقب الشهادة بالرسالة؛ لأنها لا تعرف إلا من جهة الرسول ﷺ ثم دعا إلى الفلاح وهو البقاء الدائم، وفيه الإشارة إلى المعاد، ثم إعادة ما بدأ به توكيداً.

ويحصل من الأذان: الإعلام بدخول الوقت، والدعاء إلى الجماعة، وإظهار شعائر الإسلام، والحكمة في اختيار القول له دون الفعل، هي: سهولة القول وتيسره لكل أحد في كل زمان ومكان.

عباد الله: إن دليل مشروعية الأذان في الكتاب والسنة قوله تعالى: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ﴾[2]، وأما السنة فمنها ما ورد من حديث ابن عمر في البخاري في سبب مشروعية الأذان وهو أن الجماعة شرعت في الصلاة فكانوا يتحرون الوقت، فاجتمعوا ذات يوم مع رسول الله ﷺ فبحثوا في وسيلة تعلمهم بوقت الصلاة، فمنهم من اقترح ناقوس النصارى، ومنهم من اقترح بوق اليهود، ومنهم من اقترح نار المجوس، فكلها يرفضها رسول الله ﷺ؛ ليبعد المسلمين عن مشابهة هؤلاء، فجاء اقتراح عمر رضي الله عنه الموافق لشرع الله تعالى فقال: أولا تبعثون رجلا ينادي بالصلاة؟ فقال الرسول ﷺ: **(يا بلال قم فناد بالصلاة)**.

فعن ابن عمر رضي الله عنهما: (كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون فيتحينون الصلاة ليس ينادى لها، فتكلموا يوما في ذلك، فقال بعضهم: اتخذوا ناقوسا مثل ناقوس النصارى، وقال بعضهم: بل بوقا مثل بوق اليهود، فقال عمر: أولا تبعثون رجلا ينادي بالصلاة؟ فقال رسول الله ﷺ: **(قم يا بلال فناد بالصلاة)**.

---

(١) سورة المائدة، الآية [٥٨].

(٢) سورة الجمعة، الآية [٩].

ومن أدلة وجوب الأذان: قوله ﷺ: **(ما من ثلاثة لا يؤذنون ولا تقام فيه الصلاة إلا استحوذ عليهم الشيطان)**.فدل الحديث على وجوبها؛ لأنه جعل تركها سببا لاستحواذ الشيطان. وقوله ﷺ: **(يعجب ربك عز وجل من راعي الغنم في شظية بجبل يؤذن للصلاة ويصلي، فيقول الله عزوجل: انظروا إلى عبدي هذا يؤذن ويقيم الصلاة يخاف مني، فقد غفرت لعبدي وأدخلته الجنة)**.

وهذا الوجوب وهذا الفضل للأذان من الرجال، أما النساء فليس عليهم أذان ولا إقامة، ولو أقامت المرأة سراً فلا بأس-إن شاء الله-لحديث: **(ليس على النساء أذان ولا إقامة)**.

ويستحب رفع الصوت بالأذان؛ لكونه سبب للمغفرة وشهادة الموجودات؛ لأنه أمر بالمجيء إلى الصلاة، فكل ما كان أدعى لإسماع المأمومين بذلك كان أولى، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **(المؤذن يغفر له مد صوته، ويشهد له كل رطب ويابس)**[1]. وقد قال لأبي محذورة: **(ارجع فارفع صوتك)**.

وينبغي لسامع الأذان أن يتحرك قلبه ويجيب منادي ربه، فيقول مثلما يقول المؤذن، وأن يترك التشاغل بالكلام أو الحركة كما في الحديث الشريف: **(إذا سمعتم النداء فقولوا كما يقول المؤذن)**، ولا ينبغي له أن ينصرف أو يقوم مسرعا حين يسمع الأذان؛ فإن هذه صفة الشيطان فهو الذي يتولى وله ضراط حين يسمع الأذان؛. وفي فضل مجاوبة المؤذن ما روي في صحيح مسلم عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(إذا قال المؤذن: الله أكبر الله أكبر، فقال أحدكم: الله أكبر الله أكبر، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله، قال: أشهد أن لا إله إلا الله، ثم قال: أشهد أن محمداً رسول الله، قال: أشهد أن**

---

(١) سنن أبي داود برقم (٥١٥).

محمداً رسول الله، ثم قال: حي على الصلاة، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: حي على الفلاح، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: الله أكبر الله أكبر، قال: الله أكبر الله أكبر، ثم قال: لا إله إلا الله، قال: لا إله إلا الله من قلبه دخل الجنة). فوعد بدخول الجنة؛ لأن الأذان توحيد وثناء على الله تعالى وانقياد لطاعته وتفويض إليه، فمن حصل هذا فقد حاز حقيقة الإيمان وكمال الإسلام واستحق الجنة بفضل الله تعالى.

وفي الحديث الآخر: **(من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آتِ محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه اللهم مقاماً محموداً الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة)**.

فهذا الفضل العظيم على مجاوبة الأذان يدل على الجواب بالفعل، وهو السعي إلى حضور المساجد والجماعات؛ ففي الحديث: **(من سمع النداء ولم يجب فلا صلاة له إلا من عذر)**. وقوله للأعمى: **(هل تسمع النداء؟)**، قال: نعم، قال: **(فأجب)**.

فمن سمع الأذان ولم يجبه بالقول ولم يحضر للصلاة فهل ترونه مشجعا لإحياء هذه الشعيرة؟! وهل ترونه مشجعا لاجتماع الكلمة؟!

وهل ترونه ممتثلا منقادا لله تعالى ورسوله ﷺ لما دعي لما يحيي قلبه ويؤمن جسمه من عذاب الله؟

فالحذر- يا أخي المسلم- من التشبه بالشيطان الذي يتولى وقت الأذان هارباً، ومن اليهود والمنافقين الذين يستهزءون بالأذان، فاستمرارك بعملك ونومك عن صلاتك واشتغالك بلهوك غير مبال هو الاستهزاء بعينه، فافزع إذا

سمعت منادي الله تعالى ولا تنتظر من يسحبك، أو يوقف حركتك، أو يغلق متجرك بالقوة.

هذا مقتضى الإسلام ومعنى لا إله إلا الله.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾[1].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

(١) سورة المائدة، الآية [٥٨].

الخطبة الخامسة والعشرون:

وجوب الصلاة، وحكم تاركها

الحمد لله الذي فرض الصلاة علينا وجعلها صلة بينه وبين عباده، سبحانه فرض فرائض فلا تضيعوها، وحدَّ حدوداً فلا تعتدوها،و حرم أشياء فلا تنتهكوها، وأشهد أن لا إله إلا الله القائل: ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾[١] وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أفضل من صلى وصام وعبدالله حق العبادة، ﷺ، الموصي بالصلاة والحفاظ عليها وهو يحتضر في النزع الأخير، **(الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم)**، صلى الله عليه وعلى آله ورضي الله عن صحابته القائمين على أمر الله، المؤدين فرائض الله، المطبقين لما جاء به الرسول أولئك الذين هداهم الله فبهداهم اقتده، وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد: يا أيها الناس، اتقوا الله حق التقوى، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى؛ فإن تقواه عنوان السعادة، والإخلال بها عنوان الشقاوة، فالإنسان يسعد بتقوى ربه وقوة صلته به، فكلما ازداد من طاعته ازداد منه قرباً، وما أبغض أحد طاعة الله إلا ناصب الله بالمحاربة ولا أحد يستطيع محاربة خالقه ومربيه، **(من عاد لي وليا فقد آذنته بالحرب)**[٢]، وثمرة الطاعة في الدنيا الأنس بالله وبأوليائه وارتياحه النفسي؛ لإيمانه بعاقبة ذلك، وثمرة المعاصي الوحشة من ربه لعدم ارتياحه النفسي، وأما في الآخرة فثواب السعيد الجنة، وثواب الشقي النار، قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾

---

(١) سورة البقرة، الآية [٤٣].

(٢) البخاري (٦١٣٧).

خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ﴾[1] وقال ﷺ: **(إن كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى)**، قالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟، قال: **(من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى)**[2]. ومن أجل هاتين الدارين أرسل الله محمداً ﷺ وأنزل عليه قرآنا عربيا؛ لينذر أم القرى ومن حولها.

عباد الله، إن من أوجب الواجبات، وأعظم الطاعات ما فرضه الله من الصلوات الخمس في اليوم والليلة بعد الشهادتين، جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ماذا فرض الله عليَّ من الصلوات؟ قال: **(خمس صلوات في اليوم والليلة)**، قال: هل عليّ غيرهن؟ قال: **(لا، إلا أن تطوع شيئا)**[3]. فما أعظمه من واجب هي شعار المؤمنين، وعنوان المتقين، فوقتها مفرغ لمناجاة رب العالمين وحمده والثناء عليه حيث يبدأ المصلي: بتعظيم ربه قائلا: الله أكبر، كاشفا الحجاب بينه وبين ربه برفع يديه منظفا ثوبه وبدنه وبقعته التي يصلي فيها من أدران النجاسات، رافعاً الحدث الأكبر بالغسل والحدث الأصغر بالوضوء؛ ليطهر قلبه في هذا الوقت الذي يناجي ربه من أدران الذنوب والآثام، فالمحافظة على هذه الصلوات وأدائها في أوقاتها فرض على كل مسلم بنص كتاب الله وسنة رسوله وإجماع المسلمين فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿

(١) سورة هود، الآية [١٠٦-١٠٨].

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنة رسول الله ١/١٩٦ برقم (٧٢٨٠).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الصوم، باب وجوب صوم رمضان ١/٥١ برقم (١٨٩١)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب بيان الصلوات ١/٤٠ برقم (١١).

وسنة رسوله وإجماع المسلمين فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾[1]، ومن السنة قوله لمعاذ حين أرسله إلى اليمن؛ ليعلمهم فروض الإسلام: **(فإن هم أطاعوك بذلك فأعلمهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة)**. قال الإمام أحمد رحمه الله: لاحظ في الإسلام لمن ترك الصلاة، وقد كان عمر يكتب إلى الآفاق أن أهم أمورهم عنده الصلاة، فمن حفظها حفظ دينه، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع، ولاحظ في الإسلام لمن ترك الصلاة. قال: فكل مستخف بالصلاة مستهين بها فهو مستخف بالإسلام مستهين به وإنما حظهم من الإسلام على قـدر رغبتهم في الصلاة. فاعرف نفسك يا عبدالله، واحذر أن تلقى الله ولا قدر للإسلام عندك؛ فإن قدر الإسلام في قلبك كقدر الصلاة في قلبك، وقد جاء الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: **(الصلاة عمود الدين)**.

ألست تعلم أن الفسطاط-يعني الخيمة-إذا سقط عموده سقط الفسطاط فلم ينتفع بالأطناب ولا بالأوتاد، وإن أقمت العمود انتفعت بالطنب والأوتاد، وكذلك الصلاة من الإسلام، وجاء الحديث أن أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة من عمله الصلاة، فإن تقبلت منه صلاته تقبل منه سائر عمله، وإن ردت عليه رد عليه سائر عمله، فالصلاة أول فروض الإسلام العملية وهي آخر ما يفقد من الدين، فهي أول الإسلام وآخره فإذا ذهب أوله وآخره فقد ذهب جميعه، قال الإمام أحمد: كل شيء يذهب آخره فقد ذهب جميعه، فإذا ذهبت صلاة المرء ذهب دينه، قال ﷺ في وصف من

(١) سورة البقرة، الآية [٤٣].

تركها: **(العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر)**. وفي رواية: **(بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة)**. وجعل الله إقامة الصلاة علامة للكف عن قتل المشركين، قال تعالى: ﴿ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[1]ولتارك الصلاة عالما عامدا عقوبات دنيوية وأخروية، والعقوبة في الدنيا إذا خرج وقتها وهو تارك لها من غير عذر شرعي أن يستتاب ثلاثا، فإن تاب وإلا قتل، فإن كان جاحدا لوجوبها فهو مرتد مباح الدم والمال وتطلق زوجته، إلا إذا تاب وعاد إلى الصلاة، وإن تركها متساهلا فهو أيضا يقتل، وليس المقصود من ترك الصلاة كونه لا يصلي مع الجماعة، إلا أن الجماعة واجبة؛ لما فيها من الفضل والخير الكثير، فإذا صلاها الإنسان في بيته من غير عذر شرعي صحت صلاته وأجزأته مع الإثم ونقص الثواب، والصبي الذي لم يبلغ، صلاته نافلة ويجب على وليه أمره بالصلاة إذا بلغ سبعا ويضربه عليها إذا بلغ عشرا؛ تدريبا له وتعويدا على محبة عبادة الله والقيام بشرعه ومحبته لا محبة الشيطان، ويكون متهيئاً لتلقي التكاليف بعد البلوغ ولوليه الأجر والثواب. قال ﷺ: **(مروا أبناءكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر)** أما المجنون فلا صلاة عليه؛ لفقد عقله الذي يؤهله لتلقي التكليف.

فاشكروا ربكم على ما منحكم من العقول السليمة التي تستنيرون بها المعرفة والحكمة، وتميزون بها الحق من الباطل، وتهديكم إلى الصراط المستقيم، فمن أعمى الله قلبه شابه الأنعام. ﴿إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِۖ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾[2]وصار

---

(١) سورة التوبة، الآية [٥].

(٢) سورة الفرقان، الآية [٤٤].

المجنون أحسن منه؛ لأنه غير معاقب وهم معاقبون؛ قال رسول الله ﷺ: **(رفع القلم عن ثلاثة: الصغير حتى يبلغ، والمجنون حتى يفيق، والنائم حتى يستيقظ)**، فالصغير والمجنون لا قضاء عليهما لِمَا فاتهما من الصلوات، وكذلك الكافر والمرتد إذا رجعا إلى الإسلام؛ لقوله تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾(١) وقوله عليه السلام: **(الإسلام يجب ما قبله)** وأما النائم فيصلي متى استيقظ من نومه حتى ولو كان وقت نهي كبعد العصر والفجر؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: **(من نام عن صلاة أو نسيها فليصليها إذا ذكرها لا كفارة لها إلا ذلك)**. وقال تعالى: ﴿ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾(٢) ومثل النائم: المغمى عليه والمبنج والسكران، فيقضون الصلاة من حين زوال العذر.

عباد الله، إن الصلوات الخمس لها أوقات معينة من اليوم والليلة لا يصح إخراجها عن وقتها من غير عذر شرعي؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ﴾(٣). لما فرض الله الصلاة على نبينا محمد حينما عرج به اتبعه جبريل فصلى به أول الوقت وآخره، فقال: **(يا محمد، الصلاة ما بين هذين الوقتين)**.. فالواجب أن يصلي المسلم كل صلاة في وقتها على حسب حاله واستطاعته وتمكنه من الطهارة، يتوضأ من الحدث الأصغر ويغتسل من الحدث الأكبر، ولا يتيمم مع وجود الماء إلا لعذر، ولا يصلي قاعداً مع الاستطاعة على

---

(١) سورة الأنفال، الآية [٣٨].

(٢) سورة طه، الآية [١٤].

(٣) سورة النساء، الآية [١٠٣].

القيام، فإن لم يستطع القيام صلى قاعداً، فإن لم يستطع فعلى جنبه أو مستلقيا ورجلاه إلى القبلة، ولا يؤخر الصلاة عن وقتها ما دام عنده إدراك، والحائض إذا طهرت قبل طلوع الشمس صلت الفجر، وإن حاضت أو نفست بعد دخول وقت من الأوقات وقبل أن تصليه فإنها تقضيه إذا طهرت.

فاتقوا الله عباد الله، وحافظوا على صلواتكم، وإن استهزأ بها الكفار والمنافقون؛ حيث لا يعقلون عقوبة ذلك، واحذروا أن تتخذوهم أصدقاء؛ فإنهم جلساء السوء، وأن تتولوهم؛ فإنهم أولياء الشيطان.

فالمحافظة على الصلوات والبراءة من هؤلاء من سجايا المتقين وصفات المؤمنين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾[1].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر والحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الكريم لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

---

(١) سورة المائدة، الآية [٥٧].

الخطبة السادسة والعشرون:

أحكام تتعلق بالصلاة

الحمد لله القائل: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾(١) وأشهد أن لا إله إلا الله فرض علينا الصلاة وجعلها ركناً من أركان الإسلام، فمن أقامها أقامه، ومن هدمها هدمه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أمره ربه جل وعلا، بإقامتها، كما أمره أن يأمر أهله بها فقال: ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾(٢) صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات، والخاشعين والخاشعات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات، أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً.

أما بعد:

فيا أيها الناس اتقوا الله تعالى، واعلموا أن كل مسلم يهدف إلى الخير ويروم الغاية المحمودة، ولا بد أن يتحقق في عمله شرطان أساسيان يبني عليهما صحة عمله وصلاحه، وقبوله عند الله تعالى:

أولاً: الإخلاص لوجه الله الكريم، فالأعمال المقبولة المعتبرة شرعاً هي ما أسس على النية الخالصة لله عز وجل، قال ﷺ: **(إنما الأعمال بالنيات)** فلا عمل إلا بالنية.

الثاني: أن يكون هذا العمل موافقاً لما جاء به الرسول ﷺ؛ فإن العمل إذا لم يكن فيه متابعة للرسول ﷺ، فهو مردود على صاحبه مهما اجتهد وزاد؛

---

(١) سورة النساء، الآية [١٠٣].

(٢) سورة طه، الآية [١٣٢].

قال ﷺ : **(من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)**. وجَمَعَ هذين الشرطين، -أعني الإخلاص والمتابعة-، قوله تعالى: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ۝ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ﴾[1].

فمعنى: أحسن: أصوب وأخلص، وقوله تعالى: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ ﴾[2].

فثمرة الإخلاص والمتابعة محبة الله تعالى لنا ومغفرته لذنوبنا، وهما خير ربح للعبد، وأفضل ثمرة يجنيها العبد أن يقدم على الله تعالى وهو محبوب عنده، وقد غفر ذنبه، وستر عيبه، وأمن روعته، ومما يجب أن ننتبه له إخلاصاً ومتابعة الصلاة وما يتعلق بها، وقد عرفنا مكانتها في الإسلام، وحكم أدائها مع الجماعة، وهناك أمور تتمها وتكملها، منها: الخشوع؛ فإنه لب الصلاة وأساس قبولها، وعدم الخشوع خطر عليها يهددها بالفساد، فقد يخرج الإنسان من الصلاة وليس له من صلاته إلا نصفها، أو ربعها، أو عشرها، وحين ينتهي منها وقد أتم ركوعها وسجودها وأكمل شروطها وأركانها وواجباتها فإنها تصعد إلى السماء ولها نور وتفتح لها أبواب السماء، وإن كانت فاسدة أغلقت أمامها أبواب السماء، ولفت كما يلف الثوب الخلق ثم يضرب بها وجه صاحبها، وأفضل ما يتصف به المؤمن الخشوع في الصلاة، كما بدأ الله تعالى به صفات المؤمنين الذين أثبت لهم الفلاح والنجاح في جنة عدن التي غرسها الله تعالى بيده الكريمة، وقال لها تكلمي، فقالت: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ﴾[3].

---

(١) سورة الملك، الآية [١-٢].

(٢) سورة آل عمران، الآية [٣١].

(٣) سورة المؤمنون، الآيتان [١-٢].

ومما يجب التنبه له لمن صلى مع الإمام: أن لا يسابقه بركوع ولا بسجود، ولا برفع ولا بسلام؛ فإن ذلك يحرم، وقد تبطل الصلاة إذا تعمد سبقه، قال ﷺ: **(إنما جعل الإمام ليؤتم به، فلا تختلفوا عليه فإذا كبر فكبروا، وإذا ركع فاركعوا، وإذا قال: سمع الله لمن حمده، فقولوا: ربنا ولك الحمد، وإذا سجد فاسجدوا)**.

وجاء الوعيد الشديد لمن سبق الإمام في قوله ﷺ: **(أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الإمام أن يحول الله رأسه رأس حمار)**. ومعلوم أن عدم الخشوع أقوى سبب لسبق الإمام وكثرة الحركة والعبث من اشتغال في ساعة أو ملابس أو شعر أو غير ذلك.. ولقد جاء في الأثر عن سعيد بن المسيب: أن رجلاً كان يعبث في لحيته وهو يصلي، فقال: **(لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه)**. ومما يجب التنبه إليه أيضاً في الصلاة مع الجماعة تسوية الصفوف واعتدالها ومحاذات المناكب وتكميلها وسد الفرج فيها، فإن هذا متمم لثواب الصلاة؛ قال ﷺ: **(سووا صفوفكم؛ فإن تسوية الصفوف من تمام الصلاة)**، وقال: **(ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها؟)**، قالوا: وكيف تصف الملائكة عند ربها؟ قال: **(يتمون الصفوف الأُوَلَ ويتراصون في الصف)**.

وإن تقطع الصفوف، وخروج بعضهم عن بعض، وتخالفهم؛ لدليل على اختلاف القلوب؛ قال ﷺ: **(لتسوون صفوفكم أو ليخالفن الله بين قلوبكم)**. وإن تسوية الصفوف وتقاربها؛ مظهر من مظاهر العزة والقوة، وأنه يعين على جهاد النفس؛ ولهذا شرع الله تعالى أن يصفوا للجهاد كما يصفوا للصلاة، وأثبت محبته لهؤلاء فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾[١].

(١) سورة الصف، الآية [٤].

ولهذه الحكم الواضحة، والمعاني السامية، شُرِعَ للإمام أن يأمر الجماعة بأن يعتدلوا ويستووا بعد الإقامة وقبل تكبيرة الإحرام، فعلى المسلم أن يبادر في عبادته وعملها في ضوء ما شرعه ربه عز وجل على لسان رسوله ﷺ.

وأعلم أخي المسلم أن أساس ما تقدم أن تدخل المسجد بقلبك وقالبك؛ فإن دخلت بجسمك وتركت قلبك خارج المسجد فقد عرضت صلاتك لعدم الخشوع، ولمسابقة الإمام وعدم ملاحظة الصفوف.

فحصول هذا كله سبب حضور القلب ورجاء ما عند الله تعالى من الثواب، وابتغاء فضله بفعل الواجبات والفضائل، وأما عدم الخشوع ومسابقة الإمام وعدم ملاحظة الصفوف؛ فإن سببه فقدان القلب والزهد بما عند الله تعالى وعدم الاهتمام به والرغبة فيه.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾(١).

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

(١) سورة المؤمنون، الآية [١-١١].

الخطبة السابعة والعشرون:

الصلاة مع الجماعة

الحمد لله الذي فرض علينا الصلاة وجعلها صلة بين العبد وربه، وأشهد أن لا إله إلا الله القائل: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾(١) وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فرض الله تعالى عليه وعلى أمته الصلوات الخمس، فأداها حق الأداء بخشوعها وسجودها وركوعها، فما قصر في آدائها وما تخلف عن جماعتها، بل حض وشجع من يصليها في جماعة بقوله: **(صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة)**. وحذر وتوعد المتخلفين المتثاقلين عن آدائها في جماعة بقوله: **(لقد هممت أن أحرق على قوم تخلفوا عن صلاة الجماعة بيوتهم)**. اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الذين كانوا وراء رسولهم صفاً واحداً في الصلاة وكلمة واحدة من أجل دينهم وإعزاز شريعة الله، ورضي الله عن الصحابة أجمعين.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى؛ فإن تقواه خير لباس، وأفضل ما يزال به البأس، وأعظم دواء لداء الذنوب لمن عنده إحساس، فالمسلم من شأنه وديدنه رضى الكريم الرحمن، كما هو مقتضى الإسلام خير الأديان، فبرضى الرحمن نفوز بالجنان، والعتق من النيران، وهذا ما يحزن الشيطان، العدو اللدود لكل

---

(١) سورة العنكبوت، الآية [٤٥].

إنسان ؛ فإنه في جد واجتهاد مدى الأزمان، للصد عن الصراط السوي والعدل والإحسان.

أيها الناس: ما من أحد يعاود المساجد إلا وهو يشعر بفرضية الصلاة ومكانتها في الإسلام وجزيل الثواب للمصلين، من ذي الفضل والإكرام، ولكن الله تعالى شرع لإكمال هذا الثواب أداءها في جماعة مع الإمكان فلا ينبغي للمسلم أن يرغب عن هذا الخير الكثير إلا بعذر من الأعذار التي إذا تأخر عن الجماعة لواحد منها كتب الله تعالى له الثواب كما لو صلاها مع الجماعة، وأن المتأخر عن الجماعة مع وجودها وعدم العذر يعرض نفسه للعقاب، وهو دليل على تهاونه وتساهله بفعل الخيرات.

أيها المسلمون: ومن الأعذار التي ذكرها العلماء:

أولا: المرض؛ لما روى ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: **(من سمع النداء فلم يجب، فلا صلاة له إلا من عذر، قالوا: يارسول الله، وما العذر؟ قال: جنون أو مرض)**. رواه أبوداود.

الثاني والثالث: المطر والوحل؛ لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لمؤذنه في يوم مطير: إذا قلت: أشهد أن محمداً رسول الله، فلا تقل: حي على الصلاة، وقل: صلوا في بيوتكم، فكأن الناس استنكروا ذلك! قال: أتعجبون من ذلك؟ قد فعل ذلك من هو خير مني.

الرابع: الريح الشديدة في الليلة المظلمة الباردة، وهذا يختص بالجماعة؛ لما روى ابن عمر رضي الله عنهما: **(أن رسول الله ﷺ كان يأمر مناديه في الليلة الباردة المطيرة: أن صلوا أيها الناس في رحالكم)**. متفق عليه.

الخامس: أن يدافع الأخبثين أو أحدهما ؛ لما روت عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : **(لا صلاة بحضرة طعام ولا هو يدافع الأخبثين)**.

السادس: أن يحضر الطعام ونفسه تتوق إليه.

السابع: أن يكون له قريب يخاف موته، وليس عند المريض أحد ؛ لما روى ابن عمر رضي الله عنهما أنه استصرخ على سعيد بن زيد وقد تجهز للجمعة فذهب إليه وتركها، وكلما ازدادت الجماعة كثرة ازداد الخير والثواب ؛ ففي الحديث : **(صلاة الرجل مع الرجل أزكى من صلاته وحده، وصلاته مع الرجلين أزكى من صلاته مع الرجل، وما كان أكثر فهو أحب إلى الله عز وجل)**.

ويجب على المسلم ألاَّ يكون له هدف إلا محبة الله تعالى، ويا حسن حظ من أحبه الله تعالى ورسوله ﷺ، ويا سوء العقبى لمن حل عليه غضب الله تعالى، جعلنا الله وإياكم ممن تقرب إليه بمحابه، واجتناب مباغضه.

أيها المسلمون: والسعي لأدائها في المساجد من شعار المسلمين، وعنوان المتقين، والتأخر عنها من صفات النفاق وشأن المنافقين ؛ ففي الحديث : **(لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد)**. بمعنى : لا صلاة كاملة، وفي حديث آخر : أن أعمى استأذن رسول الله ﷺ ليصلي في البيت ؛ لصعوبة الطريق، وعدم القائد الملائم، فرخص له، فلما ولى دعاه، فقال له : **(هل تسمع النداء؟)**، قال : نعم. فقال : **(أجب)**. وهذا ما يقتضيه معنى النداء في قول المؤذن : **(حي على الصلاة، حي على الفلاح)**، فإن معناهما : تعال وأقبل لأداء الصلاة فإن وقتها قد حل، وهي الفلاح والنجاح لمن أداها كما شرعت.

ويا للأسف أيها المسلمون، أن بعض المسلمين يسمع نداء الله فيلوي عنقه ويصم سمعه ويغمض عينه عن أبواب المساجد، فيتوجه إلى الوقوف أو التجول بمواقف الشيطان، -حيث رغب عن أمكنة ملائكة الرحمن-، أو يأوي إلى طعام أو شراب متشاغلاً بها عن الصلاة بغير حاجة، أو يعكف على اللهو واللعب، فيبدل سماعه لمنادي الرحمن بالإصغاء للشيطان وهي الأغاني والألحان، وما ورد أنه من خصال اليهود والمنافقين، أعني: الاستهزاء بالصلاة والأذان لها، وقد نهانا الله تعالى ألاَّ نصغي لهؤلاء ولا نركن إليهم، ولا نتخذهم أولياء، وقد عُلِّق الإيمان على البراءة منهم؛ لاستهزائهم بالصلاة؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوٗا وَلَعِبٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ﴾[1] ويكفيك أخي المسلم من الصلاة مع الجماعة ما يأتي:

أولاً: شهادة لك بكمال إسلامك، وكمال الإسلام أحسن ما يلقى به العبد الله تعالى يوم التلاقي.

ثانيا: الإتيان إليها في المساجد والمحافظة عليها من سنن الهدى التي شرعها الله تعالى لأنبيائه عليهم الصلاة والسلام.

ثالثا: أن من رغب عن سنن الهدى فقد مال إلى الضلال.

رابعا: أن المسلم إذا تطهر ثم خطى إلى المسجد حصل له بكل خطوة درجة يرتفعها وحسنة تكتب له، وسيئة تحط عنه، فما أوسع فضل الله وما أكثر كرمه وما أيسره على من يسره الله تعالى عليه.

---

(١) سورة المائدة، الآية [٥٧-٥٨].

ومن ذلك ما رواه مسلم عن عبدالله رضي الله عنه قال: **(من سره أن يلقى الله تعالى غداً مسلماً فليحافظ على هذه الصلوات حيث ينادي بهن، فإن الله شرع لنبيكم ﷺ سنن الهدى، وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، وما من رجل يتطهر فيحسن الطهور ثم يعمد إلى مسجد من هذه المساجد إلا كتب له بكل خطوة يخطوها حسنة ويرفع بها درجة ويحط عنه بها سيئة، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف)**.

خامساً: شهادة الله للرجل الذي يأتي المساجد أنه من عمارها المؤمنين به وباليوم الآخر؛ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾[1].

سادسا: كفالة الرسول ﷺ الخير الكثير لمن أدى الصلاة في جماعة وهي سبعة وعشرون درجة، فكيف يفوتك يا أخي المسلم هذا الربح العظيم الذي لا يحتاج إلى تعب وعناء، ولا إلى سفر ومشقة وخسارة مالية، ولا فتح اعتماد في البنوك، ولا إذن من وزارة التجارة، ولا تأمينٍ على البضائع، ولا إلى كفالة مالية أو شخصية؟! قال ﷺ: **(تفضل صلاة الجماعة على صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة)**.

سابعا: أن الصلاة مع الجماعة يثاب عليها المسلم؛ لأن الجماعة أَعْلَى للكلمة وأقوى للهيبة مع نفسك والشيطان؛ فإنه أمر محسوس، فإذا صلى

(١) سورة التوبة، الآية [١٨].

الإنسان وحده لعبت به هواجسه وشيطانه، إلا المرأة فإن بيتها خير لها، وإن أرَادت المسجد لحضور الجماعة وشهود قراءة وسماع ذكر فلا تمنع إلا إذا خيفت المفسدة، وأن تخرج إلى المسجد متحشمة غير متطيبة.

عباد الله، واعلموا أن التأخر عن صلاة الجماعة بدون عذر له أضرار غير محمودة، منها:

أولاً: أنه اتصف بصفات المنافقين، الفاقدين لليقين، بوعد رب العالمين؛ قال عليه الصلاة والسلام: **(أثقل صلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوا، والذي نفسي بيده لو يجدون عرقاً سميناً أو مرماتين حسنتين لأتوهما)**.

ثانياً: أنه اتصف بصفات النساء اللاتي يخاف عليهن من الخروج من بيوتهن؛ ستراً لهن.

ثالثاً: أنه يشعر بعدم التعاون مع المسلمين وانضامه إلى صفوفهم.

رابعاً: أنه هيأ للشيطان اللعب به.

خامساً: فقد مراعاة إخوانه، ولربما إذا ترك المسجد لا يعلم عنه مرض أو مات، وبمعاودة المسجد يفقد ويسأل عنه، ويفزع لزيارته إن كان مريضاً، ويدعى له، والمسلم غير مستغن عن دعاء إخوانه المسلمين.

سادساً: أن في التأخر عن المساجد تعرضاً للعقوبة الدنيوية، فإن الفقه الإسلامي يجعل على المتخلف عنها عقوبة حسب ما يراه ولي الأمر مؤدباً ومعزراً من ضرب أو سجن ونحو ذلك.

سابعاً: أنه معرض لرد شهادته، وهذا من أكبر المصائب على المسلم حقاً؛ لأن من تساهل في هذا الخير تساهل في أداء شهادة الزور.

ففي الأثر: (إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان)[١]، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾[٢]

فاتقوا الله عباد الله، ولا تزهدوا في دينكم وتعاليمه، ولا تغتروا بكثرة الأموال وصحة الأبدان؛ فإن هذا مع الطاعة نعمة، ومع المعصية نقمة.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَـٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَـٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾[٣].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم من كل ذنب ولسائر المسلمين والمسلمات فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

---

(١) رواه ابن ماجه برقم (٨٠٢)، والترمذي (٢٦١٧)، وقال: حديث حسن غريب، وقال الذهبي: «في إسناده دراج وهو كثير المناكير».

(٢) سورة التوبة، الآية [١٨].

(٣) سورة الأعراف، الآية [٩٦-٩٩].

الخطبة الثامنة والعشرون:

الوقت شرط للصلاة

الحمد لله الذي جعل الصلاة ركناً من أركان الدين، وأمرنا بآدائها في أوقاتها سبحانه، أمرنا بالعبادة وهو غني عن عبادتنا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يجازي المحسن على إحسانه والمسيء على إساءته، فمن أطاعه دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أفضل العابدين الخاضعين لرب العالمين، أدى الصلاة كما ينبغي في أوقاتها، وبأركانها وشروطها، ولم يتهاون في أمرها بل أنكر تهاون المتهاونين؛ لما رأى رجلاً ذات يوم لا يعطي لصلاته الخشوع ولا الركوع كما ينبغي قال له: **(ارجع فصل فإنك لم تصل)**. اللهم صلِّ وسلم على محمد عبدك ونبيك، وارض اللهم عن الصحابة والتابعين.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى وأطيعوه فيما أمر وفيما شرع على لسان نبيه ﷺ؛ فإن من أطاعه ظفر بصحبته في الجنة، وأكرمْ به رفيقا ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾[1].

فما أوسعه من فضل، وما أعظمه من أجر أن يقدم العبد على ربه سبحانه وتعالى في رفقة أحبابه، ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليماً.

---

(١) سورة النساء، الآية [٦٩].

واعلموا أن مما أمر الله تعالى به أداء الصلوات الخمس في أوقاتها التي وقتها الله سبحانه لنبيه ﷺ بواسطة جبريل عليه السلام ؛ فإن الله تعالى لما فرض الصلوات على نبيه ليلة الإسراء ثم تبعه جبريل فصلى بالنبي ﷺ في أول الوقت وفي آخر الوقت، وقال: **(يا محمد الصلاة ما بين هذين الوقتين)**. فلا يصح للمسلم أن يقدم الصلاة على وقتها ولو لحظة لا لعذر ولا لغيره، ولا يصح له تأخيرها عن وقتها من غير عذر، ومن فاته الوقت بعذر شرعي فليفزع إلى الصلاة حين يزول عذره ؛ قال ﷺ: **(من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها لا كفارة لها إلا ذلك)**[(١)]. ويصليها في أي وقت تيقظ فيه، أو تذكرها، أو زال عذره، سواء كان مع طلوع الشمس أو غروبها أو في آخر الوقت أو بعد خروجه.

ومن الأعذار التي يؤخر المسلم الصلاة بسببها النوم والغفلة والإغماء والبنج، إلا أنه يأثم بتأخير الصلاة بسبب النوم المقصود أو البنج بغير حاجة فهو وإن وجب عليه قضاء الصلاة فهو آثم ؛ لتفريطه في إضاعة عقله، ويؤدي المسلم الصلاة في وقتها على أي حال ما دام يعقلها ويفهم وقتها وشروطها وأركانها حسب استطاعته، فإذا استطاع الوضوء توضأ، وإلا تيمم، وإن لم يستطعهما صلى على حسب حاله ؛ لقوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾[(٢)] ويصلي قائماً فإن لم يستطع فقاعداً، وإن لم يستطع فعلى جنبه، وإن لم يستطع فمستلقياً ورجلاه إلى القبلة، وعلى أي حال فإنه يشير برأسه أو بعينه ويقرأ عند الركوع والسجود ويرفع يديه في مواضع الرفع ويقرأ بلسانه.

---

(١) البخاري (٥٩٧)، ومسلم (١٥٦٠).

(٢) سورة التغابن، الآية [١٦].

والمقصود ألاَّ يؤخر الصلاة عن وقتها كما يزعمه بعض عوام المسلمين إذا اعتراه شيء من الأمراض وما استطاع الوضوء أو إزالة النجاسة عن بدنه وثوبه فإنه يؤخرها، بزعم أنه إذا بريء من مرضه سيؤديها جميعا، كل هذا لا يصح، وكما يزعمه بعض العمال المهنيين من تأخير الصلاة حتى لو خرج الوقت إلى أن يفرغ من مهنته، ثم يصلي حتى إن بعضهم يجمع الظهر والعصر والمغرب والعشاء فيصليها بالليل، وهذا منكر عظيم، فإن فعل هذا فقد تخلى عن شرع الله وجاء بشرع من نفسه؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾[1]، أي: مفروضة في أوقاتها، ومن شرع لنفسه حسب ما تملي له؛ اتباعاً لهواه كان من إخوان الشياطين، فاحذر يا أخي المسلم من ذلك وصل الصلوات الخمس في أوقاتها، فلهن عند الله أعظم شأناً، واعلموا أن الله تعالى علق الوقت بعلامات يعرفها العامي والمتعلم، والرجل والمرأة، والصغير والكبير، حتى لا يكون عذر لأحد، فجعل وقت الظهر زوال الشمس إلى أن يصير ظل الشيء مثله، ثم يدخل وقت العصر حتى يصير ظل كل شيء مثليه، وللضرورة إلى غروب الشمس.

ثم يدخل وقت المغرب إلى أن يغيب الشفق الأحمر، ثم يدخل وقت العشاء إلى نصف الليل، وللضرورة إلى وقت الفجر، وإذا طلع الفجر دخل وقت صلاته إلى طلوع الشمس، وبعد طلوع الشمس ينتهي وقت الفجر، ومن أخر الصلاة عن وقتها كانت قضاء تصح منه إن أخرها لعذر؛ وإن أخرها لغير عذر فعليه التوبة والاستغفار، ومراجعة دينه، وألاَّ يعود إلى تأخيرها.

---

(١) سورة النساء، الآية [١٠٣].

وقد هيأ الله سبحانه وتعالى أسباباً تدل على دخول الوقت لمن هو حريص على أداء الصلاة في وقتها ومنها الساعات والمكبرات.

فاتقوا الله تعالى أيها المسلمون، وأدوا الصلاة في أوقاتها ولا تغفلوا بالنوم عنها، وأطيعوا الله تعالى والرسول ﷺ لعلكم ترحمون.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾[١].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

(١) سورة الإسراء، الآية [٧٨-٧٩].

الخطبة التاسعة والعشرون:

أهمية صلاة الجمعة

الحمد لله الذي أمرنا باتباع أوامره، وشرع لنا ما فيه خيرنا ومصلحتنا، وأشهد أن لا إله إلا الله في طاعته النجاح، والفلاح والفوز والصلاح، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله نبي الهدى والرحمة، وهادي الأمة، شرح الله تعالى له صدره، ورفع له ذكره، ووضع عنه وزره، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الغر المحجلين وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فيا عباد الله: اتقوا الله تعالى، وبادروا بالعمل والسعي إلى ما يرضاه وتباعدوا عما يكره ويأباه، فهذا شأن من كان يؤمن بالله ويخشاه، ويرجو أن يحفظه ويتولاه، ويزيد له الثواب يوم يلقاه، واعلموا أن من تقواه سبحانه وتعالى الحفاظ على شعائر الإسلام أفراداً وجماعات، وأن من شعائر الإسلام صلاة الجمعة وخطبتها في هذا اليوم العظيم الذي خص الله تعالى به أمة محمد ﷺ حينما ضلت عنه اليهود والنصارى، فالاستعداد لها بالاغتسال والتطيب والنظافة والمبادرة إليها أمر محبوب إلى الله تعالى؛ قد رغب فيه رسول الله ﷺ، فجدير بالمسلم أن يلتمس ما يحبه ربه ويرضاه، ويطمع بوعده ويخاف من وعيده، ولقد جسد رسول الله ﷺ أجر المبادرة إلى الجمعة بمقدار ما يقدم من الصدقات؛ قال ﷺ: **(من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنه، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً أملح؛ ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة، فإذا خرج**

الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر)، ويجب السعي لها بسماع الأذان الثاني، إلا من كان بعيداً فيجب أن يتقدم بالسعي بمقدار ما يدرك الخطبة والصلاة كما يحرم البيع والشراء والتشاغل عن سماع الخطبة.

وليحذر كل مسلم أشد الحذر من التخلف عنها، وعن أدائها من دون عذر؛ قال ﷺ: **(لينتهين أقوام عن ودعهم الجمع والجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين)**. وقال ﷺ: **(من ترك ثلاث جمع تهاوناً طبع الله على قلبه)**. فيا خسارة من رغب عن وعد الله وزهد بما لديه من جزيل الثواب، وعرض نفسه لسخط الله، فالله أكبر ماذا يرجو المسلم بعد ذلك، وماذا يدل عليه التساهل في صلاة الجمعة واستماع خطبتها، والله أكبر ما أوسع حلمه وأكثر فضله؛ حيث فتح أبواب الرحمة للتائبين، وخص لطفه للراغبين المسارعين إلى جنة رب العالمين، المقلعين عن التمادي في غي الطغاة والعاصين.

أيها المسلمون: إن لصلاة الجمعة وخطبتها أحكاماً وآدابا: فمن جاء إلى المسجد فليحرص على وجود مكان فيه بحيث يرى الإمام أو من خلفه، فإن لم يجد ففي محيط المسجد أو في السطح أو في الخلوة(١)، وليحذر من تخطي رقاب الناس وإيذائهم؛ فقد رأى النبي ﷺ رجلاً يتخطى رقاب الناس، فقال له: **(اجلس فقد آذيت وأنيت)**. إلا إذا رأى مكاناً قد ترك، فيجوز التخطي؛ لأنهم السبب في ذلك.

وليتباعد عن الصلاة في الطرقات، فإن لم يجد داخل المسجد فلا بأس أن يصلي في الشارع، وأبيح ذلك؛ صيانة له عن الفوات، وهذا يدل على عظمها والحفاظ عليها، واعلموا أنه لا تدرك الجمعة إلا بإدراك الركوع الثاني بأن يقول المسبوق بعد أن يطمئن في الركوع: سبحان ربي العظيم، وقبل أن يقول الإمام: سمع الله لمن

(١) هي القبو أو البدروم.

حمده، فإذا قال الإمام سمع الله لمن حمده من الركوع الثاني فقد فاتتك الجمعة، ولا بأس أن تدخل مع الإمام وتنويها ظهراً فتصلي أربعاً بعد سلام الإمام إن كانت قد زالت الشمس وتأكد أيها المسبوق من الوقت لصلاة الظهر؛ لأن بعض الأئمة قد يبكر الجمعة قبل الزوال، وصلاة الظهر لا تصح قبل الزوال.

واعلموا أنه اشترط لصلاة الجمعة أن يتقدمها خطبتان؛ لأن النبي ﷺ كان يخطب خطبتين يقعد بينهما؛ وقد قال: **(صلوا كما رأيتموني أصلي)**. وقالت عائشة رضي الله عنها: **(إنما أقرت الجمعة ركعتين من أجل الخطبة)**. فإذا جلس الإمام على المنبر انقطع التنفل، وإذا أخذ في الخطبة حرم الكلام؛ لقوله ﷺ: **(إذا قلت لصاحبك أنصت، يوم الجمعة: والإمام يخطب: فقد لغوت)**. واللغو: الإثم؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا﴾[1]، حتى ولو لم يسمع الخطبة فإن عليه الإنصات، قال عثمان رضي الله عنه: (من كان قريباً يسمع وينصت، ومن كان بعيداً ينصت؛ فإن للمنصت الذي لا يسمع من الحظ ما للسامع). مع أن للبعيد أن يذكر الله ويقرأ القرآن سراً وليس له المجاهرة ولا المذاكرة في الفقه، ومن سمع متكلماً لم ينهه بالقول؛ للحديث الوارد في النهي عن الكلام وقت الخطبة، ولكن يشير إليه ويضع أصبعه على فيه، وإن وجب الكلام؛ كأن يكون الكلام إنقاذ النفس من هلاك فيتكلم، وإن كلمه الإمام فله أن يكلمه؛ لأن النبي ﷺ قال لرجل: **(أصليت)**، قال: لا. قال: **(قم فصل ركعتين)**. فدل هذا على أن من دخل المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين ولو أن الإمام يخطب، ولا يسلم على من في جانبه والإمام يخطب ولا يرد السلام، ولا يشمت العاطس، ولا يتصدق على سائل.

---

(١) سورة الفرقان، الآية [٧٢].

أيها المسلمون: لقد نبهني بعض إخواننا الذين يحبون الخير لإخوانهم على أناس يأتون لصلاة الجمعة، ولكن يفوتهم خير كثير، وفضل عميم إما لجهلهم وإما لعدم اهتمامهم بهذه الشعيرة الإسلامية، ذلكم أنهم يجلسون في الشوارع متظللين من حر الشمس، ونسوا حر يوم القيامة، ويستمرون يتكلمون حتى تقام الصلاة، فالواجب على هؤلاء إذا لم يدركوا مكاناً في المسجد واضطروا إلى الصلاة في الشوارع أن يفعلوا مثل من في المسجد بالتوجه إلى الله تعالى والإنصات والخشوع واستماع الخطبة، فإنهم لم يأتوا إلا لصلاة الجمعة وخطبتها، فليتخذ من في الطريق أحكام من في المسجد، وليحذر من يصلي في الشارع مخالفة هذه الأحكام.

فاتقوا الله عباد الله ولا تتساهلوا في أمور دينكم ييسر الله لكم دنياكم: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ۝ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾(١).

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(٢).

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

---

(١) سورة الطلاق، الآية [٤-٥].

(٢) سورة الجمعة، الآية [٩-١٠].

الخطبة الثلاثون:

حكمة الخطبة في الجمعة

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله رب العالمين، الرحمن الرحيم مالك يوم الدين، أكرمنا بالإسلام، وأعزنا به وجعل من أيامنا أياماً كريمة يصب فيها الخير على عباده صبا، وخص يوم الجمعة بساعة إجابة ما دعا عبد ربه فيها ووافقت دعوته إلا استجاب دعاءه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أفضل من صلى وصام جمعة وجماعة، اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

أيها الناس: اتقوا الله تعالى في سركم وجهركم وليلكم ونهاركم وسفركم وحضوركم فالله تعالى يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور؛ ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾(١)، واعلموا أن من تقواه سبحانه المبادرة إلى امتثال أوامره؛ ابتغاء مرضاته ورجاء ما عنده؛ قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(٢).

خاطبكم الله عزوجل بهذا الوصف؛ تشريفاً لكم، وداعياً إلى الإصغاء لتلقي أوامره، وقد اختار لكم وصف الإيمان دون غيره من الأوصاف.

---

(١) سورة الملك، الآية [١٣].

(٢) سورة الجمعة، الآية [٩].

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها وفيه تقوم الساعة)**. والحديث بظاهره هذا يدل على أنه ليس فوق يوم الجمعة يوم، بل ولا أن يساويه يوم، وفيه يجمع الله الأولين والآخرين؛ للفصل بينهم، وسمي يوم الجمعة؛ لاجتماع الناس فيه، فهو عيد الأسبوع، فيه اللقاء بالإخوان والأنس برب العالمين .. اختلف فيه الناس فصار اجتماع اليهود يوم السبت، والنصارى يوم الأحد، وهدى الله تعالى أمة محمد صلى الله عليه وسلم لهذا اليوم، وكانت العرب قبل البعثة تجتمع في هذا اليوم، وأول من فعل هذا هو كعب بن لؤي، ولما أسلم الأنصار أرادوا يوماً يجتمعون فيه فلم يرغبوا في موافقة اليهود والنصارى في السبت والأحد فجعلوه في يوم العرب فوافق اليوم الذي اختاره الله سبحانه لهم، وذلك أنهم قالوا: إن لليهود يوما يجتمعون فيه كل سبعة أيام وهو يوم السبت، وللنصارى يوماً مثل ذلك وهو يوم الأحد، فتعالوا لنجتمع حتى نجعل يوماً لنا نذكر الله تعالى ونصلي فيه ونستذكر كما قالوا، فقالوا: يوم السبت لليهود، ويوم الأحد للنصارى، فاجعلوه يوم العروبة، فاجتمعوا إلى أسعد بن زرارة أبوأمامة رضي الله عنه فصلى بهم يومئذ ركعتين وذكرهم، فأسموه يوم الجمعة، فهذه أول جمعة في الإسلام، وكان عملهم هذا قبل أن تنزل آية الجمعة، فوجب الاجتماع لأداء صلاتها، كما وجبت الخطبة المتضمنة الوصية بالتقوى وتذكر المسلمين بما خلقوا له، وبما أعد لهم بعد الموت من جنة ونار، أو بيان شيء من أحكام الحلال والحرام.

ويتكرر هذا في اجتماع كبير، ومشهد عظيم كل أسبوع مرة، فتتآلف القلوب، وتتوحد المشاعر، ويصغي الجميع لموعظة الجمعة وخطبتها، وإلى ذكر الله تعالى الذي أمرتم به، وبالسعي له حين سماع الأذان ﴿فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَ﴾.

أيها المسلمون: إن المراد بالسعي هو سعي القلوب والأقدام معاً، وحضور المسلم إلى المسجد قلباً وقالبا حساً وفكرا، فليس المراد أن يحضر بدنه دون قلبه، وهذا السعي لهذه الصلاة والخطبة فيه الخير الكثير والفضل العميم؛ ﴿ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٌ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾(١) ويا للأسف: إن بعضاً من المسلمين تهاونوا بهذه الشعيرة العظيمة التي هي من أفضل الشعائر الإسلامية، مع أن الله تعالى جعل وقتها أوسع الأوقات وهو وسط النهار؛ ليتمكن البعيد والقريب من الحضور، وليلتقي المسلمون ببعضهم.

عباد الله: إن الحضور لصلاة الجمعة وخطبتها هو أفضل اجتماع في الأسبوع. والمستمعون للخطبة أصناف:

صنف أخذت الدنيا سمعه وبصره وعقله، وأنسته نفسه وأهله وأحبابه، بل وأنسته دينه وربه، وأصبح لا متسع في قلبه لسواها.

وصنف بلغ به الإعجاب بنفسه مبلغا جعله غير مهتم بما يسمع، فلا يلقي بالاً لما يسمعه من عظة وذكر وترغيب أو ترهيب، ولا يتحرى سماع الخطيب؛ لينتفع.

وصنف يدخل المسجد بحكم العادة وهواه في خارجه؛ فإذا جلس كان كمن يجلس على حجر، وهذا بالضرورة يكون شبحه بالمسجد وقلبه خارجه.

---

(١) سورة الجمعة، الآية [٩].

وصنف سمع أن خطب رسول الله ﷺ كانت قصيرة فذهب خياله في هذا القصر إلى آخر حد ممكن، وهذا الصنف لا ينجو من اعتراضه وتشنيعه خطيبٌ على وجه الأرض.

والصنف المفلح إذا حضر الخطبة حضر قلبه وسمعه؛ عارفاً حكمها، وحكمتها ومشروعيتها، عاملاً بما يسمع من ذكر الله عز وجل.

فاتقوا الله أيها المسلمون، واهتدوا بهدي رسولكم واسعوا إلى ذكر الله تعالى، واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾(١).

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

---

(١) سورة الجمعة، الآية [٩-١٠].

الخطبة الحادية والثلاثون:

صلاة النوافل

الحمد لله الذي جعل التقرب إليه بما فرضه علينا أحب شيء إليه، وما زال المسلم يتقرب إليه بالنوافل حتى يكون عوناً له في جميع جوارحه، أحمده سبحانه وأشكره فهو الغفور الشكور.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الجواد الكريم، البر الرحيم، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خير من قام بالفرائض وازداد من صلوات النوافل حتى تفطرت قدماه، وقال: **(أفلا أكون عبداً شكورا)**.

صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الذين أدوا الفرائض وتطوعوا لله بالنوافل وصلوا في جوف الليل والناس نيام، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم المتقون.

أما بعد:

فيا أيها الناس، اتقوا الله تعالى الذي لا إله غيره، ولا رب سواه، الذي يزيد الشاكرين، ويثيب الصابرين، على متابعة سيد المرسلين، الذي قام على قدمه الشريفة حتى تفطرت؛ شكراً لرب العالمين، قالت له عائشة رضي الله عنها: (ألم يغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تآخر؟ قال: **(أفلا أكون عبداً شكورا)**.

عباد الله إن الله تعالى فرض الفرائض وأوجب الواجبات، وعلم من عباده أنهم سيقصرون في إتمامها وكمالها؛ فشرع النفل وهو: ما يثاب الإنسان على أدائه، وليس لازماً عليه، شرع النفل من جنس الواجبات، وجعل من النفقات المالية ما هو واجب وما هو تطوع، ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ما هو

واجب وما هو تطوع، وجعل من طلب العلم ما هو واجب وما هو تطوع، وشرع من الجهاد ما هو واجب وما هو تطوع، وكذا من الصلوات ما هو واجب وما هو تطوع، ومن الصيام ما هو واجب وما هو مستحب، ومن الحج ما هو واجب وما هو تطوع، فما أوسع طرق الخير وأكثرها؛ منة من الله تعالى وفضلا على عباده المسلمين؛ ليرقع لهم بالتنفل ما تخرق من الفرائض، ويتمم لهم ما نقص منها، وبطاعته الواجبة والمستحبة التقرب إليه والصلة به، ففي الحديث القدسي: **(ما تقرب إليَّ العبد بمثل أداء الفرائض، وإنه ليتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت رجله التي يمشي عليها، ويده التي يبطش بها، ولسانه الذي ينطق به، وقلبه الذي يعقل به، وإن سألني أعطيته، وإن دعاني أجبته)**. ويقول الله تعالى في الحديث القدسي الآخر: **(ما زال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه فأكون سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به، وقلبه الذي يعقل به، فإذا دعاني أجبته، وإن سألني أعطيته، وإن استنصرني نصرته، وأحب ما تعبدني به عبدني النصح لي)**.

فمتى امتلأ القلب بعظمة الله تعالى محا ذلك من القلب كل ما سواه، ولم يبق للعبد شيء من نفسه وهواه، ولا إرادة إلا لما يريده منه مولاه، فحينئذ لا ينطق العبد إلا بذكره، ولا يتحرك إلا بأمره، فإن نطق نطق بالله وإن سمع سمع به، وإن نظر نظر به، وإن بطش بطش به، فهذا المراد بقوله: كنت سمعه الذي يسمع به .... إلخ.

والصلوات أفضل تطوع البدن؛ لقول الرسول ﷺ: **(واعلموا أن من خير أعمالكم الصلاة)**؛ لأن فرضها آكد الفروض، فتطوعها آكد التطوع، قال

بعض العلماء: أفضل ما تطوع به الإنسان طلب العلم؛ لما فيه من إنقاذ الناس من الهلكة وتبصيرهم بشرع الله من حلال وحرام.

وقال بعض العلماء: أفضل التطوع الجهاد؛ لما يترتب عليه من حماية بيضة الإسلام والمسلمين، والذب عن محارمهم، ونفوسهم وأموالهم، فالعلم والجهاد يتعدى نفعهما إلى غير الشخص، وفي الحديث: **(خيركم أنفعكم للناس)**. ومن المعلوم أن التطوع في الصلاة نفعها لصاحبها أخص من غيره، واستفادته منها أكثر مما سواه، وهو مما لا يستغني عنه الإنسان لنفسه.

وأفضل صلاة التطوع عشر ركعات في اليوم والليلة بصحبة الصلوات المفروضة، وهي: ركعتان قبل الظهر، وركعتان بعدها، وركعتان بعد المغرب، وركعتان بعد العشاء، وركعتان قبل صلاة الفجر، وفعلها في البيت أفضل وخصوصاً ركعتي المغرب والعشاء؛ قال ابن عمر ﵄: (حفظت من رسول الله ﷺ عشر ركعات: ركعتين قبل الظهر، وركعتين بعدها، وركعتين بعد المغرب في بيته، وركعتين بعد العشاء في بيته، وركعتين قبل الصبح).

وعن حفصة ﵂: (أن رسول الله ﷺ كان إذا أذن المؤذن للصبح وبدأ الصبح صلى ركعتين خفيفتين). وأفضل الرواتب ركعتا الفجر؛ لأن الرسول ﷺ كان يحافظ عليها، فلم يتركها حضراً ولا سفراً، وقال عليه الصلاة والسلام: **(ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها)**.

وهما ركعتان خفيفتان يقرأ بهما بعد الفاتحة ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ في الأولى، و﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ في الثانية، أما راتبة الظهر والمغرب والعشاء فقد تترك في السفر؛ لأنه يقصر الفريضة فكيف يتنفل؟!

وقال ابن عمرﷺ : لما رأى من يصلي الراتبة : لو سبحت لأتممت، ومعنى : (لوسبحت) أي : لوتنفلت.

أيها المسلمون: إن عدم المحافظة على هذه الرواتب أكبر دليل على تساهل الإنسان في الفرائض وعدم الرغبة في الخير؛ لهذا جعلها العلماء علامة على الصلاح في الدين، فتقبل شهادة من يحافظ عليها، وعدم المحافظة عليها دليل على التساهل في الدين؛ لذا لم يقبلوا شهادته، ومما يتأكد من التطوع صلاة الوتر، وهو ما بين صلاة العشاء ولو جمعت مع المغرب إلى طلوع الفجر، قال رسول الله ﷺ : **(أوتروا يا أهل القرآن، فإن الله وتر يحب الوتر)**. ففيه خير كثير وفضل عميم، وعن خارجة ﷺ قال : **(خرج علينا رسول الله ذات غداة فقال: (إن الله أمدكم بصلاة هي خير لكم من حمر النعم)**، قلنا : وماهي يارسول الله؟ قال : **(الوتر ما بين صلاة العشاء إلى طلوع الفجر)**. وكان رسول الله يحافظ على الوتر حضراً وسفراً.

وسئل الإمام أحمد رحمه الله عمن ترك الوتر؟. قال : هو رجل سوء، قال رسول الله ﷺ في حديث أبي هريرة : **(من لم يوتر فليس منا)**، أي : أن الوتر سنة محمد ﷺ وطريقته المحمودة، ومن رغب عن الوتر فليس على هذه الطريقة، وليس الوتر بواجب؛ فعن علي ﷺ قال : الوتر ليس بمحتم كهيئة المكتوبة، ولكنه سنة سنها رسول الله ﷺ . وأقل الوتر ركعة، وأدنى الكمال ثلاث وإن شاء أوتر بخمس أو سبع أو تسع، أو إحدى عشرة؛ فقد أوتر بهن رسول الله ﷺ .

ومن له تهجد فليجعل الوتر آخره ؛ قال ﷺ : **(اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وترا)**.

والوتر آخر الليل أفضل إلا من خاف ألاَّ يقوم فليوتر قبل أن ينام.

فاتق الله يا أخي المسلم وداوم على صلاة الوتر فما أعظمها من مناجاة وخاصة في الليل وقد نامت العيون وتيقظت القلوب ، والعبد منا يناجي علام الغيوب ، يشكو آلامه ، ويرجو رحمته وغفرانه.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ۝٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ﴾[1].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

(١) سورة المزمل ، الآية [١-٦].

الخطبة الثانية والثلاثون:

في قيام رمضان

الحمد لله الذي جعل من الأيام أياماً سعيدة يصب فيها الخير على عباده صباً.. أحمده سبحانه، أمرنا بالعبادة وهو غني عنها ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾(١) وأشهد أن لا إله إلا الله يجازي الطائعين على طاعتهم، والعاصين على عصيانهم، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾(٢) وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خير من صام وقام وعبدالله حق العبادة ﷺ ورضي الله عن صحابته الطيبين الصالحين.

أما بعد:

أيها المسلمون: اتقوا الله ربكم، وقوموا بواجبكم، وَدَاوِمُوا على طاعته، وسارعوا إلى مرضاته ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾(٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يُرغب في قيام رمضان من غير أن يأمر به عزيمة فيقول: **(من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه)**. وعن عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **(إن الله عز وجل فرض صيام رمضان، وسننت قيامه، فمن صامه وقامه إيماناً واحتساباً خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه)**.

---

(١) سورة الذاريات، الآية [٥٦-٥٨].

(٢) سورة الزلزلة، الآية [٧-٨].

(٣) سورة الحديد، الآية [٢٨].

أيها المسلمون: يشتمل موضوعنا الذي نتحدث فيه على مسائل:

المسألة الأولى: اتضح لنا من هذه الأحاديث كثرة طرق الخير ويسرها على من شرح الله صدره للإسلام، وجعل له نوراً يمشي به، فنهار رمضان ولياليه كلها أوقات بركة وخير، وأوقات للأعمال الصالحة، تضاعف فروضها ونوافلها فهو مغنم للمؤمن ومغرم على المنافق، فمن طرق الخير لهذه الأمة ما سنه لها رسول الله ﷺ من قيام ليالي رمضان وهو ما يسمى بالتراويح ولم يكن في غيره من سائر أيام السنة وقد أمرنا بأخذ وقبول ما جاء به الرسول ﷺ وأن نتجنب ما نهى عنه؛ قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾(١).

المسألة الثانية: حكم هذه التراويح أنها ليست بواجبة وإنما هي سنة مؤكدة من شعائر ليالي رمضان؛ لما يدل عليه قول الصحابي: كان يرغب في قيام ليالي رمضان من غير أن يأمر بعزيمة، والعزيمة هي: الأمر المؤكد فعله بالوجوب، والخير كل الخير فيما رغب فيه الرسول ﷺ، والشر كل الشر فيما حذر عنه ونفر منه، ويدل أيضاً على سنيتها قوله ﷺ: **(من صام رمضان إيماناً واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه)**. هذا مقتضاه الندب دون الوجوب؛ كما قال الرسول ﷺ: **(وسننت قيامه)**.

المسألة الثالثة: أن أساس قبول الأعمال والثواب عليها هو: الإيمان والاحتساب، فعلى المسلم أن يجتهد بفعل النوافل؛ رغبة فيما عند الله تعالى، وإتماماً لما نقص من الفرائض.

---

(١) سورة الحشر، الآية [٧].

المسألة الرابعة: معنى قوله: **(من قام رمضان)** أي: قيام لياليه، وليس المراد كل الليل، وإنما المراد شيء منه.

المسألة الخامسة: كم عدد ركعات التراويح؟ والجواب: أنه لم يرد تحديد عدد الركعات، فقد قيل في العدد: إحدى عشر ركعة، وقيل: عشرون، وقيل: ستة وثلاثون.

فالقول الأول: يدل عليه ما صرحت به عائشة رضي الله عنها بقولها: (ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشر ركعة).

القول الثاني: قول عمر رضي الله عنه حينما جمع الناس على إمام واحد وأمره أن يصلي بهم عشرين ركعة، وقد قال عليه الصلاة والسلام: **(عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي)**. ولأن عائشة لم تذكر أنه نهى عن أكثر من إحدى عشرة ركعة، ومجموع هذه الأقوال يفيدنا: أن الأمر واسع، وأنه يرجع إلى حال الإمام والمأمومين، ومن صلى وحده فليصل ما شاء الله، وبفعل عمر أخذ الحنابلة وكثير من العلماء؛ لأن الصحابة حاضرون ولم ينكر عليه أحد منهم، وهي من النوافل التي تصلى جماعة كالكسوف والاستسقاء.

المسألة السادسة: وقت التراويح: فأفضل أوقاتها بعد صلاة العشاء؛ نظراً لاجتماع الناس واغتنام نشاطهم؛ لأن الإنسان إذا نام يثقل عليه القيام، وحينما جمع عمر الناس للتراويح بعد العشاء على إمام واحد قال: (نعمت البدعة). والبدعة ما حدث على خلاف أمر سابق، فإن درجت تحت الشرع فهي مستحسنة، وإن خالفت الشرع فهي مستقبحة، وفعل عمر رضي الله عنه موافق لفعل الرسول صلى الله عليه وسلم؛ حيث صلى في المسجد داخل الحصير واقتدى به أصحابه ثم

ترك ذلك مخافة أن تكتب على أمته فيشق عليهم ولما توفي الرسول ﷺ وانقطع الوحي أمر عمر بالاجتماع في التراويح على إمام واحد، فأصل هذه السنة على حياة الرسول ﷺ، ومن أراد أن ينفرد بالتراويح في بيته فله أن يصلّي وحده أو بأهله إن كان أنشط له، ومن أخر شيئاً من التراويح أو كلها آخر الليل فهو أفضل؛ وروي عن علي رضي الله عنه أنه كان يجعل للرجال إماماً وللنساء إماماً.

المسألة السابعة: معنى قوله: **(إيماناً واحتسابا)**. قال النووي رحمه الله: «أي: تصديقاً بأنه حق، معتقداً فضيلته، ومعنى **(احتسابا)**، أن يريد الله تعالى وحده، لا يقصد رؤية الناس ولا غير ذلك مما يخالف الإخلاص».

المسألة الثامنة: معنى قوله: **(غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر)**: بمعنى: إزالة إثم هذا الذنب وعدم مؤاخذته عليه، وفي بعض رواية الحديث: **(وما تأخر)** بمعنى: أنه لا يقع منه ذنب أو يقع مغفوراً له، والمراد بالذنوب: الصغائر عند كثير من العلماء؛ لقوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾[1] وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾[2] وقوله ﷺ: **(الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر)**. فالصغائر أمرها خطير وقد يأثم صاحبها إثماً عظيماً وقد تؤول به إلى الكبائر فيما إذا ارتكبها الإنسان من غير خجل أو خوف وعدم مبالاة؛ فالنار من مستصغر الشرر، ومن فضل الله سبحانه وتعالى على عباده أنه يكفر عن

(١) سورة النساء، الآية [٣١].

(٢) سورة النجم، الآية [٣٢].

المسلم ما ارتكب من الصغائر بفعل الحسنات: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾(١).

المسألة التاسعة: معنى قوله: **(خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه)**. بمعنى: أنه لا ذنوب عليه، كما أنه سالم من الذنوب بسلامته منها وقت ولادته، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبدالله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وأن الجنة حق وأن النار حق أدخله الله الجنة على ما كان عليه من العمل)**.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

(١) سورة هود، الآية [١١٤-١١٥].

الخطبة الثالثة والثلاثون:

عمارة المسجد

الحمد لله القائل: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾(١)، سبحانه أمرنا ببنائها وتعميرها؛ لنعبده ونذكر فيها اسمه ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴾(٢) وأشهد أن لا إله إلا الله يضاعف أجر المتصدقين المخلصين؛ ﴿ إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ ﴾(٣)، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله كان أول أعماله بعد هجرته إقامة المسجد وتعميره، وكان يحمل على كتفه ويساعد بنفسه قائلا: اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة، فاغفر للأنصار والمهاجرة. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين بنوا بيوت الله وعمروها فكانت منارة بها يهتدى، وإشعاعاً يضيء، ومنطلقاً للمعرفة والعلوم، رضي الله عنهم ورضوا عنه، أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى، اتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله، ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون، اتقوا يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار، اتقوا يوماً لا تنفع فيه الحسرة والندامة، مادمتم في مهلة وسلامة، اتقوا يوماً تعرض فيه أعمالكم ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾(٤) اتقوا

---

(١) سورة التوبة، الآية [١٨].

(٢) سورة النور، الآية [٣٦].

(٣) سورة التغابن، الآية [١٧].

(٤) سورة الزلزلة، الآية [٧-٨].

يوماً توزن فيه الأعمال، ويجري فيه الحساب بميزان قسط لا ظلم فيه ولاجور، الناقد فيه بصير، وكل شيء عليه يسير، وهو على كل شيء قدير، وبعمل الخلق خبير، ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ ﴾(١).

عباد الله: إن لكل أمة أمكنة مخصوصة لعبادتها، وشعاراً لأديانها، فلليهود والنصارى البيع والكنائس والصوامع، لا تصلح صلاتهم الخاصة إلا فيها، أما أمة محمد عليه الصلاة والسلام فهي أفضل الأمم، كما أن رسولها أفضل الرسل، فوضع الله عن هذه الأمة الأغلال والضيق والحرج، مصححاً صلواتهم في كل مكان عدا ما استثناه الشرع، كالأرض النجسة والمقبرة والطرق ومعاطن الإبل والحمام؛ قال ﷺ: **(أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي، -وذكر منها- وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، فأيما رجل أدركته الصلاة فليصل)**.
وقد شرع الله تعالى بناء المساجد في المدن والقرى ومكان التجمعات؛ لتكون شعيرة من شعائر الإسلام، ومكان عبادة وبيتاً خاصاً لله تعالى، لا يشوبه شائبة من أغراض الدنيا، يتجمع فيه المسلمون في ظل عقيدتهم وإيمانهم في رحبة من رحاب الله، يرفعون أيديهم مكبرين في صف واحد، خلف إمام واحد، يتلو كتاباً واحداً، ويناجون رباً واحدا، متكاتفين متعاونين، وإن اجتماع أبدانهم علامة وسبب لاجتماع القلوب.

ولأهمية المساجد وشرف مكانتها وعلو منزلتها، حثت الشريعة الإسلامية على بنائها وعمارتها حسياً ومعنوياً، وجعلت الخير الكثير لبانيها، ووضعت على قبول

(١) سورة الأنبياء، الآية [٤٧].

عمل معمرها وبانيها علامات وإمارات ودلالات؛ لإدراك هذا الفضل الكبير والخير العميم قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾(١) ونفت الثواب المدخر عمن بناها وهو مشرك أو لم يرد بها وجه الله، قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ ﴾(٢)، وقال ﷺ مبيناً ما أعد الله تعالى لباني المساجد ابتغاء وجه الله لا رياء ولا سمعة، كما في الحديث المتفق عليه عن عثمان بن عفان رضي الله عنه عن الرسول ﷺ: **(من بنى لله مسجداً بنى الله له بيتاً مثله في الجنة)**. وفي الحديث الآخر بيان بأن الله تعالى لا يضيع أجر من أحسن عملاً قليلاً كان أو كثيراً مما يتصل بعمارة المساجد بما يصونها ويريح المصلين ويحفظ كرامتها من إنارة وفرش؛ قال ﷺ: **(من بنى مسجداً ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتا في الجنة)**، وقال في تنظيفها: **(عرضت علي أعمال أمتي فوجدت محاسنها ومساوئها، ووجدت من محاسنها القذاة يخرجها الرجل من المسجد، ووجدت من مساوئها النخاعة في المسجد لا تدفن)**. وحك ﷺ النخاعة من المسجد وذر عليها الزعفران.

وكانت امرأة تخدم المسجد، فماتت فدفنت، فلما جاء خبرها الرسول ﷺ قال: **(دلوني على قبرها، فدلوه فصلى عليها، ثم قال: إن هذه القبور ملئت نورا بصلاتي عليها)**، فهذا دليل كبير على فضل عمارة المساجد وتنظيفها، ولكل أجره حسب عمله واحتسابه سواء كان موظفاً عليها من جهة الدولة، أم من جهة متبرعٍ، ومعلوم أن القائمين عليها بالوظيفة تكون مسئوليتهم أعظم،

---

(١) سورة التوبة، الآية [١٨].

(٢) سورة التوبة، الآية [١٧].

فإن قاموا بعمارتها وتنظيفها فقد أدوا أمانتهم ونصحوا لأمتهم ودولتهم ولهم الأجر من الله تعالى إذا احتسبوا ، وإذا لم يحتسبوا برئوا من المسؤولية الدنيوية فقط ، قال تعالى : ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ ﴾(١) فلما ضرب الله تعالى المثل : مثل قلب المؤمن وما فيه من الهدى والعلم بالمصباح في الزجاجة الصافية المتوقدة من زيت طيب ، وذلك كالقنديل مثلا ، ذكر محلها وهي المساجد التي هي أحب البقاع إلى الله في الأرض وهي بيوته التي يعبد فيها ويوحد ؛ قال تعالى : ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴾(٢) أي : أمر الله تعالى بتعاهدها وتطهيرها من الدنس واللغو والأقوال والأفعال التي لا تليق بها ، وبين الله تعالى أنها كما تعمر حسياً تعمر معنوياً بذكر الله تعالى ، وتلاوة القرآن ، والتسبيح ، والتحميد ، والتهليل ، وتكرار المجيء إليها ؛ لأداء الصلوات المكتوبة مع الجماعة ، ثم بين أهل هذه العمارة ووصفهم بصفات تميزهم عن غيرهم بأنهم رجال من أهل الهمم السامية ، ومن أهل النيات والعزائم العالية التي بها صاروا عماراً للمساجد التي هي بيوت الله في الأرض ومحل عبادته ، وشكره ، وتوحيده ، وتنزيهه ، فقال تعالى : ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ ﴾(٣) فلم يعب الله من اتجر والتمس المعيشة ؛ لكي يتقوى بها على طاعته ، بل مدح هذا وأثنى عليه وعلى

---

(١) سورة النور ، الآية [٣٦].

(٢) سورة النور ، الآية [٣٦-٣٧].

(٣) سورة النور ، الآية [٣٦].

سعيه ، أما الذم فمتوجه إلى من شغلته تجارته ووسائل الحياة الدنيوية عن ذكر الله تعالى ، وأبعدته عما خلق له ، أو ما أوجد من أجله ، بل صيرته تجارته واشتغاله بدنياه عابداً لها بعد أن كان عابداً لخالقه ورازقه.

فيا أيها المسلم كن من هؤلاء الرجال الذين أثنى الله تعالى عليهم وليكن الخوف بين عينيك من اليوم الذي تتقلب فيه القلوب والأبصار ؛ ليقصر جماحك عما فيه هلاكك ودمارك ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾(١). بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني و إياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم..

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

---

(١) سورة التوبة ، الآية [١٨].

الخطبة الرابعة والثلاثون:

الفطر في رمضان

الحمد لله الذي اختار لنا الإسلام ديناً، وفرض علينا فروضاً وحد لنا حدوداً، أحمده سبحانه وأشكره، وأتوب إليه واستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، وأشهد أن لا إله إلا الله الرحيم بعباده ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾(١) وأشهد أن محمداً عبده ورسوله علمنا الكثير، ووجهنا إلى الخير الوفير، وأرشدنا في أحاديثه كيف نصوم وكيف نقوم؛ حتى نكون على بينة ودراية: **(من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)**.

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين تتلمذوا على يد رسولهم وعاشوا دروس مدرسته حتى استوعبوها ووعوها وطبقوها على أنفسهم وبيوتهم وأذاعوها في مجتمعهم فكانوا بحق دعاة هدى ونور وعلم ومعرفة وحق وصواب وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

أيها المسلمون: اتقوا الله تعالى وأطيعوه، والتزموا بأوامره ولا تعصوه، وتفقهوا في دينكم؛ قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾(٢) وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان يكون عليَّ الصوم من رمضان فما أستطيع أن أقضيه إلا في شعبان). وعنها -أن رسول الله ﷺ قال: **(من مات وعليه صيام صام عنه وليه)**، وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ

(١) سورة البقرة، الآية [٢٨٦].

(٢) سورة البقرة، الآية [١٨٤].

فقال: يارسول الله، إن أمي ماتت وعليها صيام شهر أفأقضيه عنها؟ قال: **(لو كان على أمك دين أكنت قاضيه عنها؟)**، قال: نعم. قال: **(فدين الله أحق أن يقضى)**. وفي رواية جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: إن أمي ماتت وعليها صوم نذر أفأصوم عنها؟ قال: **(أفرأيت لو كان على أمك دين فقضيته أكان يؤدي ذلك عنها؟)**، قالت: نعم. قال: **(فصومي عن أمك)**. إن الله تعالى أوجب على الخلق أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، وأن تكون عبادتهم وفق ما شرع الله لهم، فمن العبادات مالها وقت محدود كالصلاة والصيام والحج، وهذه منها ما هو متكرر في اليوم والليلة وهو الصلوات الخمس، أو في السنة مرة وهو صيام رمضان، أو في العمر مرة وهو الحج، والذي له وقت معين: محدود ومتكرر لا يصح تفويته عن وقته كالصلاة ما دام عند الإنسان أدنى شعور فإنه يصلي حسب حاله، ومن نام أو نسي فليصل متى استيقظ؛ لحديث: **(من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها، لا كفارة لها إلا ذلك)**. وما يفعله كثير من الناس من ترك الصلوات وإخراجها عن وقتها إذا مرض أو كان مشتغلا فغير مصيب، ولو قصد انتظار الشفاء حتى يتنزه عن النجاسات، فالواجب على المريض أن يصلي حسب حاله يتوضأ إذا قدر ويزيل النجاسة وإلا يتيمم ويصلي قائماً، فإن لم يستطع فقاعداً، فإن لم يستطع فعلى جنب، فإن لم يستطع فبالنية، وكذا من حضرته الصلاة وهو في عمله فإنه يصليها في وقتها ولا يؤخرها من أجل أن يزيل أثر المهنة، أو من أجل أن لا تتأثر ملابسه بسبب الوضوء كما هو صنع كثير من الموظفين؛ هدى الله تعالى الجميع ووفقهم إلى اتباع شرع الله عز وجل، فإن أتى المسلم بالصلاة في وقتها كان أداء، وإن أخرجها عن وقتها كان

قضاء، وصيام نهار رمضان واجب ويكون أداء في وقته، ومن أخره عن الشهر كان قضاء، والمسلم البالغ العاقل المختار لا يؤخر رمضان، أو شيئاً منه إلا لعذر كأن يؤثر الصيام على صحته، بحيث إذا صام تأخر برؤه وزاد مرضه، وكالحامل والمرضع تخافان على نفسيهما وولديهما أو يكون العذر ملاحظاً فيه المشقة كالسفر، وأهل هذه الأعذار منهم من يخير بين الصيام والإطعام عن كل يوم مسكين، وهذا فيمن استصعب مرضه وغلب على الظن عدم برءه، وكذا الشيخ الكبير والشيخة الكبيرة؛ قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[1] ومن المعذورين عن صيام رمضان من عليه القضاء والإطعام كالحامل والمرضع يفطران خوفا على ولديهما، أما إذا خافتا على نفسيهما فعليهما القضاء فقط، ومن المعذورين في الإفطار أيضا ممن عليه القضاء دون الإطعام؛ المريض الذي يرجى برؤه والمسافر، وأما الحائض والنفساء فيحرم منهما الصيام ويجب عليهما الإفطار والقضاء بعد ذلك، ويلزم قضاء رمضان في ذمة المسلم متى زال عذره من سفر أو مرض في أي شهر من شهور السنة، ويقضيه متفرقا أو متتابعاً، والأفضل التتابع؛ لأنه أشبه الأداء، والأفضل المبادرة لقضاء رمضان ولو مع مشقة الوقت؛ مسارعة لبراءة الذمة ومبادرة لفعل الخير.

ويقضى عدد ما فات من الأيام وإن فاته الشهر كله صام حسب الشهر ثلاثين يوما أو تسعة وعشرين يوما، ولا يلزم مشابهة أيام القضاء بأيام الأداء طولا أو قصراً، حراً أو برداً، ويجوز التفريق في قضاء رمضان؛ لحديث ابن عمر رضي الله عنهما

(١) سورة البقرة، الآية [١٨٤].

قال: (قضاء رمضان إن شاء فرق وإن شاء تابع)، وإن لم يبق على رمضان الثاني إلا قدر الأيام الواجبة عليه وجب القضاء عليه، وإن أدركه رمضان الثاني لزمه صيامه، ثم بعد ذلك يقضي ما عليه من صيام رمضان الأول ويطعم عن كل يوم مسكيناً مع القضاء، ومقدار الإطعام: نصف صاع لكل مسكين عن كل يوم من أوسط ما تطعمون، ومن استمر على مرضه ومات فيه فلا قضاء عليه ولا كفارة ولا فدية؛ لأنه غير مفرط، ولا يصوم أحد عن أحد حيا مطلقا، وأما من مات وعليه صوم نذر صام عنه وليه، والولي هنا يعني: الذي يرث تركته، ولو صام غيره أجزأ، لكن الولي أولى بالبر لميته، وتدل الآية الكريمة على يسر الشريعة وسماحتها وأنها لم تكلف شططا، وأن القضاء وقته موسع، ويدل حديث عائشة على جواز تأخير قضاء رمضان إلى شعبان، مع العلم أن الأفضل التعجيل من غير العذر، فعائشة رضي الله عنها قد بينت عذرها في ذلك، وأنه لا يجوز تأخير القضاء إلى دخول رمضان الثاني، وفيه حسن عشرة عائشة رضي الله عنها مع زوجها النبي صلى الله عليه وسلم رزق الله نساء المؤمنين القدوة بها.

وحديث ابن عباس يدل على أن الديون تقضى عن الميت سواء كانت لله أو لآدمي، والتي تقضى من ديون الله هي التي تدخلها النيابة كصيام النذر والحج، وتوزيع الزكاة والكفارات، وإخراج حقوق الله المالية من تركة الميت إن كان له تركة، فاتقوا الله تعالى أيها المسلمون، واحمدوا الله تعالى على تيسيره ورحمته بكم ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾(١).

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ

---

(١) سورة الحج، الآية [٧٨].

سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب.

* * *

---

(١) سورة البقرة، الآيات: [١٨٣-١٨٤].

الخطبة الخامسة والثلاثون:

زكاة الفطر

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، رحيم بعباده، ورحمته وسعت كل شيء نحمده أمرنا بالتعاطف، والتآلف، وأشكره على نعمه وفضله، وأشهد أن لا إله إلا الله جعل الفلاح في الدنيا والآخرة لمن التزم أوامره وأطاعه، وذكره وطهر نفسه وماله، وعرف حق الله تعالى، وحافظ على حقوق عباد الله.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أمرنا بإخراج زكاة فطرنا؛ جبرا لصيامنا من لغو قلناه أو زورٍ ارتكبناه ومشاركة لإخواننا الفقراء والمساكين؛ تفريجاً لهم وأخذاً بيدهم، وتوسعة عليهم، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه الذين أقرضوا الله قرضاً حسنا، فنماه لهم وجزاهم خير الجزاء في مستقر رحمته في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

أما بعد:

أيها المسلمون: اتقوا الله تعالى وأطيعوه، وبادروا بإخراج زكاة فطركم وتعاونوا على البر والتقوى، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: **(فرض النبي ﷺ صدقة الفطر على الذكر والأنثى، والحر والمملوك، والصغير والكبير من المسلمين، صاعاً من تمرٍ أو صاعاً من شعير، وأمر بها أن تؤدى قبل خروج الناس إلى صلاة العيد)**، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: **(كنا نعطيها في زمن النبي ﷺ صاعاً من طعام، أو صاعاً من تمر، أو صاعاً من شعير، أو صاعاً من أقط، أو صاعاً من زبيب)**، فلما جاء معاوية رضي الله عنه وجاءت السمراء قال: أرى مداً من هذا يعادل مدين. قال أبوسعيد: أما أنا فلا أزال أخرجه كما كنت أخرجه في عهد رسول الله ﷺ.

إن الله سبحانه وتعالى أوجب على الأبدان زكاة مالية حولية، كما أوجبها في الأموال وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾[1] قال بعض المفسرين: معنى: ﴿مَن تَزَكَّىٰ﴾ أي: أخرج زكاةً تطهره، ثم خرج إلى صلاة العيد، وهي الصلاة المشار إليها في هذه الآية، ﴿وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾: أي: بالتكبير، كما قال تعالى: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[2] فصدقة الفطر واجبة على كل مسلم؛ لأنها طهارة له من أدران الذنوب، والكافر لا تلحقه طهرة، وهذه الزكاة البدنية تجب بالحول مرة واحدة وتسمى: زكاة الفطر، وصدقة الفطر حولها في آخر الإفطار من رمضان، وفرضت في هذا الوقت؛ لتتابع الحسنات، وهذا من علامة قبول الحسنة؛ ولهذا جاء في الحديث الشريف: **(الحسنة تقول: أختي أختي، والسيئة تقول: أختي أختي)**. ولقد فرض الشارع الحكيم وجوبها بعد الصيام؛ لجبر ما نقص منه وإتمامه كما جاء في الحديث: أنها طهرة للصائم من اللغو والرفث، كما يطهره أيضاً ما يخرجه عن صغيره ومجنونه اللذين لا يصومان، وهي أيضاً رحمة بالفقير، وعطف عليه؛ ليستغني عن سؤال الناس في يوم العيد، فيشارك الأغنياء فرحتهم بهذا اليوم العظيم، وتأدية الصلاة، فلا يبقى هناك فقير عابس، والناس حوله مسرورون، قال ﷺ: **(أغنوهم عن الطلب في هذا اليوم)** ولكن لا تجب إلا بشرطين:

---

(١) سورة الأعلى، الآية [١٤-١٥].

(٢) سورة البقرة، الآية [١٨٥].

أولاً: أن يفضل عن نفقته ونفقة عياله يوم العيد وليلته ما يكفيه زكاة الفطر؛ لأن النفقة أهم فيجب البدء بها؛ لقوله ﷺ: **(ابدأ بنفسك)**. رواه مسلم. وفي رواية: **(وابدأ بمن تعول)**، رواه الترمذي. ويخرج الإنسان عن نفسه وعمن يعول، والحمل في بطن أمه لا تجب فطرته، ولكن مستحب؛ لما روي عن عثمان ابن عفان رضي الله عنه.

الشرط الثاني: دخول وقت الوجوب وهو غروب الشمس في ليلة الفطر؛ لقول ابن عمر رضي الله عنهما: (فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر)، وذلك يكون بغروب الشمس، فمن أسلم أو تزوج أو ولد له ولد أو ملك عبدا بعد الغروب لم تلزمه فطرتهم، وإن غربت وهم عنده ثم ماتوا فعليه فطرتهم؛ لأنها تجب في الذمة، والأفضل في وقت إخراجها يوم العيد قبل الصلاة؛ للخبر، ولأن المقصود إغناء الفقراء يوم العيد عن الطلب؛ لقوله ﷺ: **(أغنوهم عن الطلب في هذا اليوم)**. رواه سعيد بن منصور، وفي إخراجها قبل الصلاة إغناء لهم في اليوم كله، فإن قدمها قبل ذلك بيوم أو يومين جاز؛ لأن ابن عمر رضي الله عنهما كان يؤديها قبل ذلك بيوم أو يومين؛ ولأن الظاهر أنها تبقى أو بعضها فيحصل الغنى بها فيه، وإن عجلها لأكثر من ذلك لم يجز؛ لأن الظاهر أنه ينفقها فلا يحصل بها الغنى المقصود يوم العيد، وإن أخرها عن يوم العيد أثم؛ لتأخيره الحق الواجب عن وقته، ولزمه القضاء؛ لأنه حق مالي واجب فلا يسقط بفوات وقته كالدين، وزكاة الفطر تُعْطى الذين يعطون من زكاة المال، ولاتعطها من تلزمك نفقته، وتسلم للفقير بيده في وقتها، أو وكيله في قبضها ولا يُبْقِهَا عنده؛ انتظاراً للفقير ولا يودعها، وزكاة الفطر متعلقة بالبدن، فيخرجها في بلده الذي هو مقيم فيه، وفطرة من يعولهم تبعاً له، فإن شاء أنفقها مع فطرته في بلده، وإن شاء أخرج في بلدهم، ولا يجوز إخراج

القيمة مادامت الأصناف الخمسة موجودة ؛ لوجود النص عليها من الشارع الحكيم، الذي راعى مصالح الناس في كل مكان وزمان، وإخراج أحد هذه الأطعمة وهذه الأصناف ؛ مراعاة للمخرج ؛ حيث إنها أغلب القوت، فلا يتكلف ما ليس عنده، وفيها مراعاة المخرج له ؛ إذ بها الغنية وسد الحاجة إلى الطعام، ولأنه ليس المقصود فيها التجارة.

لذا لم يذكر الشارع الحكيم القيمة ؛ لأن زكاة الفطر شعيرة من شعائر الإسلام لا تبرز ولا تظهر إلا بالطعام، ولقد بين الشارع الحكيم مصارف الزكاة في الآية الكريمة التي تبين لنا من تدفع إليه، كما ذكرت الآية اعتراض المنافقين الجهلة على النبي ﷺ ولمزهم إياه في قسم الصدقات فبين الله تعالى أنه هو الذي قسمها، وبين حكمها وتولى أمرها بنفسه ولم يكل قسمها إلى أحد غيره فجزأها لهؤلاء المذكورين، ففي الحديث: (أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال: أعطني من الصدقة، فقال له ﷺ: **(إن الله لم يرض بحكم نبي ولا غيره في الصدقات حتى حكم فيها فجزأها ثمانية أصناف فإن كنت منهم أعطيتك ؛ لأنهم هم المستحقون للزكاة)**. فلا تبرأ الذمة إلا بدفعها لهم، ويبرأ منها صاحب الزكاة إن دفعها للإمام أو من أقامه مقامه من جباة الزكاة، وليحذر المزكي دفعها إلى غير هؤلاء، وليعلم أنه لاحظ فيها لغني، ولا لقوي مكتسب، ولا لذي مرة سوي، وليحذر أن يدفع بزكاته مذمة، ولا يقي بها ماله، ولا يستخدم بها ولا يعطيها أحداً من فروعه ولا من أصوله وهم: الأولاد وأولاد الأولاد، والأصول: أمه وأبوه وأجداده وجداته من قبل الأب والأم، فمن أعطى زكاته أحداً من هؤلاء لم تبرأ ذمته ؛ لأن الفقير من هؤلاء تجب عليك نفقته من دون الزكاة، وأما بقية الأقارب فإن كنت لا ترثه فأعطه من زكاتك إن كان فقيراً، والنفقة على القريب

تكون براً وصلة، والزوج لا يعطي زوجته الزكاة، وكذا الزوجة لا تعطي زوجها الزكاة، ولا يعطي المزكي من يخدمه؛ لأنه يكون قد استخدم زكاته، ولا يجوز صرف الزكاة لغير هؤلاء الثمانية، من بناء مساجد أو إصلاح طريق؛ لأن الله تعالى خصهم بقوله: ﴿إِنَّمَا﴾ وهي للحصر تثبت المذكورين وتنفي ما عداهم.

فالأول والثاني: الفقير والمسكين وهما: اللذان لا يجدان مؤنتهما وعائلتهما لمدة سنة كاملة، فيعطون ما يكفيهما وعائلتهما لمدة سنة، والفقير هو: الذي لا يجد شيئاً، والمسكين هو: الذي يجد بعض الكفاية، ومن ادعى الفقر ممَنْ لا يعرف حاله، قُبِلَ قوله من غير يمين؛ لأن الأصل عدم المال.

وإن ادعى الفقر من عرف غناه لم يقبل إلا بيمين؛ لقوله ﷺ: **(إن المسألة لا تحل لأحد إلا لثلاثة: رجل أصابته فاقة حتى شهد له ثلاثة من ذوي الحجى من قومه: لقد أصاب فلاناً فاقة فحلت له المسألة حتى يصيب قواماً أو سداداً من عيش)**. رواه مسلم.

و**الصنف الثالث:** العاملين عليها، يعني: الذين يشتغلون في جباية زكاة الأموال ما بين حافظ وكاتب وسائق، فيعطون منها مقابل أعمالهم.

و**الصنف الرابع:** المؤلفة قلوبهم: وهم السادة المطاعون في عشائرهم، وهم ضربان: كفار ومسلمون، فالكفار من يرجى إسلامهم، أو يخاف شرهم فيعطون من الزكاة؛ ترغيباً لهم في الإسلام أو كفاً لشرهم؛ لأن النبي ﷺ أعطى صفوان ابن أمية يوم حنين قبل إسلامه؛ ترغيبا له في الإسلام، والمؤلفة قلوبهم من المسلمين أربعة أضرب:

الأول: منهم من له شرف يرجى من إعطائه إسلام نظيره.

الثاني: من صلته بالإسلام ضعيفة، فيعطون؛ لتقوية إسلامهم.

الثالث: قوم إذا أعطوا قاتلوا ودافعوا عن المسلمين.

الرابع: إذا أعطوا جبوا الزكاة ممن لا يعطونها.

الصنف الخامس: فك الرقاب المسلمة من الرق وإعطاء المكاتب دين كتابته وفك الأسير المسلم من أيدي الكفار.

الصنف السادس: الغارمين: وهم ضربان: ضرب غرم لإصلاح ذات البين وهو من يحمل دية أو مالا؛ لتسكين فتنة أو إصلاح بين طائفتين، فيدفع له من الصدقة ما يؤدي حمالته، وإن كان غنياً؛ لما روى قبيصة بن مخارق رضي الله عنه قال: تحملت حمالة فأتيت رسول الله ﷺ أسأله فيها، فقال: **(أقم يا قبيصة حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها، ثم قال: يا قبيصة: إن الصدقة لا تحل إلا لثلاثة: رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك)**، رواه مسلم؛ ولأنه يأخذ لمصلحة المسلمين فجاز له الأخذ مع الغنى كالغازي. والضرب الثاني: من غرم لمصلحة نفسه في مباح، فيعطى من الصدقة ما يقضي غرمه، ولا يعطى مع الغنى؛ لأنه يأخذ لحاجة نفسه، وإن غرم في معصية لم يدفع له قبل التوبة؛ لأنه لا يؤمن أن يستعين بها في المعصية، وبعد التوبة يعطى؛ لتبرئة ذمته وكان كالفقير.

الصنف السابع: هم الغزاة في سبيل الله الذين لا مرتبات لهم، فإذا أعطوا غزوا لجهاد الكفار فيعطون كفايتهم في طريقهم وإقامتهم ويعطون مراكب وما يصلحها ومن يقوم عليها، ويعطى هؤلاء ولو كانوا أغنياء؛ لأن عملهم لمصلحة المسلمين وإعلاء كلمة الدين وإذلال كلمة الكفر والكافرين.

الصنف الثامن: ابن السبيل وهو: المسافر المنقطع في طريقه، ولم يجد ما يبلغه بلده، فيعطى ما يوصله إلى بلده، ولو كان غنياً في بلاده، وإن كان سفره

لمعصية لا يعطى، فيالها من كفالة اجتماعية ما أعظمها؛ جاء بها إسلامنا العالم بمصالح الخلق حالا ومآلا.

فاتقوا الله أيها المسلمون، وأخرجوا زكاة فطركم، وشاركوا إخوانكم فرحتهم بالعيد وامسحوا دمعتهم وخففوا آلامهم.. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾(١).

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب.

❋ ❋ ❋

(١) سورة البقرة، الآية [٢٦١].

الخطبة السادسة والثلاثون:

خطبة عيد الفطر

الله أكبر (تسعا متواليات): الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلا، الله أكبر كلما صام صائم وأفطر، الله أكبر كلما هلل مهلل وكبر، الله أكبر كلما نطق بتوحيده الموحدون، الله أكبر كلما هلل المهللون، الله أكبر كلما سبح المسبحون، الله أكبر كلما صلى المصلون، الله أكبر كلما قام المتهجدون، الله أكبر كلما تصدق المتصدقون، الله أكبر كلما أقيمت شعائر المسلمين، وعظم منار الدين، الله أكبر كلما تذكر تائب ذنبه فاستغفر.

سبحان خالق الليل والنهار، سبحان عالم السر والجهار، سبحان من أوجب فطر هذا اليوم بعد ماكان بالأمس حراما، سبحان موفي الطائعين الصابرين أجرهم بغير حساب؛ كرما منه وإحسانا، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد.

الحمد لله الذي سهل طريق العبادة ويسر، وأفاض على عباده من خزائن جوده التي لا تحصر، وجعل لهم عيدا يعود ويتكرر، نقاهم فيه من درن الذنوب وطهر، والحمد لله الذي شرع لنا الاجتماع في يوم عيدنا فنقوم صفا واحدا مكبرين، لكتابه تالين راكعين ساجدين، ولم يجعلنا نغدو إلى كنيسة أو بيعة فيها الشرك والإفك العظيم، والحمد لله إذ جعل عيدنا بمناسبة انتهائنا من عبادة قد أمرنا بها وهي صيام شهر رمضان، ولم يكن عيدنا حسب الأهواء والأغراض ولا المناسبات التاريخية كأعياد الميلاد والانتصارات، والحمد لله إذ شرع لنا في عيدنا الفرح والسرور بما أباحه لنا مما حرمه علينا

بالأمس، وأوجب علينا فطر هذا اليوم؛ لأننا في ضيافة الله تعالى فعلينا أن نقبل ضيافته.

أحمده سبحانه أن جعل لنا من فضله دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين، وأشكره فهو المستحق أن يحمد ويشكر ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾[1].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي جعل لكل شيء وقتاً وأجلاً مقدراً، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيد البشر الشافع المشفع في المحشر، الذي انشق له القمر، وسلم عليه الحجر، وهو الذي نصر بالرعب مسيرة شهر.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على عبدك محمد الذي غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ومع ذلك قام على قدمه الشريف حتى تفطر، وعلى آله وصحبه الذين أذهب الله تعالى عنهم الرجس وطهر، فلو أنفق أحدنا مثل جبل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه، فرضي الله تعالى عنهم وأرضاهم، تلقوا سنة نبيهم فبلغوها كما سمعوها.

الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر الله أكبر، ولله الحمد.

أما بعد: فيا أيها الناس اتقوا الله تعالى وأطيعوا الله ورسوله؛ فإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين، وإن تعصوه فعليه ما حمل وعليكم ما حملتم، وقد قال عليه الصلاة والسلام: **(كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى)**. قالوا: ومن يأبى يارسول الله؟ قال: **(من أطاعني دخل الجنة، ومن**

---

(١) سورة النمل، الآية [٤٠].

عصاني فقد أبى). والله تعالى يقول: ﴿فَإِن تُطِيعُواْ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾(١).

ومن أعانه الله تعالى فأتم الصيام والقيام فليتجنب ما يبطلها ويمحوها من الآثام، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾(٢).

واعلموا أن الإسلام هو: الاستسلام الظاهر والباطن لله وحده، والانقياد الكامل لطاعته، وطاعة رسوله ﷺ، والإسلام مقصوده القيام بحق الله تعالى وحق عباده والبراءة من الشرك وأهله، وروحه الإخلاص لله تعالى والمتابعة للرسول ﷺ، وقوامه على خمسة أركان: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان، وحج البيت من استطاع إليه سبيلا، فمن أتى بهذه الأركان الخمسة فقد أتم إسلامه الواجب، ومن انتقص هذه الأركان بواحدة جاحداً لوجوبها فقد كذب الرسول ﷺ، ومن كذب الرسول ﷺ في شيء وصدقه في شيء فهو كافر مجمع على كفره خارج عن الإسلام، وكذا من آمن ببعض القرآن وجحد بعضه، وكذا من أقر بالتوحيد وجحد وجوب الصلاة، أو أقر بالتوحيد والصلاة وجحد وجوب الزكاة، أو أقر بهذا كله وجحد وجوب الصوم، أو أقر بهذا كله وجحد الحج، وقد توعد الله تعالى الذين آمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض بالخزي في الحياة الدنيا، ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب.

والإسلام أوامر أمر الله تعالى بها ورسوله ﷺ، ونواه نهى الله تعالى عنها ورسوله ﷺ، فمن عمل بالأوامر وترك النواهي فقد استمسك بالعروة الوثقى،

---

(١) سورة الفتح، الآية [١٦].

(٢) سورة محمد، الآية [٣٣].

قـال الله تعـالى : ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ (١).

وتذكروا –عباد الله– في اجتماعكم هذا اجتماع يوم الحشر والنشور، يوم يقوم الناس لرب العالمين، يوم يبعثر ما في القبور، ويحصل ما في الصدور، فإن اجتماعكم هذا إجابة لربكم بطوعكم واختياركم لما دعاكم لتصلوا له فيثيبكم، أما يـوم القيامـة فـإن اجتمـاعكم سـيكون بكلمـة واحـدة ﴿ كُن فَيَكُونُ ﴾ (٢) فتجتمعون؛ ليطلعكم على ما عملتم في الحياة الدنيا، إن خيرا فخير وإن شرا فشر، فمن وجد خيرا فليحمد الله تعالى ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه، فالدنيا عمل بلا حساب والآخرة حساب بلا عمل.

الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر الله أكبر، ولله الحمد.

عباد الله: من لم يكن أخرج زكاة الفطر فليتدارك بقية هذا اليوم لإخراجها؛ فإنها طهرة للصائم من اللغو والرفث وإغناء للفقراء عن السؤال في هذا اليوم؛ ليشاركوا الأغنياء بالفرح والسرور، وزكاة الفطر شعيرة من شعائر الإسلام الظاهرة لا تصلح إلا من الطعام بمقدار صاع، ومن أخرها عن هذا اليوم فقد فات وقتها فتكون صدقة من الصدقات، واعلموا أن عيدكم هذا للذكر والشكر والطاعة؛ لذا حرم صيامه فلا يجزيء عن قضاء، ولا نذر، ولا تطوع، ولا تعتقدوا أن الأعياد جعلت للعب واللهو وإنما هي لإقامة ذكر الله تعالى، والإعراض عن اللغو، ولا تقولوا ذهب رمضان فهيا وثوبا للعصيان؛ فإنه وإن

(١) سورة لقمان، الآية [٢٢].

(٢) سورة البقرة، الآية [١١٧].

انتهى شهر رمضان فقد تبعه وقت عبادة أخرى وهي حج بيت الله الحرام فمواسم الخير تترى.

أيها المسلمون: احذروا ما نهاكم الله عنه واجتنبوا الموبقات المهلكات؛ احذروا الزنا ووسائله؛ فإنه أسوأ طريق وجرم مبغض ممقوت: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾(١)، الآية. واحذروا وسائله؛ فإنه من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه، ومن ذلكم خلو الرجل بالمرأة الذي ليس هو محرما لها، سواء كانت الخلوة في البيت أو السيارة، وخروج المرأة متبرجة؛ فإن ذلك سبب للفتنة، وقد جاء الوعيد الشديد على الكاسيات العاريات المائلات المميلات، ومن الأسباب والوسائل للزنا النظرة فاحذروها؛ لأنها سهم من سهام إبليس وهو بريد الزنا، قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾(٢)، واصدقوا الحديث والوعد والأمانة وحفظ الفرج وغض البصر وكف اليد عن الظلم، ففي الحديث الشريف: **(اضمنوا لي ستاً أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا اؤتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم)**.

الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر الله أكبر، ولله الحمد.

❊ ❊ ❊

(١) سورة الإسراء، الآية [٣٢].

(٢) سورة النور، الآية [٣٠-٣١].

الخطبة السابعة والثلاثون:

خطبة أخرى لعيد الفطر

الله أكبر (تسعاً متواليات) : الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلا ، الله أكبر كلما صام صائم وأفطر ، الله أكبر كلما هلل مهلل وكبر ، الله أكبر كلما نطق بتوحيده الموحدون ، الله أكبر كلما هلل المهللون ، الله أكبر كلما سبح المسبحون ، الله أكبر كلما صلى المصلون ، الله أكبر كلما قام المتهجدون ، الله أكبر كلما تصدق المتصدقون ، الله أكبر ما أقيمت شعائر المسلمين وعظم منار الدين ، الله أكبر كلما تذكر تائب ذنبه واستغفر.

سبحان خالق الليل والنهار ، سبحان عالم السر والجهار ، سبحان من أوجب فطر هذا اليوم بعد ما كان بالأمس حراما ، سبحان موفي الطائعين الصابرين أجرهم بغير حساب ؛ كرما منه وإحسانا ، سبحان من له الخلق والأمر فتبارك الله رب العالمين.

الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله ، والله أكبر الله أكبر ، ولله الحمد.

الحمد لله الذي سهل طريق العبادة ويسر ، وأفاض علينا من خزائن جوده التي لا تحصر ، وجعل لهم عيدا يعود ويتكرر ، نقاهم به من درن الذنوب وطهر ، والحمد لله الذي شرع لنا الاجتماع في عيدنا فنقوم صفا واحدا مكبرين ، لكتابه تالين راكعين ساجدين ، ولم يجعلنا نغدوا إلى كنيسة أو بيعة فيها الشرك والإفك العظيم ، والحمد لله إذ جعل عيدنا بمناسبة انتهائنا من عبادة قد أمرنا بها وهي صيام رمضان ، ولم يكن عيدنا حسب الأهواء والأغراض ولا المناسبات التاريخية كأعياد الميلاد والانتصارات ، والحمد لله إذ شرع لنا في عيدنا الفرح

والسرور بما أباحه لنا مما حرمه علينا بالأمس وأوجب علينا فطر هذا اليوم ؛ لأننا في ضيافة الله فعلينا أن نقبل ضيافته ، أحمده سبحانه أن جعل لنا من فضله دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين ، وأشكره فهو المستحق أن يحمد ويشكر﴿ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴾[1] وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي جعل لكل شيء وقتا وأجلا مقدرا.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيد البشر الشافع المشفع في المحشر الذي انشق له القمر وسلم عليه الحجر ، وهو الذي نصر بالرعب مسيرة شهر.

اللهم صلِّ وسلم على عبدك محمد الذي غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، ومع ذلك قام على قدمه الشريف حتى تفطر ، وعلى آله وصحبه الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهر ، فلو أنفق أحدنا مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه فرضي الله تعالى عنهم وأرضاهم ، تلقوا سنة نبيهم فبلغوها كما سمعوها.

الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله ، والله أكبر الله أكبر ، ولله الحمد ... أما بعد :

يا أيها الناس : اتقوا الله تعالى يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم ذنوبكم والله ذو الفضل العظيم ، اتقوا الله يجعل لكم من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ، ويجعل لكم من أمركم يسرا ، وآمنوا بالله ورسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم ، وآمنوا بما آمنت به الرسل فذلكم والله الهدى﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ

---

(١) سورة النمل ، الآية [٤٠].

﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾[(١)]، ومن أعرض عن الإيمان بما آمنت به الرسل كان حظه الشقاق والنفاق ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[(٢)]، ومقتضى الإيمان: عبادة الله وحده لا شريك له، فلا يرغب إلا إليه، ولا يرجى ولا يخاف ولا يخشى إلا إياه، ولا يستغاث ولا يستعان ولا يستعاذ إلا به، ولا يذبح ولا ينذر إلا له، ولا يطاف إلا بكعبته ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾[(٣)]، وعليكم بالإخلاص في عبادته؛ فحياة المسلم ومماته ولحمه ودمه وعروقه لله رب العالمين، ﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ﴾[(٤)]، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[(٥)].

واحذروا أن تشركوا بالله شيئا؛ فإنه أكبر الآثام وإن الجنة على صاحبه حرام؛ قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[(٦)]، واعلموا أن من عصى الله تعالى ورسوله ﷺ

---

(١) سورة الأنعام، الآية [٩٠].

(٢) سورة البقرة، الآية [١٣٧].

(٣) سورة البقرة، الآية [١٣٨].

(٤) سورة البقرة، الآية [١٣٩].

(٥) سورة الأنعام، الآية [١٦٢-١٦٣].

(٦) سورة المائدة، الآية [٧٢].

فسيسأل سؤال توبيخ وإنكار فليعد للسؤال جوابا ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝ وَأَنِ ٱعْبُدُونِي هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾(١).

الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر الله أكبر، ولله الحمد.

واعلموا أن يومكم هذا يسمى يوم الجوائز فيرجع فيه من المصلى كل بما قسم له، فالمحسنون يجدون في صحائفهم العز والكرامة، والمذنبون يجدون فيها الخيبة والندامة؛ عن ابن عباس رضي الله عنهما: **(إذا كان يوم عيد الفطر هبطت الملائكة إلى الأرض في كل بلد فيقفون على أفواه السكك ينادون يا أمة محمد–بصوت يسمعه جميع من خلق الله إلا الجن والإنس– اخرجوا إلى رب كريم يعطي الجزيل ويغفر الذنب العظيم، فإذا برزوا إلى مصلاهم، قال الله عز وجل: ياملائكتي ما جزاء الأجير إذا قضى عمله؟ فيقولون: إلهنا وسيدنا، أن توفيه أجره، فيقول: أشهدكم أني قد جعلت ثوابهم من صيامهم وقيامهم رضائي ومغفرتي، فيقول: سلوني فوعزتي وجلالي لا تسألون اليوم شيئا في جمعكم هذا في آخرتكم إلا أعطيتكموه، ولا لدنياكم إلا نظرت لكم فانصرفوا مغفورا لكم قد أرضيتموني ورضيت عنكم)**.

عباد الله: الصلاة. الصلاة؛ فإنها عماد الإسلام، وناهية عن الأوزار والآثام، وصلة بالملك العلام: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾(٢)، وفي الحديث: **(العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر)**. وهي أول ما يحاسب عنه العبد يوم القيامة فمن حفظها فقد حفظ دينه ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع.

---

(١) سورة يس، الآية [٦٠–٦١].

(٢) سورة العنكبوت، الآية [٤٥].

وادفعوا زكاة أموالكم متى حال عليها الحول فيما يشترط له تمام الحول سواء وافق رمضان أو غيره، أدوها طيبة بها نفوسكم فقد أعطاكم الكثير وأرضى وطلب منكم اليسير قرضا، وأتبعوا صيامكم بالإحسان، وصمموا العزم على صيام رمضان إذا حييتم وأدركتموه ولم تخترمكم يد المنون، فكم اخترمت ممن صام معكم في العام الماضي ولم يدرك هذا العام، وحجوا بيت الله الحرام مرة واحدة فرضا، وما زاد كان تطوعا، وعليكم ببر الوالدين، وصلة الأرحام، والإحسان إلى الفقراء والأيتام، ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا﴾(١).

وعليكم بالصبر على المصائب واحتسبوا ما أعده الله للصابرين، والصبر عند الصدمة الأولى سواء كانت في النفس أو المال أوعامة أو خاصة ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾(٢) وأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر عن علم وحلم ورفق وصبر؛ فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من واجبات الإسلام، ومن لم يكن عنده علم فيما يأمر به أو فيما ينهى عنه؛ فإنه لا يأمر ولا ينهى؛ مخافة أن يفسد أكثر من أن يصلح.

الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر الله أكبر، ولله الحمد.

* * *

---

(١) سورة النساء، الآية [٣٦].

(٢) سورة البقرة، الآية [١٥٥-١٥٦].

الخطبة الثامنة والثلاثون:

الخطبة الثانية لعيد الفطر

الحمد لله معيد الجمع والأعياد، ومبيد الأمم والأجناد، وجامع الناس ليوم لا ريب فيه، إن الله لا يخلف الميعاد، أحمده سبحانه الذي لا عاصم ولا ولي من دونه يوم التناد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا ند ولا مضاد، ولا مفر منه إلا إليه يوم القضاء بين العباد، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المفضل على جميع الخلق من جن وإنس وجماد، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن لسنته نصر وأشاد، وسلم تسليما ليس له تعداد.

الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر الله أكبر، ولله الحمد.

أما بعد: يا أيها الناس اتقوا الله تعالى واعلموا أن السعادة ليست بإدراك العيد ولبس الجديد والأناقة في المراكب والخدم والقصر المشيد، وإنما السعيد والسعادة لمن قبل الله تعالى صيامه وقيامه، وخرج رمضان وهو متق ربه فيما يبدي ويعيد، وعنده العزم والتصميم الأكيد، على ألاَّ يعصي رب العبيد، لعله ينجو من نار حرها شديد، وقعرها بعيد، وطعام أهلها الزقوم وشرابهم الصديد، ولباسهم القطران والحديد، ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾[1]، فالناجي منها من وفق لسلوك الصراط المستقيم والقول السديد، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ۝٢٣ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ﴾[2].

---

(١) سورة الحج، الآية [٢٢].

(٢) سورة الحج ، الآية [٢٣-٢٤].

الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر الله أكبر، ولله الحمد.

عباد الله المسلمين: على كل فرد منا أن يحسن معاملة كل من له حق عليه من الخلق، فالولد يسمع ويطيع لوالديه، والزوجة تسمع وتطيع لزوجها، والخادم يسمع ويطيع لمستخدمه، والموظف يسمع ويطيع لمديره، والطالب يسمع ويطيع لمدرسه، وكل فرد من الرعية يسمع ويطيع لولي الأمر العام، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾[1]، وفي الحديث الشريف يقول الصحابي رضي الله عنه: **(وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون، فقلنا: يارسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا. قال: أوصيكم بتقوى الله عز وجل والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد).** فالسمع والطاعة لولاة أمور المسلمين فيها سعادة الدنيا، وبها تنتظم مصالح العباد في معاشهم، وبها يستعينون على إظهار دينهم وطاعة ربهم، والطاعة المطلوبة لمن لزمت له الطاعة في حدود طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ فيما به صلاح الدين والدنيا، ففي الحديث الشريف: **(لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق).**

الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر الله أكبر، ولله الحمد.

أيها المسلمون: أوفوا المكاييل والموازين؛ فإن بخسهما يوجب شدة المؤونة وجور السلطان؛ قال تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ إِذَا كِلۡتُمۡ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلٗا﴾[2] فإن بخس المكيال والميزان هو هضم لحقوق الخلق، وفساد في الأرض، ﴿وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ

---

(١) سورة النساء، الآية [٥٩].

(٢) سورة الإسراء، الآية [٣٥].

أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾(١) واحذروا ما توعد الله تعالى به المطففين من الويل والثبور، قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾(٢).

الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر الله أكبر، ولله الحمد.

أيها المسلمون: إياكم وقتل النفس المعصومة بالإسلام أو بالأمان؛ فإنه من أعظم الإجرام؛ قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾(٣)، وفي الحديث: **(لزوال الدنيا بأسرها أهون على الله من قتل رجل مسلم)**. وفي الحديث الآخر: **(من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة)**.

الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر الله أكبر، ولله الحمد.

وإياكم والربا؛ فإن ربحه خسارة وعاقبته عار ونار ومحق للبركة؛ قال تعالى: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾(٤)، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾(٥)، وفي الحديث: **(لعن الله آكل الربا، وموكله، وكاتبه، وشاهديه)**.

---

(١) سورة هود، الآية [٨٥].

(٢) سورة المطففين، الآية [١-٣].

(٣) سورة النساء، الآية [٩٣].

(٤) سورة البقرة، الآية [٢٧٦].

(٥) سورة البقرة، الآية [٢٧٨-٢٧٩].

وإياكم وقذف المحصنات الغافلات؛ فإنه من السبع الموبقات؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾(١).

واحذروا الإسبال في الثياب والخيلاء؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا ٣٧ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكۡرُوهٗا﴾(٢)، ومن وصايا لقمان لابنه: ﴿وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ﴾(٣).

أيها المسلمون: إياكم وشرب المسكرات والمخدرات؛ فإن من مات مدمناً على شربها كان حقا على الله تعالى أن يسقيه من طينة الخبال: عصارة أهل النار، وفي الحديث: **(ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن خمر، وقاطع رحم، ومصدق بالسحر)**. وهي أم الخبائث جامعة لكل بلاء، مفسدة لأمر الدين والدنيا، مرضية للشيطان، مغضبة لرب الورى العلي الأعلى؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ﴾(٤).

وقد لعن في الخمر شاربها وكل من له يد في ترويجها وإيجادها كساقيها وبائعها.

---

(١) سورة النور، الآية [٢٣].

(٢) سورة الإسراء، الآية [٣٧-٣٨].

(٣) سورة لقمان، الآية [١٨].

(٤) سورة المائدة، الآية [٩٠].

واحذروا الظلم باليد واللسان سواء علم المظلوم أو لم يعلم؛ ففي الحديث: **(من اقتطع مال امريء مسلم بيمينه لقي الله وهو عليه غضبان)**، قالوا: وإن كان شيئاً يسيرا؟ قال: **(وإن كان قضيبا من أراك)**.

وإذا تداينتم بدين فليحسن المطلوب القضاء والطالب الاقتضاء؛ ففي الحديث: **(رحم الله رجلاً سمحا إذا باع، وإذا اشترى، وإذا اقتضى)**.

الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر الله أكبر، ولله الحمد.

أيها المسلمون: مما ينبغي في الأعياد تبادل الزيارات بين الأقارب، ومن له عليك حق في المجتمع، وسؤال الله تعالى له بقبول صيامه وقيامه لإيجاد المودة والألفة.

في الحديث الشريف: **(ألا أخبركم بما إذا فعلتموه تحاببتم وإذا تحاببتم دخلتم الجنة أفشوا السلام بينكم)**.

الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر الله أكبر، ولله الحمد.

واعلموا أن أحسن الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة، وعليكم بالجماعة؛ فإن يد الله على الجماعة، وصلوا وسلموا على نبيكم كما أمركم الله تعالى في محكم كتابه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾[1]، اللهم صلِّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وارض اللهم عن جميع الصحابة، ومن تبعهم واقتفى أثرهم إلى أن تقوم الساعة، وعنا معهم بمنك ورحمتك وجودك وفضلك يا أرحم الراحمين،

---

(١) سورة الأحزاب، الآية [٥٦].

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، واحم حوزة الدين، واجعلنا اللهم من أنصاره، ومن زمرة عبادك الموحدين، وأعذنا اللهم من البدع والمبتدعين، وأذل اللهم الشرك والمشركين، وكل من عنده عداء لهذا الدين، اللهم وفق ولاة أمورنا لما فيه صلاح الدين والدنيا، واجعلنا اللهم من المتعاونين معهم على البر والتقوى، وأعذهم اللهم من مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأيدهم اللهم بالإسلام وأيد الإسلام بهم، ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا، ربنا إنك رؤوف رحيم، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم، واعف عنا إنك عفو كريم، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على خير خلقه أجمعين.

رزقنا الله بركة هذا العيد وأعاده علينا وجميع المسلمين بسعادة الدنيا والدين، وجعلنا سببا لوحدة كلمة المسلمين.

❊ ❊ ❊

الخطبة التاسعة والثلاثون:

صيام ست من شوال

الحمد لله الذي نجاتنا في طاعته، أحمده وأسأله التوفيق والسداد، وأشهد أن لا إله إلا الله، أعد للطائعين من عباده في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المثل الأعلى في عبادته وخشيته من الله؛ طمعاً في رضاه وخوفا من عذابه، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه العابدين التائبين الطائعين رضوان الله عليهم أجمعين.

أما بعد:

أيها المسلمون، اتقوا الله ربكم، واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا، وداوموا على طاعة ربكم، ولا يظنن ظان أن عبادة الله في رمضان تغنيه عن العبادة باقي العام، بل عبادة الله مستمرة على الدوام، عن أبي أيوب الأنصاري ﵁ عن رسول الله ﷺ قال: **(من صام رمضان، ثم أتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر)**.

أيها المسلمون إن الله تعالى لا يرضى من العبادات إلا ما شرعه على لسان نبيه، فما أوجبه شرعه أو كان مستحسناً فمقبول ومثاب عليه صاحبه، وما كان محرماً أو مكروهاً فإنه مردود على صاحبه، وفعل المحرم والاستدامة على المكروهات توجب الذلة وخسران الأعمال، فمن الواجبات في أصل الشرع: صيام نهار رمضان، فطالما صفا للمسلمين في أوقاته من لذة المناجاة لربهم، وكثير من الطاعات وحسن الإقبال، فليحذر المسلم أن يبطل ما سلف من الأعمال الصالحة في رمضان، وأن يكدر ما صفا له من الأوقات في شهر رمضان، وما صفا له من

لذة المناجاة لربه، فكما أن الحسنات يذهبن السيئات، فإن السيئات يبطلن صالح الأعمال، ألا وإن علامة قبول الحسنة عمل الحسنة بعدها، وعلامة ردها أن تتبع بسيئة، وقد قيل: ذنب بعد توبة أقبح من سبعين قبلها، فليتق الله الذي فعل الطاعات في رمضان من أداء صلاة وحضور جمعة وجماعات أن يترك هذا بعد رمضان، وليحذر من ترك المعاصي في رمضان أن يعود إليها بعد رمضان.

قيل لبعض السلف: إن قوماً يتعبدون في رمضان ويجتهدون فإذا انسلخ رمضان تركوا؟!، قال: فبئس القوم لا يعرفون الله إلا في رمضان. فالجدير بالمؤمن أن يداوم على طاعة الله سبحانه وتعالى، فإذا ما قابل ربه بعد موته الذي قد يأتيه بغتة؛ يقابله ويلقاه على طهر وإيمان، ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾[1]. فالحديث الأول أيها المسلمون، دليل على أن معاودة الصيام تدل على فعل الخير وقوة الإيمان، وعمل المستحبات تتمم ما نقص من الفرائض، وفيه دليل على فضل صيام ست من شوال، سواء متتابعات وهو الأفضل ابتداء من ثاني شوال، أو متفرقات، وقول الرسول ﷺ: **(فكأنما صام الدهر كله)**. يعني: السنة؛ لأن الحسنة بعشر أمثالها، فرمضان مع ستة أيام من شوال تعدل ثلاثمائة وستين يوما، ومما يستحب صيامه ثلاثة أيام من كل شهر، والأفضل أن يجعلها أيام ليالي البيض؛ لما روى أبوذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **(إذا صمت في هذا الشهر ثلاثة أيام فصم ثلاثة عشر وأربعة عشر وخمسة عشر)**، وسميت بيضاً؛ لبياض لياليها بالقمر، وصوم الاثنين والخميس؛ لقوله ﷺ: **(هما يومان تعرض فيهما الأعمال على رب العالمين، وأحب أن**

---

(١) سورة الحجر، الآية [٩٩].

يعرض عملي وأنا صائم). ومما يستحب: صوم شهر الله المحرم، وآكده التاسع والعاشر منه؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: **(لأن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع والعاشر)**. واحتج به أحمد، وقال: إن أشكل أول الشهر صام ثلاثة أيام؛ ليتيقن صومه، ويستحب صوم تسعة أيام أول ذي الحجة؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: **(ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله من هذه الأيام العشر)**. قالوا: يارسول الله، ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: **(ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجلٌ خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء)**. وآكده يوم عرفة لغير حاج بها، وهو كفارة سنتين؛ لحديث: **(صيام يوم عرفة أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله، والسنة التي بعده)**. وقال في صيام يوم عاشوراء: **(احتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله)**.

ويلي يوم عرفة في الآكدية يوم التروية، وهو الثامن، وأفضل صيام التطوع المطلق هو: صيام يوم وإفطار يوم؛ لأمره عليه الصلاة والسلام عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما، وقال: هو أفضل الصيام، وشرطه ألاَّ يضعف البدن حتى يعجز عما هو أفضل من الصيام والقيام بحقوق الله تعالى، وحقوق عباده، وإلا فتركه أفضل، وكما أن هناك صيام واجب ومستحب، فهناك صيام مكروه كصيام رجب كاملاً؛ لمشابهة الجاهلية بتعظيمه، ولئلا يشابه رمضان فهو الشهر الذي يصام كاملاً، ومما يكره إفراد يوم الجمعة وإفراد يوم السبت، أما إن جمع فصام الخميس والجمعة أو السبت والأحد زالت الكراهية، أما إفراد السبت؛ فلأنه يشبه اليهود في تعظيمه بمفرده، وأما الجمعة؛ فلأنها عيد الأسبوع، كما أن عيد

الفطر وعيد الأضحى عيدا السنة، والعيد فيه الفرح وإظهار السرور وإعلان شكر الله تعالى على نعمه وطلب المزيد منه.

والأولى في هذا اليوم أن يكون الإنسان متفرغا؛ ليقوى على أداء صلاة الجمعة وتبادل الصلات والزيارات وتناول الطيبات المباحات في يوم عيد الأسبوع؛ لمشابهته بعيدي السنة، وأما ما يحرم من الصيام فهو يوم العيدين؛ لنهي الرسول ﷺ، فلا يصح صيام العيدين لا عن قضاء، ولا عن نذر، ولا عن تطوع، ومن صام يوم العيد عن القضاء لم يجزئه؛ وذلك أن العيدين: عيد الفطر وعيد الأضحى هما العيدان الإسلاميان اللذان جعلهما الشارع الحكيم يوم فرح وسرور وبهجة، يأتي فيهما المسلمون أنواع المتع الحلال والمباحة من الأكل والشرب واللباس والزينة وغيرهما، وقد حرم صومهما؛ لأن الفطر تحليل الصيام كالسلام للصلاة، ولأن الأضحى يوم الأكل من الضحايا والهدايا التي أمر الله تعالى بالأكل منها، فالخلق في هذين اليومين ضيوف الله عز وجل، فليقبلوا ضيافته وليفطروا فيهما، ولأن عيد الفطر هو اليوم الذي انتهى بدخوله شهر رمضان فيجب هنا التمييز؛ لنعرف الصوم الواجب من غيره، كما نهى الشارع عن صيام يوم الأضحى تمييزاً له عن غيره؛ ولأنه يوم النسك الذي أمرنا الله تعالى بالأكل فيه، فلنبادر إلى امتثال أمره تعالى من تناول الطيبات، فليس من الأدب الإعراض عن ضيافة رب كريم، كذلك مما حرم صومه أيام التشريق وهي الأيام التي تقع بعد عيد الأضحى؛ قال ﷺ: **(أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر لله عز وجل)**. إلا من كان عليه صيام بدل دم التمتع فله أن يصومها إذا لم يصمها قبل يوم العيد، لقوله تعالى: ﴿ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ ﴾

فاتقوا الله أيها المسلمون، والتزموا بما أمركم به ربكم ونبيكم تفوزوا وتسعدوا ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴾[١].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴾[٢].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

---

(١) سورة النساء، الآية [٨٠].

(٢) سورة الذاريات، الآية [٥٦-٥٨].

الخطبة الأربعون:

الحج وفضله

الحمد لله الذي فرض الحج على من استطاع إليه سبيلا، سبحانه ما جعل عليكم في الدين من حرج، وأشهد أن لا إله إلا الله القائل: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران: ٩٦-٩٧]، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أفضل من حج واعتمر وأدى المناسك كما أمره ربه، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه الذين فقهوا دين ربهم، وعلموا ما في الحج من منافع وفوائد فأدوا الفريضة؛ امتثالاً لأمر ربهم، ومتابعة لسنة نبيهم، واستفادوا الكثير من توجيهات نبيهم، وكانوا بحق في موسم حجهم ضيوفا للرحمن إليه يهرعون ومن جوده يسألون، ولعفوه ورحمته يطلبون رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه.

أما بعد:

فيا عباد الله، اتقوا الله تعالى، واعلموا أن عبادة الله سبحانه وتعالى هي غاية الصفات والحلل التي يتحلى بها المرء في الدنيا والآخرة، فهي له أفضل لباس في حياته وخير جُنَّةٍ من كل ما يخافه بعد مماته، فالإنسان بأمس الحاجة إلى تكفير الذنوب والآثام، وما دام الأمر كذلك فالجدير به المسارعة إلى تقوى الله تعالى بفعل ما أمره به، واجتناب ما نهاه عنه؛ طاعة وانقياداً، وامتثالا وعقيدة وديانة، فحقيقة العبادة وغايتها محبة الله تعالى والذل والخضوع والاستسلام له، وسائر الأعمال مبني قبولها والثواب عليها على هذه الحقيقة، وأن تكون هذه

الأعمال موافقة لما جاء به رسول الله ﷺ، فإن كانت الأعمال فاقدة صحبة الإخلاص والذل والخضوع، أو مخالفة لأمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ، فهي مردودة على صاحبها؛ قال رسول الله ﷺ: **(من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)**.

أخي المسلم: بعد أن علمنا أن دوران التقوى على العقيدة والنطق والعمل، فالعمل إما أن يكون متعلقاً بالبدن أو المال أو بهما، فمن الأعمال المتعلقة بهما حج البيت الحرام، وزيارة هذه الأماكن المقدسة بعد رسوخ الإيمان بذلك في أعماق القلوب وتغلغله في مسام العروق وجريانه في البدن كجريان الدم، أما إن حج البدن والمال مع تخلف القلب والروح، فالسفر وبذل المال حصل وتخلف الأجر والثواب بتخلف القلب والروح، فالحج ركن من أركان الإسلام، ومبانيه العظام؛ ففي الحديث عن رسول الله ﷺ: **(بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا)**. متفق عليه.

فمن جحد وجوبه، أو استهزأ به، أو سخر بمن يحج، فهو كافر بالله العظيم؛ قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(١).

أيها المسلمون، إن أمة محمد ﷺ هي خير الأمم؛ لذا اختار الله تعالى لها أفضل الرسل، وأنزل عليها أفضل الكتب، واختار لها أفضل أيام الأسبوع عيداً، وهو يوم الجمعة الذي ضلت عنه اليهود والنصارى، واختار لها من

---

(١) سورة البقرة، الآية [٩٧].

الأمكنة أفضلها، وصرفهم بالصلاة إليها؛ ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾[1].

وخص الله عز وجل هذه البقعة المفضلة بعبادة لا تصلح بغيرها، وهي الطواف بالكعبة والسعي بين الصفا والمروة، والوقوف بعرفة والمبيت بمزدلفة ومنى ورمي الجمرات، وهذه الأعمال مظهرٌ للإيمان بالله تعالى وتوحيده، إذا صدرت عن امتثال وانقياد ومتابعة لأمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ؛ ابتغاء وجه الله تعالى ورجاء ما عنده نفعت صاحبها، قال عمر رضي الله عنه: حينما قبل الحجر الأسود: (والله إني لأعلم أنك حجر لا تنفع ولا تضر، ولو لا أني رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك). وكما أن هذه الأعمال مظهر للتوحيد ونفي الشرك، فهي إجابة لمنادي الله تعالى وهو الخليل عليه الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ۝ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾[2].

ذكر أن الله تعالى قال لإبراهيم ﷺ: **(أذن في الحج)، فقال: يارب، ومن يبلغ صوتي؟ قال: (أذن وعليَّ البلاغ)** فأذن على جبل أبي قبيس، فأجابه من في أصلاب الرجال وأرحام النساء: لبيك اللهم لبيك.

أيها المسلم: إن الحج والعمرة نوعان من أنواع الجهاد، إلا أنه لا قتال فيه؛ كما قال رسول الله ﷺ لعائشة رضي الله عنها لما سألته: هل على النساء جهاد؟

---

(١) سورة البقرة، الآية [١٤٤].

(٢) سورة الحج، الآية [٢٦-٢٧].

قال: **(عليهن جهاد لا قتال فيه: الحج والعمرة)**. والحج واجب مرة في العمر، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: **(يا أيها الناس، قد فرض الله عليكم الحج فحجوا)**، فقال رجل: أكل عام يارسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً، فقال ﷺ: **(لو قلت: نعم لوجبت، ولما استطعتم)**.

نعم أيها المسلمون، الحج مرة، لكن رتب الله تعالى له من الأجر والخير الكثير ما الله تعالى به عليم، وما من أحد إلا وهو بحاجة إلى هذا الأجر، مفتقر إلى جنة الخلد، مترقب لرضا الرب، ومما يحقق ذلك الحج المبرور؛ قال ﷺ: **(الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة)**.

وقد جعل فضله في المرتبة الثالثة من فضائل الأعمال؛ ففي الحديث عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سُئل رسول الله: أي الأعمال أفضل؟ قال: **(إيمان بالله ورسوله)**، قيل: ثم ماذا؟ قال: **(الجهاد في سبيل الله)**، قيل: ثم ماذا؟ قال: **(ثم حج مبرور)**. متفق عليه. وحينئذ يراجع المسلم حجه وما بناه عليه من الأسباب التي تجعله مقبولا، وليصححه من الشوائب والمعوقات حتى يجعله مبرورا. فهل حج بمال حلال ومركب حلال؟! **(فرب أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب! يا رب!، ومطعمه حرام وملبسه حرام ومشربه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب له)**. وهل عمل أعمال الحج من إحرام ووقوف وطواف وسعي وغيرها وفق ما جاء به الرسول ﷺ وسلم من ارتكاب الآثام كأذى الناس وسبهم وشتمهم، وألاَّ يرتكب محظوراً في إحرامه، فحينئذ يصبح حجه مبروراً، ويرجع منه موفور الأجر والثواب، متجرداً من الذنوب والآثام، كتجرد المولود يوم ولدته أمه طاهراً قلبه نقيا، قال ﷺ: **(من حج ولم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه)**.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۖ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾[1].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

(١) سورة الحج، الآية [٢٧-٢٩].

الخطبة الحادي والأربعون:

النفقة في الحــج

الحمد لله الذي لا يقبل من الأعمال إلا ما كان طيباً، إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا، وأشهد أن لا إله إلا الله، أمرنا بالحلال، وحذرنا من الحرام، وتوعد صاحبه بالنار وسعيرها ومحق البركة منه ومن ماله وعياله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله القائل: **(كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به)**. صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الذين نزهوا أنفسهم عن الحرام، وبطونهم عن الحرام، وبارك في أهليهم وأولادهم ونمى أموالهم، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم المفلحون.

أما بعد:

أيها المسلمون: اتقوا الله تعالى، واعلموا أن حياة الإنسان في هذه الدنيا مبنية على مقومات لأوَدِها، ومقومات للأجسام النامية وحركاتها، وحيث كان الهدف من إيجاد الإنسان في هذه الدنيا لأسمى الغايات، وهو سلوك أشرف الطرقات؛ ليعيش عبداً لربه وحده، ذليلاً له منقاداً مستسلماً، أمر بأن يصحح ما يغذي به جسمه، وينشيء به عظمه، ويحيا به بدنه؛ لينبت نباتاً حسناً، فتحسن عبادته لله تعالى، وتصلح أعماله؛ فينال بذلك المقصود، وهو الثواب على هذه الأعمال، غير أن مقومات الحياة فيها حلال وحرام، وطيب وخبيث، فالإنسان مطلوب منه أن يطيب مطعمه ومشربه وملبسه وأن يحلل مأكله، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَـٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ

ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ﴾[(١)] فما حرم فلنجاسته أو لضرره على البدن، وكلا الأمرين لا يرتضيهما الإسلام لبدن المسلم الطاهر الذي يضم روحه الطيبة.

علق الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ على هذه الآية، قائلا: «لما بين تعالى أنه لا إله إلا هو، وأنه المستقل بالخلق، شرع يبين أنه الرزاق لجميع خلقه، فذكر في مقام الامتنان أنه أباح لهم أن يأكلوا مما في الأرض في حال كونه حلالاً من الله طيبا، أي: مستطاباً في نفسه غير ضار للأبدان ولا للعقول». فمن استباح المحرم أو حرم الحلال كان فيه شبه كبير بالجاهلية من الاستخفاف بأمر الله تعالى؛ اتباعاً للشيطان؛ لذا قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ﴾[(٢)].

وقال الحافظ ابن كثير: «ونهاهم عن اتباع خطوات الشيطان وهي: طرائقه، ومسالكه فيما أضل أتباعه فيه من تحريم البحائر والسوائب والوصائل ونحوها، مما كان زينة لهم في جاهليتهم، كما في حديث عياض بن حمار رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الذي في صحيح مسلم عن رسول الله ﷺ أنه قال: **(يقول الله تعالى: إن كل مال منحته عبادي فهو لهم حلال–وفيه– وإني خلقت عبادي حنفاء، فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم)**. فطيب المأكل وحله، والمشرب والملبس يترتب عليه قبول الأعمال والدعوات وتمام العبادات، وهذا ما ينشده المؤمن بربه تعالى ورسوله ﷺ؛ ففي الحديث: أن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: يارسول الله، أدع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة. فقال: **(يا سعد أطب مطعمك، تكن مستجاب الدعوة، والذي نفس محمد بيده إن الرجل ليقذف اللقمة الحرام في جوفه ما يقبل منه أربعين يوما،**

---

(١) سورة البقرة، الآية [١٦٨].

(٢) سورة البقرة، الآية [١٦٨].

وأيما عبد نبت لحمه من السحت والربا فالنار أولى به). وكفاك أن اختلف العلماء في صحة حج آكل الحرام وصلاته، هل يسقط عنه الفرض أم لا، والكل متفقون أنه آثم، وأن ذلك منقص من ثوابه؛ فلقد جاء في الحديث: **(إذا خرج الحاج بنفقة طيبة، ووضع رجله في الغرز** - أي: ركب على دابته - **وقال: لبيك اللهم لبيك، ناداه منادٍ من السماء: لبيك وسعديك زادك حلال وراحلتك حلال، وحجك مبرور غير مأزور، وإذا خرج بالنفقة الخبيثة فوضع رجله في الغرز؛ فنادى: لبيك، ناداه منادٍ من السماء: لا لبيك، ولا سعديك، زادك حرام ونفقتك حرام وحجك مأزور غير مبرور)**[1].

عباد الله: إن الواجب على المسلم أن يحرص على أسباب قبول الدعاء وليحذر من الموانع، فقد ورد في الحديث الشريف: أن من أسباب قبول الدعاء (الشعث والغبرة)، ومد اليدين إلى السماء والإلحاح للرب حال سفر الإنسان؛ لأن السفر سبب لقبول الدعاء واستجابته، لكن الحذر كل الحذر من موانع قبوله والإثابة عليه؛ كالدعاء بالإثم من قطيعة رحم وغيرها، أو استعمال المحرمات ملبساً ومأكلاً؛ ففي الحديث: **(إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين،** فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا﴾، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ **ثم ذكر الرجل يطيل السفر، أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء: يارب! يارب!، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب له؟!)**.

---

(١) الترغيب والترهيب للحافظ المنذري، برقم (١٦٤٩).

فكن حارساً على بطنك، وحافظاً لفرجك، وممسكاً للسانك، وغاضاً لبصرك، ومصماً لأذنيك عما نهيت عنه، تكن ممن ضمنت لهم الجنة؛ ففي الحديث: **(من حفظ البطن وما وعى، والرأس وما حوى فله الجنة)**. وفي الآخر: **(من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة)**. وقد وردت آثار في فضل نفقة الحج، فاحرص أخي الحاج على طيب نفقتك وحلها، تربح من حجك ويطيب عملك عند ربك؛ فعن بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(النفقة في الحج كالنفقة في سبيل الله بسبع مائة ضعف)**. وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها في عمرتها: **(إن لك من الأجر قدر نصبك ونفقتك)**. خرجه الدارقطني. وعنها أيضاً قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(إذا خرج الحاج من بيته كان في حرز الله، فإن مات قبل أن يقضي نسكه وقع أجره على الله، وإن بقي حتى يقضي نسكه غفر الله ما تقدم وما تأخر من ذنبه، وإنفاق الدرهم الواحد في ذلك يعدل أربعين ألف درهم فيما سواه)**. قال أبوعبدالله الباجي الزاهد رحمه الله: خمس خصال بها تمام العمل: الإيمان بمعرفة الله عز وجل ومعرفة الحق، وإخلاص العمل لله، والعمل على السنة، وأكل الحلال، فإن فقدت واحدة لم يرتفع العمل، وذلك إذا عرفت الله عز وجل ولم تعرف الحق لم تنتفع، وإذا عرفت الحق ولم تعرف الله لم تنتفع، وإن عرفت الله وعرفت الحق وأخلصت العمل، ولم يكن على السنة لم تنتفع، وإن تمت الأربع ولم يكن الأكل حلالا لم تنتفع.

فاتقوا الله أيها المسلمون، وطهروا أنفسكم من الحرام، واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَـٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[1].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

(١) سورة البقرة، الآية [١٦٨-١٦٩].

الخطبة الثاني والأربعون:

شهر الله المحرم

الحمد لله الذي جعل في بداية الأعوام وانتهائها عبرة وعظة، وما يتذكر إلا أولوا الألباب، نحمده سبحانه حمداً كثيراً ونسأله أن يجعل خير أعمالنا خواتيمها وخير أيامنا يوم لقائه، وأشهد أن لا إله إلا الله هو الأول والآخر وهو الظاهر والباطن، وهو بكل شيء عليم، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، نبي الرحمة وهادي الأمة، خير من صام وقام وعبدالله تعالى، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الذين نهجوا نهجه، واقتفوا أثره وتمسكوا بسنته ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾[1].

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى الذي يعلم السر وأخفى، فما عملتم فستجدونه مكتوباً ومحصى في كل ما سيأتي من الزمان وما مضى، واعلموا أنكم استقبلتم عاماً جديداً أوله شهر الله المحرم، أرجو أن يكون هذا العام عاماً حميداً أضاف نبينا هذا الشهر إلى الله وأعظمه فقال: **(أفضل الصوم بعد شهر رمضان شهر الله الذي تدعونه المحرم)**. وفي الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: (أن النبي ﷺ لما قدم المدينة رأى اليهود يصومون اليوم العاشر، ويقولون: هذا يوم عظيم نجى الله تعالى فيه موسى وقومه، وأغرق فرعون وقومه فصامه موسى شكراً لله تعالى، فنحن نصومه، فقال ﷺ: **(نحن أحق بموسى منكم)**، فصامه وأمر بصيامه، وفي رواية أنه قال: **(لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع والعاشر)**. وفي لفظ: **(صوموا يوماً قبله أو يوماً بعده، وخالفوا اليهود)**.

---

(١) سورة الزمر، الآية [١٨].

عباد الله : كل ما جاء في القرآن من قصص الأنبياء مع قومهم ، وما جرى من قومهم معهم ما هو إلا للعبرة والاعتبار ، للأخذ بسبيل من آمن وحصل له الانتصار ، واجتناب طريق من تكبر وطغى ، وكان حقه الهلاك والدمار وهذه سنة الله فيمن عصى وفسق ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾(١) وهذه الشهور تأتي وتمضي ، والأعمار تنقضي على مر الدهور والعصور ، فأين من اعتبر بما قص الله تعالى علينا من آدم أبي البشر إلى خاتم الأنبياء سيد البشر ! فهلا سمعنا قصة من قصص الأنبياء وصبرهم ومثابرتهم.

لنعلم أن الإيمان قول وعمل ؛ وأن الفوز مع الصبر والمثابرة ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن النصر مع الصبر وأن مع العسر يسراً ، فهذا فرعون مع موسى منذ صغره يحاول قتله والله تعالى ينجيه ، ويحاول ذله والله تعالى ينصره ، ويحاول خذلانه والله تعالى يعزه حتى أوحى الله تعالى إليه بأن يذهب إلى فرعون الذي طغى ويدعوه إلى أن يتزكى فيذل لربه ويخشى ، وما زال موسى معه حتى آراه الله الآية الكبرى وهو مصر على أن يكذب ويعصي ، فأبى واستكبر على دعوة موسى وطغى ، وإيمان موسى وقومه يزداد ويقوى ، لذا حشر فرعون قومه ونادى ، وجعل نفسه الرب الأعلى ، وعزم على إيذاء موسى وقومه من قتل وصلب ؛ اعتزازا بقوته ، وفوقه قوة العلي الأعلى : ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾(٢) فكانت نقمة فرعون منهم ؛ لأنهم آمنوا بآيات الله ربهم وعبدوا خالقهم ، فما كان من فرعون إلا أن تبع

---

(١) سورة يوسف ، الآية [١١١].

(٢) سورة البروج ، الآية [٨-٩].

موسى بجنوده ، ولكن الله تعالى يأبى إلا أن يحقق وعده وينصر موسى ومن معه مهما دهم الخطر وفدح الأمر ، فهؤلاء قوم موسى يقولون : إنا لمدركون ، وموسى عليه السلام يجيبهم مطمئناً واثقاً من نصر الله عز وجل له : كلا إن معي ربي سيهدين إلى طريق نجاتكم ، وما به فوزكم وخذلان عدوكم ، فأمر الله تعالى موسى أن يضرب البحر بعصاه فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم ، ويأمر الله تعالى الريح على كل مكان في البحر فتجعله يابسا ؛ ليسهل ممشاه.

وفرعون وقومه يتخطى خطاه فأتبعهم فرعون بجنوده فلما تكامل أصحاب موسى خارج البحر ، وتكامل فرعون وجنوده فيه التطمت عليهم تلك الأمواج فما نجا منهم أحد ، وحينئذ قال فرعون مقالته الإيمانية حين لا تنفع تلك المقالة لما عاين الغرق ؛ حيث قال تعالى : ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾(١) .

وهذا اليوم الذي حقق الله فيه النصر للمؤمنين نتيجة ثباتهم وقوة إيمانهم بربهم وخالقهم ، وإعلانهم العداء لعدوهم ، وعدم مداهنته ومداراته ، وفي هذا اليوم خذلان عدو الله فرعون وقومه ؛ ثمرة طغيانهم وعصيانهم لمعبودهم وإلههم ، ومخالفتهم رسولهم الذي أرسل إليهم يبلغهم رسالات ربهم ويصرف قلوبهم إلى خالقهم بدل تعلقها بعدو الله وعدوهم ، هذا اليوم هو اليوم العاشر من هذا الشهر صامه موسى ؛ شكراً لله تعالى فكان اليهود يصومونه ؛ اقتداء بموسى عليه السلام فقال ﷺ : **(نحن أحق بموسى منكم)** ، فانظر يا أخي إلى مبادرة الأنبياء إلى

---

(١) سورة يونس ، الآية [٩٠-٩٢].

الأعمال الصالحة، ومبادرتهم إلى شكر الله تعالى، وفيه أن الشكر لا يكون باللسان فقط بل بالاعتقاد والعمل.

وانظر: أخي المسلم إلى قول الرسول ﷺ: **(صوموا يوماً قبله أو يوماً بعده)**.

كيف أمر الرسول ﷺ بمخالفتهم؟ لما تدل عليه من التباعد عن الكفار، ودياناتهم، وأخلاقهم، وعاداتهم، وهذا مقتضى العداء، فهم يفرحون حينما نوافقهم في أي عمل وأي قول، فقد كانوا يستعملون كلمة ﴿رَٰعِنَا﴾ بمعنى مذموم فاستعملها المسلمون ففرحوا بذلك، فأنكر الله تعالى على المسلمين ذلك بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا﴾[1].

وإن فعلوا شيئاً من أعمال الإسلام فلا نقول نترك هذا العمل لمخالفتهم؛ لأنهم هم الذين وافقونا، وليكن لنا برسول الله ﷺ الأسوة الحسنة، فصوموا من هذا الشهر اليوم العاشر، ويوماً قبله أو بعده، وتوبوا إلى الله تعالى جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ﴾[2].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم والمسلمين والمسلمات من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

---

(١) سورة البقرة، الآية [١٠٤].

(٢) سورة الشورى، الآية [١٣].

الخطبة الثالثة والأربعون:

شهر رجـب

الحمد لله المعبود في كل حال وفي كل مكان، أحمده سبحانه وأشكره على علمه الشامل، ولطفه الكامل، وشكره أفضل ما ينطق به اللسان، ويعتقده الجنان، وتعمل به الجوارح والأركان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الكريم المنان، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أفضل العارفين بربه، العابدين له، فهو المبلغ عنه، فلا يعبد الله إلا بما شرع، ولا إيمان إلا بطاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، اللهم صلِّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد سيد البشر، وعلى آله وأصحابه، وكل من اهتدى بهديه واقتفى له الأثر.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى، واعبدوه كما أمر فلا زيادة ولا نقصان فيما شرع، فإن ذلك مردود على صاحبه مهما اجتهد فيه؛ فإن الإيمان والثواب مرتب على المتابعة والطاعة، وإن الكفر والفسوق والعصيان والعقوبة مرتبة على المخالفة والمعصية؛ قال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾(١).

واعلموا أن الله تعالى فضل بعض الأزمان على بعض، وبعض الأمكنة على بعض، وهذا التفضيل؛ لمضاعفة الأجر لما شرع من العبادات، وليس لإيجاد

(١) سورة النساء، الآية [١٣-١٤].

بدعة من المحدثات، فمما فضله الله سبحانه وتعالى شهر رمضان الذي فرض صيام نهاره وسن قيام ليله، وضاعف الحسنات فيه، وفضل شهر الحج الذي فرض فيه زيارة بيته، والمشاعر المفضلة في تلك البقعة، ومما فضل الله تعالى من الأزمان شهر رجب، فهو من الأشهر الحرم، ولكنه لم يرد بتخصيصه شيء بعبادة معينة، فالعبادات فيه كسائر الشهور، فمن ذبح صدقة فيه كان كمن ذبحها في غيره، فلا يخصص بالذبائح؛ فإن ذلك من فعل الجاهلية الذي نسخه الإسلام، قال ﷺ: **(لا فرع ولا عتيرة)**، أي: في الإسلام، ولا صلاة معينة فيه من النوافل، وما أُوجد من صلاة الرغائب وهي التنفل في أول ليلة جمعة من رجب فإنه لم يثبت فيه شيء عن النبي ﷺ، وأما صيامه فقد نهى رسول الله ﷺ عن إفراده بالصوم؛ لئلا يشابه رمضان وألا يشابه تعظيم الجاهلية بإفراده بالصوم؛ لأنه مكروه إلا من كان له عادة كصيام الإثنين والخميس وثلاثة أيام من كل شهر فهو كغيره.

وفي الأثر أنهم قالوا: يا رسول الله، إنا كنا نَعْتِرُ فيه، أي: بشهر رجب، قال: **(اذبحوا لله تعالى في أي شهر كان، وبروا لله تعالى وأطعموا)**، فلا ذبائح معينة على وجه القربة لله عز وجل إلا العقيقة عن المولود التي يذبحها الوالد؛ شكراً لله عز وجل، أو أضحية وهي التي تذبح في اليوم العاشر من ذي الحجة وثلاثة أيام بعده، أو هدي: التمتع والقران في الحج، أو ذبيحة لنذر وهي ما يوجبه الإنسان على نفسه من ذبحها في أي وقت كان إلا أن يعين لها وقتاً. وأصل هذه أنه لا يشرع أن يتخذ المسلمون عيدا إلا ما جاءت الشريعة بجعله

عيداً والأعياد في الإسلام هي: عيد الفطر من رمضان وعيد الأضحى، وهي أعياد العام.

ويوم الجمعة وهو عيد الأسبوع، وماعدا ذلك، فاتخاذه عيداً أو موسماً بدعة لا أصل له في الشريعة، كما أن رجب لا يخص بعمرة فيه كما يخصه البعض بالاعتمار فيه، وإنما فضلت العمرة في شهر رمضان، وكذلك لم يرد نص، ولا أثر، ولا فعل من السلف يشير إلى احتفال بحادث الإسراء في هذا الشهر.

ومما ورد عن النبي ﷺ أنه إذا دخل شهر رجب قال: **(اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا رمضان)**. ففي الحديث دليل على استحباب الدعاء بالبقاء إلى الأزمان الفاضلة، لإدراك الأعمال الصالحة فيها، فإن المؤمن لا يزيده عمره إلا خيراً وخير الناس من طال عمره وحسن عمله، وكان السلف يحبون أن يموتوا عقب عمل صالح من صوم رمضان أو رجوع من حج.

فاتقوا الله تعالى أيها المسلمون، والتزموا بأوامر ربكم، وأكثروا من العبادة والدعاء لله تعالى؛ فهو يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[1].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

---

(١) سورة النحل، الآية [٩٧].

الخطبة الرابعة والأربعون:

من أحكام الجهاد

الحمد لله القائل: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[(١)]وأشهد أن لا إله إلا الله القائل: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾[(٢)]سبحانه نصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[(٣)]وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إمام المتقين والمجاهدين، بلغ الرسالة وأدى الأمانة وجاهد في الله حق جهاده فما داهن وما استكان، ﷺ وعلى آله وأصحابه الذين وصفوا بأنهم رهبان بالليل أسود على الأعداء بالنهار ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[(٤)].

أما بعد: أيها المسلمون اتقوا الله تعالى بامتثال أمره واجتناب نهيه، وهذه جملة أحكام في الجهاد اخترتها من الكتاب والسنة ومن كلام العلماء، وفق الله الأمة الإسلامية لرفع علم الجهاد الذي به حياتها وعزتها ورفعتها، وبعدمه يكون ذلها وموتها، ففي الحديث: **(إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم بأذناب البقر، ورضيتم بالزرع سلط الله عليكم ذلا لا يرفع عنكم حتى تراجعوا دينكم)**. فدل هذا الحديث على أن الأمة الإسلامية متى ركنت إلى الدعة، والسكون، وكان همها مأكلها ومشربها من غير مبالاة بعزة الإسلام فيما بينها أفرادا وجماعات،

---

(١) سورة الروم، الآية [٤٧].

(٢) سورة غافر، الآية [٥١].

(٣) سورة التوبة، الآية [٣٢].

(٤) سورة المجادلة، الآية [٢٢].

وغير مهتمة بإعلاء كلمة الله وانخفاض كلمة الكفر حصل عليها ما حصل من الذلة والهوان، وتسلط الأعداء على النفس والمال والأعراض والأديان والأوطان.. فمن أحكام الجهاد أيها المسلمون:

أولاً: أن الله تعالى شرعه لما يشتمل عليه من حفظ الضروريات الخمس التي جاء الإسلام بوجوب المحافظة عليها باتفاق الأمة الإسلامية، وهذه الضروريات هي: حفظ عقيدة المسلمين ونفوسهم وأعراضهم وعقولهم وأموالهم، فلزاما على المسلمين أن يحافظوا على هذه الضروريات في ضوء ما رسمته الشريعة الغراء والسنة المطهرة.

ثانياً: الجهاد في اللغة: بذل الطاقة والسعة .. مصدر: جاهدت جهادا، وفي الشرع: بذل الجهد في قتال الكفار.

ثالثاً: يكون الجهاد بالمال والنفس، قال تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[2]قال ابن القيم وغيره رحمهم الله: والصواب الذي لا ريب فيه أن الأمر بالجهاد بالمال شقيق الأمر بالجهاد بالنفس وقرينه، بل جاء مقدما على النفس في كل موضع إلا موضعاً واحداً وهو الذي يدل على أن الجهاد بالمال أهم وأشهر من الجهاد بالنفس، وفي هذا الخبر وجوبه باللسان بإقامة الحجة عليهم، وبدعائهم إلى الله تعالى والزجر ونحوه مما فيه

(١) سورة التوبة، الآية [٤١].

(٢) سورة الصف، الآية [١٠-١١].

نكاية للعدو، وقال: جنس الجهاد فرض عين إما بالقلب وإما باللسان وإما بالمال وإما بالبدن، فعلى المسلم أن يجاهد بنوع من هذه الأنواع.

رابعا: وجوب نية الغزو والاستعداد له في سبيل الله تعالى؛ ففي الحديث عن أبي هريرة ﵁ مرفوعا -يعني- إلى النبي ﷺ أنه قال: **(من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو في سبيل الله مات على شعبة -أي خصلة- من خصال النفاق)**، وهذا الوعيد دليل على وجوب الغزو في سبيل الله تعالى، ودليل أيضا على وجوب العزم على الجهاد.

خامسا: حكم الجهاد فرض كفاية ما لم يحضر العدو فحينئذ يتعين على كل واحد قادر أن يتحرك لجهاده، وأن يحي سيرة السلف الصالح، فتتوالى الانتصارات بإذن الله تعالى: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾(١)، ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾(٢).

سادسا: وجوب إخلاص النية في قتال العدو لمزيد الأجر والثواب؛ لأن المجاهد بائع نفسه على ربه بثمن هو الجنة؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾(٣).

---

(١) سورة آل عمران، الآية [١٤٠].

(٢) سورة النساء، الآية [١٠٤].

(٣) سورة التوبة، الآية [١١١].

وعــن أبي مــوسى الأشعـري رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(من قاتل** - يعني في سبيل الله- **لتكون كلمة الله هي العليا**-أي: لإظهار دين الله- **فهو في سبيل الله)**. متفق عليه، وهذا جواب سؤال: الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية، ويقاتل رياء، فأي ذلك في سبيل الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله)**.

قال ابن بطال رحمه الله: «إنما عدل النبي صلى الله عليه وسلم عن لفظ جواب السائل؛ لأن الغضب والحمية قد يكونا لله تعالى فعدل عن ذلك إلى لفظ جامع، وأفاد رفع الالتباس وزيادة الإفهام، وذهب المحققون إلى أنه إذا كان الباعث إعلاء كلمة الله لم يضره ما ينضاف إليه».

سابعا: كراهية النفوس لقتال الأعداء؛ قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾(١).

قال الفخر الرازي رحمه الله في التفسير الكبير: «معنى الآية: أنه ربما كان الشيء شاقا عليكم في الحال، وهو سبب المنافع الجليلة في المستقبل، وبالضد، ولأجله حسن شرب الدواء المر في الحال؛ لتوقع حصول الصحة في المستقبل، وحسن تحمل الأخطار في الأسفار؛ لتوقع حصول الربح في المستقبل، وحسن تحمل المشاق في طلب العلم؛ للفوز بالسعادة العظيمة في الدنيا وفي العقبى».

فللجهاد حكم وأسرار عظيمة ولو كرهته النفوس، وفي تركه الأخطار والأضرار وإن رغبته النفوس، وذلك؛ لأن ترك الجهاد وإن كان يفيد في الحال

(١) سورة البقرة، الآية [٢١٦].

صون النفس عن خطر الموت، وصون المال عن الإنفاق، ولكن فيه أنواع من المضار منها: أن العدو إذا علم ميلكم إلى الدعة والسكون قصد بلادكم وحاول قتلكم، فإما أن يأخذكم ويستبيح دماءكم وأموالكم، وإما أن تحتاجوا إلى قتالهم من غير إعداد آلة وسلاح، وهذا يكون كترك مداواة المرض في أول ظهوره بسبب نفرة النفس عن تحمل مرارة الدواء، ثم في آخر الأمر يصير المرء مضطراً إلى تحمل أضعاف تلك النفرة والمشقة.

عباد الله: إن للجهاد آثاراً عظيمة وحكماً جليلة فمن ذلك: أن القتال سبب من أسباب حصول الأمن، ومنها: السرور العظيم بالنصر على الأعداء.

أما ما يتعلق بالدين فكثيرة منها:

ومنها: ما يحصل للمجاهد من الثواب العظيم إذا فعل الجهاد؛ تقربا وعبادة، وسلك طريق الاستقامة فلم يفسد ما فعله.

ومنها: أن عدوكم إذا رأى جدَّكم في دينكم وبذلكم أنفسكم وأموالكم في طلبه، مال بسبب ذلك إلى دينكم ورغب فيه، فإذا أسلم على أيديكم صرتم بسبب ذلك مستحقين للأجر العظيم عند الله تعالى.

ومنها: أن من أقدم على القتال؛ طلبا لمرضاة الله تعالى كان قد تحمل ألم القتل بسبب طلبه رضوان الله ما دام متيقنا بفضل الله ورحمته وأنه لا يضيع أجر المحسنين، وبأن لذات الدنيا أمور زائلة، ومن أعظم سعادة الإنسان أن يفارق الدنيا وهو مقدم لمحبة الله ورضاه على شهواتها وملذاتها، فهذا المقياس الصحيح، لا ما تكرهه النفوس أو ما تشتهيه، والله يعلم وأنتم لا تعلمون.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ۝٢٠ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝٢١ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[2].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

(١) سورة الأنفال، الآية [٢٠-٢٢].

(٢) سورة البقرة، الآية [٢١٦].

الخطبة الخامسة والأربعون:

آثار العبادات

الحمد لله خالق الكون أجمعين، ورازقهم فهو خير الرازقين، فسبحانه من إله عظيم يثيب المطيعين، ويعاقب المسيئين؛ ليجزي الذين أساءوا بما عملوا، ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى، وأشكره على عموم فضله وجزيل نعمه الظاهرة والباطنة من حفظ للأبدان وحماية للأوطان، وقد تأذن في الزيادة للشاكرين، وبالعذاب الشديد للجاحدين الكافرين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أوجب بعض الطاعات، وسن بعضها؛ لتتوالى على عباده الحسنات.

أما بعد:

فيا أيها الناس، اتقوا الله تعالى، واعلموا أن أساس التقوى هو الإيمان المبني على ستة أركان: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، حلوه ومره، ولهذا الإيمان أعمال ظاهرة يحكم بوجودها على إسلام المرء أو كفره، وهذه الأعمال هي أركان الإسلام ومبانيه العظام؛ قال ﷺ: **(بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا)**.

وهذه العبادات منها ما هو مرة واحدة في العام لا يتكرر كالزكاة التي هي طهرة للمال، وزيادة له وخير وبركة، وظاهرة للعطف على الفقراء والمحتاجين، وكالحج الذي يشتمل على بذل المال والجهد والمشقة وهو واجب على المسلم في عمره مرة واحدة، وما زاد فتطوع، وهذا الحج -يا عباد الله- علامة ودليل على طاعة المرء وانقياده لله رب العالمين، فيطوف بالكعبة؛ امتثالا لأمر الله تعالى، وبين الصفا والمروة ساعيا؛ متأسياً برسول الله ﷺ، ويقف بعرفة؛ ليباهي الله تعالى به

ملائكته، ويبيت بمزدلفة ومنى ويرمي الجمرات، ويحلق رأسه أو يقصره؛ متمشياً على خطى رسول الله ﷺ، وإزالة للأذى والشعث بالحلق أو التقصير، أو يذبح الحاج هديه؛ تقربا إلى الله تعالى قائلا: بسم الله والله أكبر، كل هذه الأنساك تذليلا للعبد وتطهيرا له من آثامه، وتطهيراً للقلوب من الذنوب واستسلاماً للحي القيوم الذي أمر بتطهير كعبته من الأصنام وعبادة الأوثان فيه، ومن الشرك؛ ليطهر من يحجه على هذا الوصف من آثامه ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾(١). وشرع الصيام الذي يشتمل على كف الشهوة عن المباحات في نهار رمضان؛ حتى يتعود المسلم على كبح جماح نفسه، وكفها ومنعها عن الحرام طيلة العام، ثم اعلموا يا عباد الله، أن الحكمة من أمر الله تعالى لعباده أن يذكروه ويستغفروه عقب كل عبادة؛ ليشعرهم أن الواجب هو الاستمرار في الطاعة واتباع الحسنة بالحسنة فقال عقب الصيام: ﴿ وَلِتُكَبِّرُوا ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾(٢). وقال في الحج: ﴿ فَٱذْكُرُوا ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾(٣)، وشرع رسول الله ﷺ الدعاء عند دفع الزكاة: **(اللهم اجعلها مغنما ولا تجعلها مغرما)**. ثم إن هذه العبادات تنفع من أداها إذا أراد الآخرة بصلاح نيته، واستمر على الطاعات وكان مؤمنا حقا؛ قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾(٤) واعلموا أن من أجل الطاعات وأشرفها التي يجب الاستمرار والمحافظة عليها هذه الصلوات الخمس المتكررة في اليوم والليلة في أوقاتها التي لا تصح إلا فيها والتي هي

---

(١) سورة الحج، الآية [٣٤].

(٢) سورة البقرة، الآية [١٨٥].

(٣) سورة البقرة، الآية [١٩٨].

(٤) سورة الإسراء، الآية [١٩].

شرط في صحتها ؛ ﴿ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾ (١) وإن ستمرار المسلم عليها أكبر دليل على محبته لله تعالى ورسوله ﷺ وعلى طاعة العبد وانقياده لله تعالى ، فهي أشرف العبادات بعد الشهادتين وهي النور في الوجه ، والسعة في الرزق ، ولا تسقط عن المسلم لا في حضر ولا في سفر ، ولا في صحة ولا مرض ، ولا أمن ولا خوف ، ولا تسقط إلا عن المجانين والمعاتيه ، وهذا دليل على عظم شأنها ، وأن من أضاعها فهو لما سواها أضيع ولا حظ له في الإسلام ، وبقية أركان الإسلام قد تسقط بالعجز كالحج ، وعدم المال كالزكاة أو الإطعام عنها كالصيام فقال : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾(٢) .

فاتقوا الله تعالى أيها المسلمون وحافظوا على ما فرضه الله عز وجل عليكم وإياكم والإهمال في آداء العبادات ، واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله تعالى ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾(٣) .

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

---

(١) سورة النساء ، الآية [١٠٣].

(٢) سورة الجمعة ، الآية [١٠].

(٣) سورة الذاريات ، الآيات [٥٦-٥٨].

الخطبة السادسة والأربعون:

وجوب شفقة التاجر على دينه

الحمد لله الذي جعل الحياة الدنيا متاعاً، وإن الآخرة هي دار القرار، أحمده سبحانه وأشكره، من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها، ومن عمل صالحاً من ذكر وأنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، جعل الدنيا مزرعة للآخرة، فمن زرع حصد، ومن غرس جنى، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه، ولا جاهه ولا منصبه.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيد المرسلين، وإمام المتقين، وأفضل العارفين، برب العالمين، اللهم صلِّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه وجميع أتباعه الذين عملهم في الدنيا بمقدار، واختاروا جانب الآخرة فنعم الاختيار، وربك يخلق ما يشاء ويختار.

أما بعد:

فيا أيها المسلمون: اتقوا الله تعالى، واعلموا أن الله تعالى رضي لكم الإسلام دينا، وجعلكم من أهله، فاحمدوا الله عز وجل الذي هداكم لهذا، واعملوا في هذه الدنيا في ضوء تعاليم الإسلام؛ فإنها دار عمل ولا حساب، والآخرة دار حساب ولا عمل.

فالكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله تعالى الأماني، ألا وإن من الأعمال التي أباحها الله تعالى لعباده المؤمنين العمل لكسب المعيشة، وأفضل ذلك كسب التجارة، ولكن التاجر

والمتاجر من واجبهما أن يشفقا على دينهما فلا يلهيهما مالهما عن ذكر الله تعالى وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وعن يوم تتقلب فيه القلوب والأبصار، فلا ينبغي للمسلم أن يشغله معاشه عن معاده، فيكون عمره ضائعاً، وصنعته خاسرة، وما يفوته من الربح من الآخرة لا يفي به ما ينال في الدنيا، فيكون ممن اشترى الحياة الدنيا بالآخرة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾[(١)] بل العاقل ينبغي أن يشفق على نفسه، وشفقته على نفسه بحفظ رأس ماله ورأس ماله دينه، فيه ربحه ونجاته وسعادته، وفوزه في الدنيا والآخرة ومغفرة ذنوبه، وأطيب المساكن في أعلى الجنات؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝١١ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾[(٢)].

قال بعض السلف: أولى الأشياء بالعاقل أحوجه إليه في العاجل، وأحوج شيء إليه في العاجل أحمده عاقبة في الآجل.

وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه في وصيته: (إنه لا بد لك من نصيبك في الدنيا، وأنت إلى نصيبك في الآخرة أحوج، فأبدأ بنصيبك من الآخرة وخذه؛ فإنك ستمر على نصيبك من الدنيا؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَا﴾ أي: لا تنس في الدنيا نصيبك منها للآخرة؛ فإنها مزرعة الآخرة؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي

---

(١) سورة البقرة، الآية [٨٦].

(٢) سورة الصف، الآية [١٠-١٢].

ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾[١] وإن مما يتمم شفقة التاجر على دينه حسن نيته وعقيدته في ابتداء تجارته، فلينو بها الاستعفاف عن السؤال، وكف الطمع عن الناس؛ استغناء بالحلال عنهم، واستعانة بما يكسبه على طاعة ربه عز وجل، وقياما بكفاية العيال؛ ليكون من جماعة المجاهدين، ولينو النصح للمؤمنين، وأن يحب لسائر الخلق ما يحب لنفسه، ولينو اتباع طريق العدل والإحسان في معاملته، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل ما يراه في الأسواق.

فإذا أضمر هذه العقائد والنيات كان عاملا في طريق الآخرة، فإن استفاد مالا فهو مزيد مدخر في الدنيا، وربح في الآخرة، وألاَّ يمنعه سوق الدنيا عن سوق الآخرة، وأسواق الآخرة المساجد؛ قال تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ٣٧ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾[٢] ومما ينبغي للتاجر أن يلازمه في الأسواق ذكر الله تعالى واشتغاله بالتهليل والتسبيح؛ فذكر الله تعالى في السوق ينبه الغافلين؛ وفي الأثر: **(ذاكر الله في الغافلين كالمقاتل خلف الغازين)**، وروي عنه ﷺ أنه قال: **(من دخل السوق فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، كتب الله له ألف حسنة)**. فاتقوا الله تعالى أيها المسلمون، وتوبوا إلى الله تعالى أيها التجار، واعلموا أن المال ظل زائل، والملك يورثه الله تعالى من يشاء، رزقنا الله تعالى وإياكم الحلال وجنبنا الحرام.

---

(١) سورة القصص، الآية [٧٧].

(٢) سورة النور، الآية [٣٧-٣٨].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾[1].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

(١) سورة الأنعام، الآية [١٢٥-١٢٦].

الخطبة السابعة والأربعون:

فضل الصدق في التجارة

الحمد لله الذي يحب الصدق والصادقين، ويبغض الكذب والكاذبين، أحمده سبحانه وأشكره، ونسأل الله تعالى المزيد من فضله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي نادى عباده في محكم كتابه، وأمرهم أن يتقوه، وأن يصدقوه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾(١)، والقائل أيضاً في شأن المنافقين الكاذبين: ﴿فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾(٢).

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الصادق في أقواله وأفعاله، والمصدوق فيما أوحى الله تعالى له والأمين عليه، اللهم صلِّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه البررة الصادقين، والأخيار المتقين.

أما بعد:

فيا عباد الله المؤمنين عليكم بتقوى الله تعالى؛ فإنها صفة الصادقين فيما يصدر منهم، والمصدقين فيما نزل عليهم من ربهم، ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾(٣) وثوابهم عند الله تعالى غير محدود من سعادة في الدنيا، وما لذ وطاب في الآخرة، من تكفير للسيئات، ومضاعفة للحسنات ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾(٤).

---

(١) سورة التوبة، الآية [١١٩].

(٢) سورة محمد، الآية [٢١].

(٣) سورة الزمر، الآية [٣٣].

(٤) سورة الزمر، الآيتان [٣٤-٣٥].

عباد الله: ألا وإن مما فتح الله على المسلمين في هذه الأزمان كثرة الأموال التي تتطلب الاشتغال بها؛ لتنمو وتزداد في بيع وشراء وبناء وتأجير، فاصدقوا في معاملاتكم؛ فإن ذلك واجب عليكم، فإن سألتم عن دليل وجوبه من قول نبيكم فاسمعوا ما روي عنه: أنه خرج إلى المصلى فرأى الناس يتبايعون فقال: **(يا معشر التجار)**، فاشرأبت أعناقهم؛ استجابة لنداء رسول الله ﷺ فقال: **(إن التجار يبعثون يوم القيامة فجاراً إلا من اتقى الله وبر وصدق)**. فلو لم يكن الصدق والبر واجبين لما حكم عليهم بالفجور، وفي الروايات الأخرى لما قال عليه الصلاة والسلام: إن التجار هم الفجار، قالوا: (أليس الله أحل البيع وحرم الربا؟)، قال: **(بلى، ولكنهم يحلفون ويحدثون فيكذبون)**.

وإن سألتم عن بركة الصدق في التجارة، أو محق البركة منها، وجدنا بركة التجارة في الصدق، ومحقها بسبب الكذب، فقد روى البخاري ومسلم رحمهما الله عن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: (قال رسول الله ﷺ: **(البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما)**.

وإن سألتم عن طيب كسب التاجر الصادق المتقيد في بيعه وشرائه بشرع الله تعالى فإليكم ما رواه البيهقي رحمه الله عن معاذ بن جبل رضي الله عنه: **(إن أطيب الكسب كسب التجار الذين إذا صدقوا لم يكذبوا، وإن ائتمنوا لم يخونوا، وإذا وعدوا لم يخلفوا، وإذا اشتروا لم يندموا، وإذا باعوا لم يخدعوا، وإذا كان عليهم لم يمطلوا وإذا كان لهم لم يعسروا)**. وإن سألتم عن فضل الصدق في التجارة ومنزلة التجار الصادقين عند ربهم، فإليكم ما ورد في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **(التاجر الصدوق الأمين مع النبيين**

والصديقين والشهداء). ومن هذه منزلته من التجار هو التاجر المسلم الصدوق؛ لأنه يصدق امتثالاً لأوامر الله تعالى، وطلباً لثوابه، وخوفاً من عقابه، أما الكافر فصدقه من أجل الإنسانية، ومن أجل السمعة الدنيوية، وليس له علاقة في الأمور الأخروية؛ قال ﷺ فيما رواه ابن ماجه رَحِمَهُ اللَّهُ عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: **(التاجر الصدوق الأمين مع الشهداء يوم القيامة)**. فهذا فضل التاجر الصدوق مع الأنبياء والشهداء والصالحين، أما مكانته يوم القيامة فهو أقرب مكانة عند الله تعالى حين يظله الله عز وجل في ظله يوم لا ظل إلا ظله؛ ففي الحديث عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: **(التاجر الصدوق تحت ظل العرش يوم القيامة)**. فاتقوا الله تعالى أيها التجار، وخافوا يوماً لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله تعالى بقلب سليم.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۝٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾(١).

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

---

(١) سورة الأحزاب، الآية [٧٠-٧١].

الخطبة الثامنة والأربعون:

بيع المسلم على المسلم

الحمد لله الذي جعل رابطة الإسلام فوق كل رابطة، وما عداها مآلها الاندثار والانقطاع، أحمده سبحانه وأشكره أن رتب على تآلف القلوب سعادة الدنيا والآخرة، وأي تآلف على غير محبة الله تعالى فمداه قريب، ووقته قليل، وعما قليل يزول، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَـٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ﴾(١).

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أنار الله تعالى برسالته قلوب من آمن به، وجمع به شتاتهم فهو رحمة للمؤمنين وحجة على المعتدين، اللهم صلِّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه الذين نصر الله تعالى بهم سنته، وأوضح بهم طريقته؛ حيث ساروا عليها متآلفين متعاونين، يجتنب كل منهم ما يؤذي الآخر ويضره.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى، وكونوا مع الصادقين في تقواه والعاملين بما يحبه ويرضاه، طامعين في رحمته خائفين من عذابه يوم لقاه، يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن.

عباد الله: إن الواجب على المسلم تنفيذ حق الله تعالى عليه أمراً ونهياً، مما يتصل به سبحانه أو يتصل بخلقه، وما يتصل بخلقه نُهِيَ المسلم عن فعل كل ما يؤذي أخاه المسلم أو يضره مما يسبب زرع الحقد في قلبه عليه، فالإسلام دين

---

(١) سورة الزخرف، الآية [٦٧-٦٩].

عبادة، دين معاملة، دين أخلاق؛ قال ﷺ في حسن المعاملة بينك وبين أخيك المسلم: **(ولا يبع بعضكم على بيع بعض)**. فهذا النهي عن أن تقول للمشتري بعد شرائه: أبيعك أقل من هذا ثمناً؛ أو أعطيك سلعة أجود من سلعته.

فالواجب عليك اجتنابه بعد بيعه، ومثل ذلك الاستئجار، فلا يصح أن تقول للمستأجر بعد استئجاره من أخيه: عندي لك بيت أقل من هذه الأجرة، أو تعيب ما استأجره أو ما اشتراه، فتؤذيه إذا جعلته غير صالح، أو تؤذي البائع إن أراد المشتري أو المستأجر محاولة الرد وبطلان العقد.

ومثل ذلك أن تعطي العمال أجرة أكثر ممن يشتغلون به عنده وهم مستمرون معه فربما أفسدت عمله عليه، لا سيما إن كان قد تعب في التماسهم واجتلابهم، كما أن الواجب على العمال الوفاء بعقدهم وعهدهم، وأن لا يخلوا بعملهم، وأن ينكروا على من أراد أن يعطيهم زيادة على أخيه، وأن يذكروه بقوله ﷺ: **(لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)**. فلو كنا نعمل عندك فهل ترضى أن يزيدنا أحد غيرك فنترك عملك، ومثل قوله ﷺ: **(لا يبع بعضكم على بيع بعض)**، أي: الشراء على الشراء، وذلك بأن يشتري أحد على شراء أخيه، بمعنى: لو باع أحد سلعة بمائة، ثم تأتي فتقول: أنا أشتريها بمائة وعشرة، ومثله (السوم) فلا يسم بعضكم على سوم أخيه، وذلك إذا أُعلِنَ عن بيع السلعة فسامها أحد إخوانك المسلمين فركن إلى سومه، وهم ببيعه فلا تزد، أما إذا لم يرض بالسوم وطلب الزيادة فلا مانع أن تزيد، ومثل ما تقدم (الخِطْبة)؛ قال ﷺ: **(ولا يَخْطِب أحدكم على خطبة أخيه إلا أن يأذن أو يترك)**. بمعنى: إذا خطب أحد المسلمين له زوجة فركنوا إليه، فلا يحل لك أن تخطب حتى يأذن أو يترك، وكذلك لا يحل لامراة أخرى أو وليها أن يأتوا إليه ويقولوا نزوجك أحسن مما خطبت.

كل ما تقدم يا عباد الله، من حق المسلم على المسلم، فحقه عليك أن تفرحه ولا تحزنه، وأن تؤمنه ولا تخونه، قال عمر بن عبدالعزيز رَحِمَهُ اللَّهُ: «اجعل كبير المسلمين عندك أباً وصغيرهم ابناً، وأوسطهم أخاً».

وقال بعض العلماء: «ليكن حظ المؤمن منك ثلاث: إن لم تنفعه فلا تضره، وإن لم تفرحه فلا تغمه، وإن لم تمدحه فلا تذمه».

فما أعظم الإسلام وأهله إذا أخذوا بتعاليمه، وسموا بأهدافه وآمنوا بغاياته.

فاتقوا الله تعالى أيها المسلمون لعلكم تفلحون.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾[1].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

(١) سورة الأنعام، الآية [١٢٥-١٢٦].

الخطبة التاسعة والأربعون:

النـجش

الحمد لله الذي أغنانا بالحلال، وأوضح الطريق حتى لا يكون المسلم في وهم وإيهام، أحمده، سبحانه وأشكره على عموم فضله، وجزيل الإنعام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ذو الجلال والإكرام، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله شرع لأمته كل ما فيه الألفة والوئام، ونهاهم عن كل ما فيه زرع الأحقاد ومقطع الأوصال وضرر الأجسام، اللهم صلِّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه خير من بادر إلى الامتثال والمعظمين لسنة خير الأنام.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى، وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم، واتقوا يوما يجري فيه النقاش والحساب، ويجد الإنسان فيه ما قدمت يداه، واتقوا ظلم الناس كما أرشدكم إلى ذلك نبيكم ﷺ، فمما نهانا وحذرنا عنه أشد التحذير (النجش) ففي الحديث الشريف: **(لا تحاسدوا ولا تناجشوا)**. فحكم النجش محرم، كما صرح بالنهي عنه في حديث ابن عمر أن رسول الله ﷺ نهى عن النجش، ومعنى النجش: الزيادة في ثمن السلعة، ومُدَّع الزيادة لا يريد شراءها، ولكنه يهدف من ذلك إضرار المشتري بزيادة الثمن عليه، أو يريد نفع البائع بتكثير الثمن له، وكلا المرادين محرم؛ لما يترتب عليه من المفاسد العظيمة، والأضرار الكثيرة التي لا تحصى، فإن أراد ضرر المشتري، فقد ضار مسلما، ومن ضار

مسلما فهو ملعون، ومن أراد نفع البائع فقد أدخل عليه بابا من أبواب الربا، فتسبب في أكله الحرام، ووضع الزائد نفسه موضع الخائن الكاذب؛ لأنه يزيد في السلعة ولا يريد شراءها، فعن ابن أبي أوفى رضي الله عنهما قال: (الناجش آكل ربا خائن). ومن العلماء من فسر النجش بما هو أعم من ذلك: فجعل كل مكر بأخيك المسلم نجش، وكل خداع يزيد عليه الثمن أولَهُ نجش، وكُلُّ حيلة تأكل بها شيئا من مال أخيك أو تستخرج بها جزءاً من ماله فهو نجش، على هذا يا عباد الله يكون معنى قوله: **(ولا تناجشوا)**، أي: لا تخادعوا ولا يختل بعضكم بعضا بالمكر والاحتيال، وإنما يراد بالمكر والمخادعة إيصال الأذى إلى المسلم إما بطريق الاحتيال أو بأي طريق يلزم وصول الضرر إليه ودخوله عليه.

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: **(من غشنا فليس منا، والمكر والخداع في النار)**[1]، وفي حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه المرفوع: **(ملعون من ضار مسلما أو مكر به)**، خرجه الترمذي.

فيدخل في هذا التحذير النجش المنهي عنه وجميع أنواع المعاملات المنهي عنها، كتدليس العيوب وكتمانها، وغش المبيع الجيد بالرديء، وثمن المسترسل وهو الذي لا يحسن أن يماكس كالصغير والأبله والغافل عن الأسواق، والمرأة، فكل غبن هؤلاء محرم، وليس فيه فخر للبائع، ولا يفرح بما كسبه منهم، ومن هذا القبيل اغتنام ثقة أخيك إذا وثق بك لمعرفته لك، أو لحسن ظنه بك سواء اشترى منك أو وكلك بالشراء، فكل هذه المسائل من باب المكر والخداع التي هي من أقبح الصفات.

---

(١) المعجم الكبير للطبراني ١٠/١٣٨ برقم (١٠٢٣٤)، وصحيح ابن حبان ٢/٣٢٦ برقم (٥٦٧).

فيجب على المسلم أن يتنزه عنها ؛ لأنها من صفات الكفر والمنافقين ، ولابد أن تحيط بصاحبها ، قال جل ثناؤه : ﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ ﴾(١).

فليخش معصية الله تعالى وإيذاء خلق الله الذين لا يجوز إدخال الأذى عليهم ، وإنما يجوز إدخال الأذى على الكفار المحاربين.

فاتقوا الله تعالى ، واتقوا كل عمل وكل خلق يفكك روابط الأخوة ، ويحدث التباغض ، ويزرع الأحقاد أو يشتت الشمل ، أو يعين على الإثم والعدوان.

قال تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ ﴾(٢).

فالنجش يجب علينا أن نحذره بأي مبيع كان سواء كان في السيارات أو الأراضي أو سائر البضائع ، وسواء كان في عقود البيع أو الاستئجار.

فالحذر من أن يزيد الإنسان في الثمن أو الأجرة وهو لا يريد ذلك ، وعقوبات هذه المعصية منها العاجل كنقص البركة ، والتسبب بهلاك المال ، إما لتجشمه الحرام أو الاستجابة لدعوة المظلوم ، ومنها فساد العقد للبيع والأجرة عند كثير من العلماء ، ومنها إن كان مسلماً فإنه لا يهضم هذا العمل الذي تحمل به كذبا وغشا وخداعا وأكل الحرام ، وكما يحرم على المسلم أن يأكل الحرام فإنه يحرم عليه أن يوصله لغيره.

فلنتق الله تعالى في كل أعمالنا وأقوالنا ، ولنراقبه فهو يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

---

(١) سورة فاطر ، الآية [٤٣].

(٢) سورة المائدة ، الآية [٢].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[1].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

(١) سورة المائدة، الآية [٨].

الخطبة الخمسون:

التحذير من الربا

الحمد لله الذي أحل البيع وحرم الربا، أحمده سبحانه وأشكره على ما يسره من طرق المعاملات المرضية لله عز وجل، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أوجب البر والإحسان في المعاملات بين أفراد الإنسان، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أفضل من قال: **(رحم الله عبداً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى)**. صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى أصحابه البررة الصادقين في معاملاتهم، وفق ما جاء به رسولهم نبي الرحمة ورسول الهدى.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى الذي خلقكم ورزقكم وهيأ لكم أسباب الرزق؛ مبيناً الحلال والحرام منه، فخذوا بما يحبه ويرضاه، واجتنبوا ما يكرهه من المعاملات ويأباه، واعلموا أن من سار في معاملاته المالية على أسس من الشريعة فاز برضا رب البرية ثم برضا أفراد الإنسانية، ومن خالف وصار همه جمع الحطام الفاني وتضخيم المال البالي الذي سينزع منه، ثم يكون ندمه على جهده المتوالي طيلة الأيام والليالي بينما لا ينفع الندم، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

أيها المسلمون: خذوا بما أحل الله من الطرق في المعاملات، واكتفوا بها، واجتنبوا الطرق المحرمات؛ إن الحلال بين وإن الحرام بين وبينهما أمور متشتبهات فمن وقع فيها يوشك أن يقع في الحرام، ألا وإن مما حرم الله تعالى من المعاملات الربا، وشدد في تحريمه وغلظ عقوبة متعاطيه وحُرِّم في كل

شريعة ؛ ولهذا كان أكل اليهود له من أسباب سخط الله تعالى عليهم، فأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل، ولقد نهى الله تعالى أمة محمد ﷺ على وجه الخصوص من أكل الربا نهيا مؤكدا ؛ قال جل وعلا: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَـٰفًا مُّضَـٰعَفَةً ﴾[1] ثم يخبر سبحانه بأن الفلاح والرحمة لمن أطاع الله تعالى ورسوله ﷺ، واجتنب الربا، فاتقوا الله تعالى لعلكم تفلحون، واتقوا النار التي أعدت للكافرين وأطيعوا الله والرسول لعلكم تفلحون.

أيها الأخ المسلم: لعلك تتساءل عن شيء من العقوبات على المرابي التي جاء النص عليها في القرآن والسنة فمنها: أن من لم يتقه فليس حري بالفلاح ولا بالرحمة لا في الدنيا ولا في الآخرة، ومنها: أن الله تعالى صور آكل الربا حينما يقوم من قبره للحساب بأبشع صورة نراها ويكرهها كل واحد منا، صوره بالمصروع والمخبول فاقد العقل والشعور؛ ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ﴾[2] ومنها: أن الله تعالى يمحق بركته في دنياه وآخرته، وأن من اعتقد جواز الربا كفر برب العالمين وارتد عن الإسلام، وإن كان ممن قد أحسن واتقى ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾[3] أثم بعصيان ربه ؛ لأنه لم يسلك أحسن الطرق في معاملته، وما درى أن إثم آكل الربا كإثم ناكح أمه، ومنها: أن من تعامل بالربا

---

(١) سورة آل عمران، الآية [١٣٠].

(٢) سورة البقرة، الآية [٢٧٥].

(٣) سورة البقرة، الآية [٢٧٦].

فقد عرض نفسه لحرب الله تعالى وحرب رسوله ﷺ، ومن يستطع محاربة خالق الأكوان ومصرف الأحوال والأزمان ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾(١) فإن لم تفعلوا: أي: لم تتركوا الربا فأذنوا بحرب من الله ورسوله، وكفى ما نراه اليوم مما تعرضت له الأمة الإسلامية من حرب الله سبحانه وتعالى حيث عرضها المتعاملون بالربا فيها لحرب الله تعالى، ومن العقوبات: الطرد والإبعاد عن رحمة الله تعالى؛ فقد لعن كل متعاون معه على لسان رسول الله ﷺ؛ ففي الحديث: **(لعن الله آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه)** فاتقوا الله تعالى أيها المسلمون، واحذروا من الوقوع في المعاملات الربوية وتناصحوا فيما بينكم مهما ضخم المال وكثر عدده، فماذا ينفعك حين تنتزع أو ينزع منك، فليس سبباً لخلودك في الدنيا، ولا لإدخالك الجنة، بل قد يكون سبباً لإدخالك النار؛ قال تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ﴾(٢).

ولربما نتساءل عن أمثلة للربا التي كانت موجودة في الجاهلية قبل مبعث رسول الله ﷺ والتي وقع فيها البعض اليوم وسيقع فيها كل مجتمع يجهل الشريعة الإسلامية، كما يجهل الحكم فيها سواء، وهي صور كثيرة، وأمثلة عديدة، أسس لها رسول الله ﷺ قواعد وأُسسا، كما أن للبيع والشراء السالم من الربا قواعد وأُسسا، فالبيع الجائز: أن تشتري السلعة وتستقر عندك

---

(١) سورة البقرة، الآية [٢٧٩].

(٢) سورة الهمزة، الآية [١-٩].

في ملكك ثم تبيعها بذهب أو فضة، أو ما يقوم مقامهما من العملات الورقية بمكسب حال أو مؤجل، وإذا حل الأجل فليس لك إلا الوفاء، أو الانتظار من غير أن تزيد، وجعل رسول الله ﷺ من الربا بيع المتماثلات من المكيلات والموزونات بجنس بعضها؛ قال ﷺ: **(الذهب بالذهب والفضة بالفضة، والبر بالبر، والشعير بالشعير، والتمر بالتمر، والملح بالملح مثلا بمثل وسواء بسواء، فمن زاد أو استزاد فقد رابى الآخذ والمعطي)**. والذهب إذا بعته بذهب فبمثله وبوزنه، والفضة بمثلها ووزنها وكذا سائر الأطعمة، وإذا اختلفت الأجناس فلا مانع من الزيادة إذا كانت يدا بيد، وإن كانت كطعام بفضة أو بذهب فلا مانع من التأجيل، وإذا غلب الربا في بنك أو مؤسسة فكان التعامل فيها أكثره بالربا فلا يصح التعاون معه، ولا تشجيعه.

وإن من صور الربا التي توجد في بعض البنوك إيداع النقود بنسبة مؤدية فائدة في السنة، ومن صور الربا: بيع العينة، وهي: أن يبيع سلعة مؤجلة ثم يشتريها الذي باعها بأقل مما أجلت به حالا، فهذا لا يجوز، ومنها: بيع نصيبه في مساهمة عقارية قبل أن يتم شراء العقار، فتكون من بيع النقد بالنقد وهذا ربا.

وصور الربا أيها المسلمون كثيرة يجدها من يريد اتقاءها ويخاف من وبائها وسوء عاقبتها، فاتق الله تعالى يا أخي المسلم ولا تتعامل بالربا واحذر أي صورة من صوره.

واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله تعالى ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٣٠ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ١٣١ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾[1].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

---

(١) سورة آل عمران، الآية [١٣٠-١٣٢].

الخطبة الحادية والخمسون:

القمار

الحمد لله الذي أضاء السبيل للسالكين بنور كتابه، أحمده سبحانه المتفرد بأسمائه وصفاته، وأشكره على توضيح ما أحله وما حرمه دون غموض فيه ولا إشكال، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أمر بكسب الحلال ونهى عن كسب الحرام، فأحل الله البيع وحرم الربا، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أفضل من باع واشترى وحث على العمل ورغب فيه، وجعل سعي العاملين لكسب الحلال في سبيل الله، ونهى عن كل ما فيه غرر وخداع، وجهالة وغش وخيانة، اللهم صلِّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه وكل من اهتدى بهديه واستن بسنته.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى ففي تقواه رضاه، وبرضاه سعادة الدنيا والآخرة والفوز بجناته ودار كرامته ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾(٢).

عباد الله: لا يصح للمسلم أن يسوم في هذه الدنيا كسوم الأنعام، ولا أن يظن بأنه يعيش عيشة البهائم وأنه خلق باطلا؛ فذلك ظن الذين كفروا فويلٌ للذين كفروا من النار، فالمسلم من اقتصر في مأكله ومشربه على ما أحله الله تعالى؛ قال تعالى: ﴿وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ

---

(١) سورة القلم، الآيتان [٣٤-٣٦].

(٢) سورة ص، الآية [٢٨].

مُؤۡمِنُونَ ﴾[١]، فيجتنب ما نهى الله تعالى عنه في محكم كتابه، وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ ﴾[٢]، ألا وإن من طرق أكل أموال الناس بالباطل الميسر والقمار؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾[٣] والميسر هو: القمار بأي نوع كان، مثل: النرد والشطرنج وغير ذلك، وهو من أكل أموال الناس بالباطل الذي نهى الله تعالى عنه بقوله: ﴿ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ ﴾[٤] وداخل في قول النبي ﷺ: **(وإن رجالا يتخوضون في مال الله بغير حق، فلهم النار يوم القيامة)**. وفي صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ قال: **(من قال لصاحبه تعال أقامرك فليتصدق)**. فإذا كان مجرد القول يوجب الكفارة أو الصدقة، فما ظنك بالفعل أيها المسلم؟! صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: **(من لعب بالنرد فكأنما صبغ يده في لحم ودم الخنزير)**. أخرجه مسلم. وقال ﷺ: **(من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله)**. وقال ابن عمر رضي الله عنهما: (اللعب بالنرد والقمار كأكل لحم الخنزير، واللعب بها من غير قمار كأكل ودك الخنزير). ومثل النرد والشطرنج كل ما شاكله من الألعاب الملهية عن ذكر الله تعالى وعن الصلاة، سميت بأي اسم كان بالورق أو غيره، وإذا كانت بعوض فهي أشد تحريما.

---

(١) سورة المائدة، الآية [٨٨].

(٢) سورة النساء، الآية [٢٩].

(٣) سورة المائدة، الآية [٩١].

(٤) سورة النساء، الآية [٢٩].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (إذا مررتم بهؤلاء الذين يلعبون بهذه الأزلام: النرد والشطرنج وما كان من اللهو، فلا تسلموا عليهم؛ فإنهم إذا اجتمعوا وأكبوا عليها جاءهم الشيطان بجنوده فأحدق بهم، كلما ذهب واحد منهم يصرف بصره عنها لكزه الشيطان بجنوده فلا يزالون يلعبون حتى يتفرقوا كالكلاب اجتمعت على جيفة فأكلت منها حتى ملأت بطونها ثم تفرقت)[١].

وفي الموطأ عن عائشة رضي الله عنها: أنه بلغها أن أهل بيت في دارها كانوا سكانا فيها وعندهم نرد فأرسلت إليهم: (لئن لم تخرجوها لأخرجنكم من داري وأنكرت ذلك عليهم)[٢]، فما دام الرسول صلى الله عليه وسلم نهى عن التسليم عليهم فما بالك بمن يذهب إليهم ويشجعهم؟! وهذه عائشة علمت أنهم يلعبون النرد في دارهم فأخرجتهم؛ لعلمها أن تأجير الدار لعمل المعصية لا يجوز، فما بالك بمن يؤجر داره ويقر المعاصي فيها؟!

أيها المسلمون: إن من أنواع القمار ما يسمى بـ (ياحظ)، بـ (يانصيب)، وهو ما يحصل من الأموال على المفاجآت كأن يكتب في أوراق ويقول: خذ ورقة فإن صادفته ورقة كذا لزمه بأن يباشر على الحاضرين بأكل أو شراب ونحوه، ومثلها الهدايا التي تباع في الكراتين، فتارة يجد المشتري خاتما وتارة يجد قلادة وتارة لا يجد شيئا، ولقد نزه الله تعالى بلادنا من جميع أنواع القمار بسبب دعوة الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله ومساندة آل سعود لها منذ سنين طويلة رحم الله الأموات ووفق الأحياء، ومما يفعل: أن يلقي حديدة على لوح فيه أرقام بعد أن يقدم الشخص ريالا، فإذا صادفت الحديدة رقما أعطي ما أعد لهذا الرقم.

---

(١) تحريم النرد والشطرنج للآجري.

(٢) موطأ الإمام مالك (١٧٣١).

وكذلك إلقاء حلقة بعد أن يقدم ريالين، فإذا دخلت الحلقة في خشبة عليها رقم أعطي ما أعد لهذا الرقم، فأخذ الأموال بهذه الطريقة حرام؛ لأنه نوع من القمار، وفيه صد عن ذكر الله تعالى وفساد الأخلاق.

فتوجهوا إلى الله تعالى بالدعاء والتضرع أن ينزه بلادنا من هذه المفاسد، ويوفق شبابنا إلى ارتياد أماكن العلم والذكر وحلقات القرآن وما فيه نفع للإسلام والمسلمين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾[1].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب. فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

(١) سورة المائدة، الآية [٩٠-٩١].

الخطبة الثانية والخمسون:

التحذير من الرشوة

الحمد لله القائل: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾(١) أحمده سبحانه وأشكره، أحل لنا الطيبات، وحرم علينا الخبائث، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله الأولين والآخرين، أعد الجنة للطائعين له، المحكمين شرعه، وأعد النار للعاصين المخالفين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، المأمور بأكل الطيب والعمل الصالح صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحابته أجمعين.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى، وحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا، واعرضوا ما تكسبون من الأموال على شرع الله تعالى، فما أحله لكم فكلوه هنيئاً مريئا، وما حرمه عليكم فلا تقدموا عليه وتباعدوا عنه، واتقوا يوما تعرضون فيه على الله تعالى لا تخفى منكم خافية، فأنبتوا أجسامكم وأولادكم وأهليكم نباتاً حسناً، وذلك بتغذية الأرواح بمحبة الله تعالى ومحبة رسوله ﷺ، وغذوا أجسامكم بالطيبات من المأكولات والمشروبات؛ فالجسد الذي ينبت على السحت والحرام النار أولى به، فأيكم يريد أن تكون النار مصيره، وجهنم مأواه؟! فإن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا، فأمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، وقد أمر المرسلين بأكل الطيبات، وعمل الصالحات؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ

---

(١) سورة النحل، الآية [١١٤].

عَلِيمٌ﴾[١]، وقـال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقۡنَـٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَـٰلًا طَيِّبًاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ﴾[٣]، فلزاماً على المسلم أن لا يعتدي -بمعنى لا يتجاوز- ما نهاه عنه الله تعالى، فمن خالف أمر الله تبارك وتعالى بأكل الحرام فهو المعتدي، ولا يرضى المسلم أن يخرج نفسه عن نطاق محبة الله تعالى باعتدائه؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾[٤] وحينئذ تثبت محبة الله للملتزمين أوامره، الواقفين عند حدوده، فما حياة المسلم وما عيشته الهنيئة حينما يعرض نفسه للاعتداء؟! والله تعالى يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، يعلم الضمائر والسرائر وسوء النوايا والطوايا، جهر المسيء بقوله أم أسر، سمى الحرام باسمه أم باسم آخر: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝١٣ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾[٥].

أيها المسلمون: إن الرشوة من طرق اكتساب المال الذي حرمته شريعتنا تحريماً جازماً يكفر من استباحها، ويفسق من عمل بها دون استباحة، وقد شدد الشرع الوعيد على آخذها ودافعها والساعي بينهما بأن جعلهم مطرودين عن رحمة الله تعالى، متعرضين لسخطه وغضبه؛ قال ﷺ: **(لعن الله الراشي والمرتشي)**. وما دخلت الرشوة عملاً إلا عاقته، ولا مجتمعاً إلا أفسدته، فكل

---

(١) سورة المؤمنون، الآية [٥١].

(٢) سورة البقرة، الآية [١٧٢].

(٣) سورة المائدة، الآية [٨٨].

(٤) سورة البقرة، الآية [١٩٠].

(٥) سورة الملك، الآية [١٣-١٤].

منهم ظالم، المرتشي؛ لأخذه ما يحمله على الجور في حكمه، أو التساهل في عمله، والغلظة على من لا يدفع شيئاً وتقطيب وجهه أمامه حتى يجعله يهاب من مراجعته، والدافع لها؛ لكونه عوناً كبيراً على الظلم، وعلى تشجيع الظالمين، ومفسداً لقلوبهم على الآخرين الذين تأبى أذواقهم السليمة، ومظهرهم المستقيم، وعقيدتهم الحية، عن دفع الرشوة، والساعي بينهما؛ راضٍ بفعلهما ومعين لهما على الإثم ومقر لمنكرهما، والراضي كالفاعل، وما اشتهر بها أحدٌ كما اشتهرت اليهود بها؛ فإن الله تعالى ذمهم وعابهم، كما ذمهم على الكذب، ووصفها الله تعالى بأنها سحت؛ فهي سبب لسحت الدين أو البدن أو المال -بمعنى: محوه، وذهابه أو إزالة بركته- وكل هذا غير مراد للمسلم؛ قال تعالى: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾[1] قال المفسرون: هي الرشوة في الأعمال ممن ولته الدولة براتب معين على أي عمل من أعمال المسلمين، كثيراً أو قليلاً كبيراً أو صغيراً، فإنه لا يحل له أن يأخذ شيئاً من أي فرد من الأفراد الذين ولي مصالحهم، وإن كانت في جانب القضاة والأمراء والرؤساء فهي أشد حرمة؛ قال ﷺ: **(من استعملناه على عمل وزرقناه عليه رزقاً، فما أخذه بعد ذلك فهو غلول)**.

أيها الموظف المسلم: عليك مراقبة الله تعالى ليصلح عملك، وطهر مالك يبارك لك فيه الله تعالى، فلا تأخذ بسبب عملك شيئاً من هذا السحت بغير طريقة مشروعة، سواء من بيت المال أو من أفراد مراجعين، والمعقبين لمصالحهم وشئونهم، واربأ بنفسك عن أن ترديها إلى هذا الخط، ولا يعم شؤمك مجتمعك، فيفسد عملك فتصبح خائناً لله تعالى ولرسوله ﷺ

(١) سورة المائدة، الآية [٤٢].

ولأئمةالمسلمين وعامتهم، والرشوة: ما وقعت للموظف بطلب تلميحا أو تصريحا، سواء كان المدفوع مالاً أو عملاً يحمله على إنجاز عملك دون غيرك، أو يجور على غيرك. ويجري مجرى الرشوة: ما يقدم من دون طلب باسم الهدية أو كرامة أو قهوة أو نحوها مما اصطلح عليه الناس وأسموه بأي اسم، وما قدم هذا للموظف إلا بعد توليه هذا العمل؛ ليستميل قلبه ويجذب ميوله، فإن ذلك كله يكون رشوة محرمة، وإن اختلفت الأسما فالبلاء واحد، والنتيجة والمحذور حاصل، استعمل رسول الله ﷺ رجلاً على صدقات بني سليم.. فلما جاء حاسبه، قال: هذا لكم، وهذا هدية، فقال رسول الله ﷺ: **(فهلا جلست في بيت أبيك وأمك حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقاً)**، ثم خطبنا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: **(أما بعد: فإني أستعمل الرجل منكم على العمل مما ولاني الله فيأتي فيقول هذا مالكم وهذا هدية أهديت لي أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته..إلخ)**. صحيح البخاري ٥٩/١ رقم (٦٩٧٩).

يريد النبي ﷺ أن يبين أن هذه الهدية التي بسبب هذه الولاية على العمل، إنما هي حرام وممنوع منها العامل، أما إذا كانت من الهدية الجائزة، بل والمستحبة التي تكون بين الناس لغير ذلك الغرض ا لمحرم؛ كما قال ﷺ: **(وتهادوا؛ فإن الهدية تثبت المودة وتسل السخيمة)**[1]، فهذه لا بأس بها، والهدايا التي تدفع لمن بيده عمل هي المحرمة كالطبيب الموظف في المستشفى وسائر العمال؛ فإنها تحمل الطبيب على أن ينصح لمن أهدى إليه، ويصرف له الدواء الجيد، وعكس ذلك يغفل عنه، ويحول بينه وبين الدواء، وكذا سائر الأعمال؛ قال ﷺ: **(هدايا العمال سحت)**.

---

(١) شعب الإيمان رقم (٨٩٧٧)، للبيهقي والترمذي في جامعه برقم (٢١٣٠)، والأدب المفرد (٥٩٤) للبخاري.

ما هذا أيها المسلمون إلا لتسيروا على طريقة التعاون والتكاتف، وأن يحب أحدكم لأخيه ما يحب لنفسه، وهذه من أقوى دعامات المجتمع الإسلامي وأركانه وقواعده.

وكثيراً ما يأتي في خطاب القرآن إضافة ما لبعض المسلمين للآخر؛ اعتباراً منه أن المسلمين يد واحدة، وتماسكهم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ﴾(١) فاعتبرها أموالاً للعقلاء مع أنها أموال السفهاء؛ ليحفظوها كما حفظوا أموالهم الخاصة.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾(٢) ناهياً للمسلمين أن يقتل بعضهم بعضا، فجعلهم كالنفس الواحدة، فيالها من تعاليم سامية، وتشريعات عالية، لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثلها لعجزوا ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً.

فاتقوا الله تعالى أيها المسلمون، وجنبوا أنفسكم أكل الحرام، ونزهوا بطونكم ولباسكم عن الحرام؛ حتى يبارك الله لكم في صحتكم وفي ذريتكم.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ۝٣٠ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾(٣).

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

---

(١) سورة النساء، الآية [٥].

(٢) سورة النساء، الآية [٢٩].

(٣) سورة الكهف، الآية [٣٠-٣١].

الخطبة الثالثة والخمسون:

اليمين المشروعة

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الذي لا تنعقد اليمين إلا به تعالى أو باسم من أسمائه أو بصفة من صفاته.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أفضل من نزه ربه عن الشريك والمثيل، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: أيها المسلمون: اتقوا الله، واعلموا أن للأيمان وقعاً في كلام العرب، وهي: جمع يمين، والمراد بها الحلف، والإنسان يحلف؛ ليؤكد حكماً بذكر معظم على وجهٍ مخصوص، وهذا الأسلوب في كلام العرب يقصد به تأكيد الكلام .. وحروف القسم عندهم: الواو، والباء، والتاء؛ فيقولون: والله وبالله وتالله، كل هذه الألفاظ جارية على لسان العرب إلا أن استعمالهم للواو أكثر.

وإذا عرفنا الغرض من الحلف وصور ألفاظه، فلا بد من معرفة الحلف المشروع الذي تجب فيه الكفارة، وما الكفارة؟

أيها المسلمون: اليمين المشروعة هي: أن يحلف الإنسان بربه، أو باسم من أسماء ربه، أو صفة من صفاته كأن يقول: وربي، خالقي، وحياة الله، وكلام الله، وعزة الله، والقرآن؛ لأن القرآن كلام الله، والكلام صفة من صفاته، فهذه اليمين المشروعة، فإن بر بيمينه ففعل ما حلف على فعله أو ترك ما حلف على تركه، كأن يقول: والله لأدرسن غدا فدرس، أو قال: والله لا أدرس غدا فلم يدرس، فلا شيء عليه؛ لأنه وفَّى بيمينه، فإن خالف ما حلف عليه وقد

عقد اليمين من قلبه على مستقبل ممكن فعله أو تركه وجبت عليه الكفارة؛ لأنه حنث في يمينه.

يا أخي المسلم: أما الأيمان التي تجري على اللسان من غير قصدٍ فهي لغو اليمين، ولا كفارة فيها؛ قال تعالى: ﴿ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ ﴾(١) وفسرت هذا عائشة رضي الله عنها بقولها: كقول الرجل في بيته: لا والله وبلى والله، وإن حلف الإنسان على أمر ماضٍ صادقٍ فيه فهو بار في يمينه، فإن كان كاذباً فهي اليمين الغموس، وقد سميت باليمين الغموس؛ لأنها تغمس صاحبها في الإثم، ولا كفارة لها إلا التوبة والندم، وليحذر المسلم من اليمين الغموس؛ لأن فيها وعيداً شديداً في القرآن والسنة.

اختصم الأشعث بن قيس هو ويهودي في أرض، فقال الرسول عليه الصلاة والسلام للأشعث: ألك بينة؟ قال: لا، قال: فلك يمينه، قال الأشعث: إذاً يحلف ويأخذ مالي، فنزلت الآية الكريمة: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(٢).

وقال صلى الله عليه وسلم: **(من اقتطع مال امرئ مسلم بيمينه لقي الله وهو عليه غضبان)** قالوا: وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله؟ قال: **(وإن كان قضيباً من أراك)**.

أيها المسلمون: بعد أن عرفنا اليمين التي تجب فيها الكفارة والتي لا تجب، فالمراد بالتكفير إذا أراد الإنسان أن يخالف ما حلف عليه أو خالفه، وكان ذاكراً

(١) سورة البقرة، الآية [٢٢٥].

(٢) سورة آل عمران، الآية [٧٧].

مختاراً مكلفاً، ولم يقل في يمينه: إن شاء الله؛ فإن قال: إن شاء الله أو خالف يمينه ناسياً أو مكرهاً فلا شيء عليه.

والكفارة معناها: محو الذنب ومغفرتها، والمراد بها: إطعام عشرة مساكين، لكل مسكين نصف صاع من وسط طعام البلد، يسلم لهم تملكا، أو كسوتهم فيكسى كل مسكين ما يكفيه في صلاته، أو تحرير رقبة، فإن لم يجد واحدة من هذه الثلاث فإنه يصوم ثلاثة أيام، فيخير الإنسان بين هذه الثلاثة، وأما ما بين هذه الثلاثة والصيام فعلى الترتيب؛ قال تعالى: ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَـٰنَ ۖ فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَـٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَـٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّـٰرَةُ أَيْمَـٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ﴾[1].

فالذي ينبغي للمسلم أن يحفظ يمينه بالبر والتقوى، وعدم الإكثار منها والكذب فيها، والتكفير إذا وجبت الكفارة.. قال تعالى: ﴿ وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَـٰنَكُمْ ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَـٰنِكُمْ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصْلِحُواْ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[2]. وقال ﷺ: **(ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم)** وذكر منهم الرجل الذي ينفق سلعته بالحلف الكاذب فلا يبيع إلا بيمينه، ولا يشتري إلا بيمينه، وعلى المسلم أن لا يحلف إلا على خير، فلا يحلف على فعل محرم، أو ترك واجب أو فعل مكروه كقطيعة رحم وعدم فعل الخير، فإن فعل ذلك فلا ينفذ بل يُكَفِّر، قال

---

(١) سورة المائدة، الآية [٨٩].

(٢) سورة البقرة، الآية [٢٢٤].

ﷺ : **(إني والله إن شاء الله لا أحلف على يمين، ثم أرى خيرا منها إلا كفرت عن يميني، وأتيت الذي هو خير)**. وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1].

أيها المسلمون: إن المخلوق لا يجوز أن يحلف بغير الله ؛ لأن الحلف يتضمن تعظيم المحلوف به، ولا يجوز تعظيم أحد بهذه الصورة إلا الله عز وجل، فالحلف بغير الله يخل بالعقيدة، جاء يهودي إلى النبي ﷺ فقال: إنكم تشركون تقولون: ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة: فأمر النبي ﷺ أن يقال: ورب الكعبة، ما شاء الله ثم شئت ؛ لأن الواو تقتضي المساواة في الدرجة، ولا أحد في درجة الله، فالحلف بغير الله شرك ينافي التوحيد أو كماله، قال ﷺ: **(لا تحلفوا بآبائكم، من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت)** فهو ينافي كمال التوحيد إذا لم يقصد الحالف تسوية المحلوف به بالله، فإن قصد ذلك فهو مناف للتوحيد، ولقد نبه الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله على هذه المسألة في دعوته التي حماها آل سعود جزى الله الجميع خيرا.

ومما هو شائع في ألسنة كثير من الناس من الحلف بغير الله قولهم: وحياتك، والكعبة، والشرف، ورأسك، والنبي، ونحو ذلك.

فعلى من يفعل ذلك لكونه اعتاده لسانه أو جاهلاً أو قاصداً، عليه أن يتقي الله تعالى ويترك كل ما يخل في عقيدته بالله عز وجل، والرجوع إلى الحق فضيلة، والتمادي في الباطل رذيلة، نسأل الله أن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه،

---

(١) سورة النور، الآية [٢٢].

وأن يرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه. وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾(١).

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر والحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الكريم لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

---

(١) سورة البقرة، الآية [٢٢٥].

الخطبة الرابعة والخمسون:

الإسلام والأسرة

الحمد لله الذي كرمنا بالإسلام وأعزنا به، وهدانا إليه، وأشهد أن لا إله إلا الله العزة لمن اعتز به وتمسك بأوامره ونفذ تعاليمه، والدمار والهلاك لمن بعد عنه، وسلك طريق الضالين المكذبين.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله القائل: **(كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، والرجل في بيته راع وهو مسئول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسئولة عن رعيتها)**. صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الذين أقاموا البيت المسلم العارف بربه المعتز بإسلامه المتمسك بعقيدته الراسخ في إيمانه رضوان الله عليهم أجمعين.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى، وادعوه ليلاً ونهاراً سراً وجهراً، بهذا الدعاء النبوي وهو: **(اللهم احفظنا بالإسلام قائمين، واحفظنا بالإسلام قاعدين واحفظنا بالإسلام راقدين، ولا تطع فينا عدواً ولا حاسدا)**... عباد الله .. ما أسعد من حفظه الله بالإسلام والإيمان، وما أشد حاجة الإنسان إلى حفظ الله له بالإسلام حفظاً حسياً بأن يحفظ عليه قوته وعقله وجوارحه وحواسه؛ ليتمتع بها في هذه الدنيا، ويستعين بها على طاعته، اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقواتنا أبداً ما أحييتنا، واجعلها الوارث منا وانصرنا على من عادانا.. وتحفظ هذه الأمور للمسلم إذا حفظ أوامر الله تعالى واجتنب ما نهى عنه؛ قال رسول الله ﷺ في وصيته الخالدة لابن عباس رضي الله عنهما: **(يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فسئل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله)**. ووثب بعض الصالحين وثبة قوية لا يثبها الشاب

وهو ابن مائة سنة، أثارت الدهشة والإعجاب من الحاضرين فقال لهم: تلكم القوى حفظناها عن المعاصي في الصغر فحفظت لنا قوانا في الكبر. فالإسلام هو أصل القوة وأساسها للأفراد والجماعات، وللأسر وللدول، وهو الغذاء الروحي؛ حينما يضعف أو ينقص تضعف الروح، وإذا ضعفت ضعف الجسم، فالإسلام دين الهداية ودين الرشاد ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1] يقول الله عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، إلى الصراط السوي في العقيدة والأعمال والأخلاق والسلوك والآداب، وإنك لتهدي إلى ما فيه الوئام والائتلاف والاجتماع والمحبة والمودة، وهذه الصفات للمسلمين هي أعْلى قوة ضاربة للأعداء، وهي من المقومات للحروب مع الكفار؛ قال الله جل ثناؤه ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[2] وفي آية آخرى ما يدل على أن اختلاف القلوب وتشتت الأفكار مضعف للقوة وموهن للعزيمة، ووصف الله تعالى هؤلاء بأنهم لا يعقلون مصلحة الاجتماع والائتلاف، ولا مضار الافتراق والاختلاف، وأن من هذه صفتهم هم اليهود، قال الله جل وعلا؛ مثبتا لعزم نبيه ﷺ، وكاشفا لنواياهم السيئة، وأنهم ليسوا على شيء: ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾[3].

---

(١) سورة الشورى، الآية [٥٢].

(٢) سورة الأنفال، الآية [٤٦].

(٣) سورة الحشر، الآية [١٤].

ففي الآية الكريمة تثبيت لعزم المسلمين، وتحذير لهم من تشتت القلوب؛ كي لا يكونوا كاليهود ظاهرهم يخالف باطنهم، وبعد هذا كله نسمع عن بعض التمثيليات في أسعد الأوقات، وهو الضحى، لب النهار الذي أغلب ما يستمع فيه النساء والبنات، نسمع ما يشتت الأسر، ويقطع الأواصر، ويلقي العداوة والبغضاء بين أفراد البيت الواحد، وما يدرب البنات ويُجَرِّئْهُنَّ على امتهان أنفسهن، وكرامتهن، من بعد أن جعلها الإسلام بيضة مكنونة، صانها بأبيها وأخيها وعصبتها؛ ليختاروا لها الزوج الصالح؛ لأنهم أعمق نظراً في الرجال، وأبعد مدى في إدراك المصالح؛ فالمرأة ضعيفة تغتر بالمناظر وتغفل عن المخابر، تأتي هذه التمثيلية تحت عنوان: حلول ومشاكل، فيفتتحها بصياح البنت وبكائها، ثم يبين أن أباها يضربها بدعوى أنها طلبت قَلَمَ رصاصٍ لتحل واجباتها المدرسية، والممثل يكرر على لسان أبيها دائما قلم دائماً قلم، ثم يصور الممثل أن البنت ذهبت إلى جيرانها تشكو إليهم، وطلبت منهم قلما، ثم يصور الممثل بنت جيرانها تسألها عن حالها ثم تتشاكى معها وإن أهلها يضربونها كذلك، وكذا أخوها يضربها، ثم يقول الممثل على لسان الأولى: لو كان أخي لضربته، ثم يقول على لسانها الذم لوالديها، والتذمر من حياتهما، وأنهما يقولان لنجيب أول خاطب يخطبها، وأنهما لن يردا أي خاطب، وفي النهاية تذهب امرأة الجيران إلى أم البنت الأولى وتقول لها لماذا تدعين أباها يضربها وتجيبها بأنها لا تستطيع ثم تلقنها بأن تخالفه وتقف في وجهه لئلا تتأثر البنت نفسياً؛ فسبحان الله ما أعظم شأنه، ما هو الحل في هذه التمثيلية؟ أم هي إيجاد مشاكل غير موجودة؟ فبلادنا ولله الحمد والمنة بلاد إسلامية، تتمتع بقوة الرابطة الأسرية والجماعية، وبحسن العلاقات ثم يأتينا هذا الممثل هداه الله يعرض لقبح تأديب الأب للولد، وكأنه يغفل عن الأثر النبوي القائل: **(ما نحل**

والد ولده أفضل من حسن أدب).. وأين تأديب عمر لحفصة، وأبي بكر لعائشة وعبدالله بن عمر لابنه وكلهم كبار لا ينكر عليهم أحد.

أما هذا الممثل فقد زرع الحقد بدل المودة والقطيعة بدل الصلة والعقوق بدل البر.

فاتقوا الله تعالى، عباد الله وروضوا أنفسكم ونساءكم على محبة الإسلام، والتكاتف والتآلف والوئام، والتنبه إلى بعض الأمراض والأسقام، التي تبث عبر الأثير لتؤثر على العقول والأفهام، سواء جرة قلم أو زلة أو جهلاً أو قصدا من بعض رجال الإعلام.

أسأل الله أن يوقظ بصائرنا، وبصيرة كل من له أمر على المسلمين والإسلام خصوصاً رجال التعليم والتلفزة والمذياع والأقلام، فهؤلاء على أبنائنا وبناتنا في المدارس غرساً وسقياً، وهؤلاء اقتحموا الأجواء والجدران والأبواب فدخلوا بما نراه باطلاً وحقاً.

نرجو من الله العلي القدير أن يغلب الحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾(١).

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

(١) سورة التحريم، الآية [٦].

الخطبة الخامسة والخمسون:

الحث على الزواج

الحمد لله الذي خلق آدم من سلالة من طين، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين، أحمده سبحانه المنزه عن الوالد والولد، وعن الشبيه والنظير، وأشكره وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له خلق الخلق ليعبدوه ويطيعوه ويوحدوه، لا يريد منهم رزقاً ولا يريد منهم أن يطعموه إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إمام المتقين، وسيد الأولين والآخرين، وأكثر الأنبياء أمة وأرفعهم درجة صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحابته أجمعين.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى الذي خلقكم من نفس واحدة، وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء، خلق الله تعالى آدم من تراب، وخلق حواء من ضلعه، وقال لعيسى كن فكان في بطن مريم فولدته من دون ذكر، وخلق ذرية آدم من ذكر وأنثى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ﴾[1] ومن هنا أمر بأن يكون التناسل بين بني آدم على طريق الزواج الشرعي؛ ليعرف الولد أباه وأخته وأخاه، وجده وعمته وأدناه الذي هو أدناه، وليعرف من تحل له من النساء ليتزوجها، ومن تحرم عليه بنسب أو سبب لتجنبها ويتباعد عنها، وأمر الله سبحانه أمة محمد ﷺ أن يبادروا بتزويج من لا زوجة له، ولا زوج لها، قال تعالى: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡ﴾[2].

(١) سورة الحجرات، الآية [١٣].

(٢) سورة النور، الآية [٣٢].

فالمبادرة إلى الزواج الشرعي أمر محبوب حثت عليه الشريعة ؛ لغض البصر ، وإحصان الفرج ، وتكثير أمة محمد ﷺ بالنسل ، وحض الرسول ﷺ الشباب والشابات ؛ لوجود الشهوة وقوتها فيهما غالباً ، وإلا فهو أمر للشيب كما هو للشباب ، فقال : **(يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ؛ فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء)**.

ثم بين الشرع الشريف أن الزواج قد يكون سبباً للغنى إذا قصد فيه النية الصالحة ؛ ولهذه الأهداف السامية قال تعالى : ﴿إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾[1] وبين علاج من لم يستطع المهر أو النفقة بأن يصرف همته بعبادة الله تعالى من الصيام وسائر الطاعات وليطلب العفة إلى أن يغنيهم الله تعالى ؛ قال تعالى : ﴿وَلۡيَسۡتَعۡفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغۡنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾[2] وقال ﷺ : **(من لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء)**. وليجتهد الذي يريد الزواج على أن تكون ذات دين ، وأن تكون ذات ودٍ وولادة ، ويعرف ذلك بأن نساءها أهل ودٍ ، ومعروفات بالولادة ؛ قال ﷺ : **(تزوجوا الودود الولود ؛ فإني مكاثر بكم الأنبياء يوم القيامة)**. وقال رجل من الصحابة : لا أتزوج النساء يريد التفرغ للعبادة ، وقال آخر : أصوم ولا أفطر وأصلي ولا أنام ، فقال عليه الصلاة والسلام : **(إني أصوم وأفطر ، وأصلي وأنام ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني)**.

أيها المسلمون : حببوا سنة نبيكم ﷺ إلى نفوسكم ونفوس بنيكم وبناتكم بأن ترغبوهم في الزواج ، وأن ترفعوا عنهم التكاليف ، والشبح المخيف ، والمؤن وذلك بالتسامح حينما يطلب الكفء في الدين والأمانة.

---

(١) سورة النور ، الآية [٣٢].

(٢) سورة النور ، الآية [٣٣].

قال ﷺ: **(إذا أتاكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير)**. وليأخذ ولي البنت ما تيسر؛ ليصلح به من شأنها، ويقضي لها شيئاً من حاجتها الزوجية، ويدع ما تعسر، ولا يحتقر من ليس بيده مال؛ فإن الله تعالى سيحقق وعده: ﴿إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ فكم من غني أصبح فقيراً، وكم من فقير أصبح غنياً، أما علمتم أن البركة فيمن خفت مؤنتها وتكاليفها، فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: **(إن أعظم النساء بركة أيسرهن مؤونة)**.

فخففوا الولائم الباهظة التي تصل إلى حد الإسراف مما مآله إلى الفساد والضياع، والنفقات الطائلة التي ترهق الزوج فتقف أمامه عن الإقدام على الزواج، وبذلك يكثر العزاب من البنين والبنات.

جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني تزوجت على أربع أواق، قال: **(فكأنما تنحتون الفضة من الجبل)**، وقال ﷺ: **(لو تُزُوجت امرأة بملىء يدها من الطعام لحلت له)**. وتزوج رجل على نعلين.

أما نأتمر ونرغب في هذه السنة، ونتأسى بقدوة هذه الأمة؟! أما نريد ما يريدون من العفة وكثرة الأولاد وتزوج البنين والبنات عن بقائهم عزاباً؟! وقد قيل: مسكين رجل بلا امرأة، وامرأة بلا رجل.

فاتقوا الله تعالى أيها الشباب، والتزموا بتوجيهات رسولكم ومعلمكم ﷺ، وأقبلوا على الزواج؛ ففيه عصمة وعفة لكم بإذن الله عز وجل.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

(١) سورة الروم، الآية [٢١].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

الخطبة السادسة والخمسون:

التحذير من وسائل الزنا

الحمد لله الذي حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، سبحانه حد حدوداً فلا تعتدوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء؛ رحمة بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها، وأشهد أن لا إله إلا الله حذرنا من ارتكاب جريمة الزنا الرذيلة، وتوعد مرتكبيها بالعذاب الأليم، والخزي العظيم، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي للفضيلة، والمحذر من الرذيلة.. أنزل الله عليه القرآن تبياناً لكل شيء؛ ليبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتذكرون، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الطاهرين في أقوالهم وأفعالهم وسلوكهم وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فيا أيها الناس، اتقوا الله تعالى، واعلموا أن الله تعالى أرسل محمداً ﷺ بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، مبشراً للمؤمنين بأن لهم فضلاً كبيراً، وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين، وأنزل الكتاب عليه تبياناً لكل شيء؛ ليبين للناس ما نزل إليهم، ولعلهم يتذكرون، وليحكم بالحق وليكون شاهداً لهم وشاهداً عليهم بما أرسل به، فقد بلغ وحذر وأنذر من الخوف والعذاب والويلات والعقاب على مخالفيه، والأمن والرحمة والاطمئنان لمتبعيه، ومما جاء به عليه الصلاة والسلام؛ إنذاراً وتحذيراً: التحذير من الزنا ووسائله، فالزنا يا عباد الله محرم في جميع الشرائع والديانات منذ خلق الله تعالى الإنسان على وجه المعمورة، ولم يحل في وقت من الأوقات، ولا بأي حالة من الحالات، وهو من الذنوب والموبقات المهلكات المدمرات للأفراد والجماعات، نصوصه واضحة وأدلته قاطعة؛ ذلكم لتستقيم الأخلاق، وتصفو

النفوس، وتستقر الأنساب، وتطهر الأعراض، فلا يبرأ رجل من ولده حينما يعرف أن زوجته لا تزني، وإن تبرأ منه وهو غير متحقق أنه من الزنا وقع في الوعيد الشديد والعذاب الأكبر، وحرم رؤية الله يوم القيامة التي يتلذذ بها المؤمنون الصادقون، وحينما تسلم المرأة من الزنا تطئمن على نسب ولدها، وأنها لم تلحق في القوم من ليس منهم، وبذلك تسلم من وعيد رسول الله ﷺ للمرأة التي تزني وتلحق أولادها بزوجها وعشيرته وهو ليس منهم؛ قال ﷺ: **(أيما امرأة ألحقت بقوم من ليس منهم فليست من الله بشيء، ولن تروح رائحة الجنة)**.

أيها المسلمون: كما حرم الله الزنا، حرم وسائله التي تدني إليه وتحمل عليه وتقحم المرء فيه؛ فالتباعد عن وسائل الزنا واجب مطلوب من أي فرد من أفراد المسلمين، حتى لا تنتشر هذه الفاحشة في المجتمعات، وتنقطع جرائمها المؤلمات؛ فإنه ما فشا الزنا في قوم إلا فشا فيهم الطاعون والأمراض التي لم تكن في أسلافهم، وأصيبوا بالذل من أعدائهم، وحل فيهم الجبن والخوف، وهبوط هممهم، وخسة مسلكهم؛ حيث نزلوا إلى مستوى الحيوانات؛ لما في الزنا من المفاسدة الكثيرة الواضحة التي لا يرضى بها عقل سليم، قال بعض المفسرين؛ مبيناً ما يشتمل عليه الزنا من المفاسد:

أولا: اختلاط الأنساب واشتباهها؛ فلا يعرف الإنسان أن الولد الذي أتت به الزانية أهو منه أو من غيره؟ فلا يقوم بتربيته ولا يستمر في تعهده، وذلك يوجب ضياع الأولاد، وانقطاع النسل، وخراب العالم.

ثانيها: أنه إذا لم يوجد سبب شرعي لأجله يكون هذا الرجل أولى بهذه المرأة من غيره، لم يبق في حصول ذلك الاختصاص إلا التواثب والتقاتل،

وذلك يفضي إلى فتح باب الهرج والمرج والمقاتلة، وكم سمعنا وقوع القتل الذريع بسبب إقدام امرأة على الزنا.

ثالثا: أن المرأة إذا باشرت الزنا، وتمرنت عليه يستقذرها كل طبع سليم وكل خاطر مستقيم، وحينئذ لا تحصل الألفة والمحبة، ولا يتم السكن والازدواج، ولذلك فإن المرأة إذا اشتهرت بالزنا تنفر عن مقارنتها طباع أكثر الخلق.

رابعا: أنه إذا انفتح باب الزنا فحينئذ لا يبقى لرجل اختصاص بامرأة، وكل رجل يمكنه التواثب على كل امرأة شاءت وأرادت، وحينئذ لا يبقى بين نوع الإنسان وبين سائر البهائم فرق في هذا الباب.

خامساً: أنه ليس المقصود من المرأة مجرد قضاء الشهوة، بل أن تصير شريكة للرجل في بناء الأسرة، وأن تكون ربة البيت وحافظة للباب، وأن تكون قائمة بأمور الأولاد ومهمات المنزل، وهذه المهمات لا تتم إلاَّ إذا كانت المرأة مقصورة الهمة على هذا الرجل الواحد، منقطعة عن سائر الرجال؛ وذلك لا يحصل إلا بتحريم الزنا وسد هذا الباب بالكلية.

وكفى بالزنا إثماً وجرماً وصف الله تعالى له بالمقت، والفحش، وسوء الطريق، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلاً﴾[1]. فلأجل ما تقدم ولغيره صار القذف به أشد الشتم وأبأسه على صاحبه، ورتب الله تعالى على الشاتم به ما لم يرتبه على سائر الشتم في الحد وهو ثمانون جلدة.

ألا وإن من وسائله خروج النساء من بيوتهن ومخابئهن متجملات متشبهات بالكافرات والمشركات، قدوتهن الشيوعيون والشيوعيات يجرين خلف أعدائهن

(١) سورة الإسراء، الآية [٣٢].

النصرانيات واليهوديات، متجافيات عن مسلك المؤمنات القانتات الصادقات الخاشعات المتصدقات ولفروجهن حافظات، ولأبدانهن متسترات على طريقة أمهات المؤمنين، وزوجات سيد المرسلين المأمور بأمرهن وبناته ونساء المؤمنين بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾[1].

فالمرأة المسلمة لا تخرج إلا لحاجة، ولا تخرج متطيبة ولا بثياب ضيقة تبرز مفاتنها وهي مأمورة بما أمرت به أمهات المؤمنين ﴿ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾[2]، وإذا خرجت فلتخرج متعففة وبجلبابها متلحفة، وعن مجتمعات الرجال متحفظة، وعن طريقهم متباعدة، غير ناظرات ولا منظورات.

فرحم الله امرأة كفت شرورها وأطفأت سهامها، وسلم الرجال من جراء شؤمها.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[3].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

---

(١) سورة الأحزاب، الآية [٥٩].

(٢) سورة الأحزاب، الآية [٣٣].

(٣) سورة النور، الآية [١-٢].

الخطبة السابعة والخمسون:

تحريم خلوة الرجل بالمرأة الأجنبية

الحمد لله هدانا إلى أحسن الأخلاق، ولا يهدي لأحسن الأخلاق إلا هو، سبحانه شرع لنا ما فيه سعادتنا في الدنيا والآخرة، وأشهد أن لا إله إلا الله أرشدنا إلى طريق الحق والهدى ودعانا إلى الالتزام بأوامره، واجتناب منهياته.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله جاء بالهدى ودين الحق؛ لإقامة مجتمع إسلامي قائم على الفضيلة والسلوك السوي ﷺ وعلى آله وأصحابه الذين طبقوا شريعة ربهم، والتزموا بتوجيهات نبيهم، وسلكوا في حياتهم كلها مسالك عباد الرحمن الذين يرجون رحمته ويخافون عذابه، ذلك لمن خشي ربه.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى، اتقوا من يعلم السر وأخفى، ومن هو أعلم بمصالح عباده حالاً ومئالاً؛ فالخير كل الخير فيما أمر به، والشر كل الشر فيما نهى عنه نبيه عليه الصلاة والسلام الذي بعثه؛ ليتمم مكارم الأخلاق، فبلغ الرسالة وأدى الأمانة، فأمر وحث على مكارم الأخلاق، ونهى عن سفاسفها فما قامت أمة، ولا نهض مجتمع، ولا تماسكت أطرافه ولا شمخت أفراده، وعلت صفاته إلا بالحفاظ على الأخلاق، ويهبط بإهمالها ويتضعضع بتركها، ويتفكك حين تسوده الرذائل، كما تخلى عن الفضائل.

واعلموا أنه من أشنع الجرائم وأفظعها وأغلظها عقوبة، وأشدها جرماً دنيا وأخرى: الزنا، فهو محرم في كل ملة، وما استباحه أحد إلا كفر، وما فعله مسلم من دون استباحته إلا عرض نفسه لأشد العقوبات، عاجلاً أو آجلاً،

وإن الله تعالى إذا حرم شيئاً حرم وسائله التي توصل إليه وتفضي إلى فعله ؛ فإن من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه ، وإن من وسائل الزنا التي فشت في مجتمعنا ، وأصبحت مألوفة عند بعضنا بحكم تعودهم عليها ؛ لأنها تسربت من مجتمعات لا تؤمن بالله تعالى ، ولا باليوم الآخر ولا تبالي بالزنا فضلاً عن وسائله: الخلوة ، خلوة الرجل بالمرأة الأجنبية التي ليست محرماً له ، ولا زوجة ؛ فقد حذر ﷺ من ذلك أشد التحذير ، وأناط اجتنابه بالإيمان بالله واليوم الآخر ؛ ذلك لأن الذي يؤمن بالله واليوم الآخر هو الذي يفكر في العواقب فيراقب الله تعالى عندما تراوده نفسه على فعل المعصية ؛ والذي يؤمن بالله واليوم الآخر أغلى ما عنده ، أن يجده الله تعالى حيث أمره ، وأن لا يجده حيث نهاه ، ومن لا يؤمن بالله واليوم الآخر لا يبالي بذلك كله ، فعن جابر ابن عبدالله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : **(من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يخلون بامرأة ليس معها ذو محرم منها ، فإن ثالثهما الشيطان)**.

فانظر أيها المسلم إلى قول النبي ﷺ : **(فإن ثالثهما الشيطان)**. فمعناها : بأن يزين لهم الشيطان الوقوع في الفاحشة حيث سهلت وسائلها ، وتهيأت أسبابها ، إذ لا رادع من محرم حاضر ، ولا مسلم غائر ، ولا مانع ديني من قلبه ؛ وحيث إنه لا عصمة لغير الأنبياء أمر الرسول ﷺ بالتباعد عن وسائل الزنا ووسائل الفحش والمنكرات ، فخلوة الرجل بالمرأة الأجنبية منه حرام مهما وثق الإنسان من نفسه ودينه ومروءته ، فالرسول ﷺ لا ينطق عن الهوى ، والشيطان حي لم يمت.

فالشيطان حريص كل الحرص على فشو الزنا ووسائله في المجتمعات الإسلامية ؛ لعلمه بأنها أكبر معول لهدمها ، وتأخرها وهبوطها وذلها أمام أعدائها.

فليتق الله المسلم ولا يخالف نهي النبي ﷺ بزعم أنه لا يهوى الفاحشة ولا يريدها وأن مروءته تمنعه من ذلك ، فقول الرسول ﷺ أصدق من زعمه ، وأعلى من ظنه ، وأكبر من توهمه ، فها هي امرأة العزيز تغلق الأبواب فتراود يوسف عليه السلام ، ولكن الله تعالى عصمه كما حكى الله تعالى ذلك عنه في القرآن الكريم ، وهاهي المرأة تراود الشاب التقي ثم تشتكيه إلى عمر ؛ لما أنه لم يطاوعها.

وها هو أحد العلماء الأتقياء يقول : لأن أؤتمن على خزائن الذهب والفضة أهون عليَّ من أن أؤتمن على امرأة سوداء ،

لا يأمنن على النساء أخ أخاً فعلى النساء تقاتل الأخوان

فالمسلم المحافظ على دينه وأمانته وسلامة أخلاقه يجتنب ما حذر منه الرسول ﷺ من الخلوة بامرأة أجنبية ليست من محارمه ، سواء كانت زوجة لأحد أقاربه كأخ وعم وخال ، أو كانت من جماعته ؛ قال ﷺ : **(إياكم والدخول على النساء)**. قال : يا رسول الله ، أرأيت الحمو؟ قال : **(الحمو الموت)**. وإن من الخلوة المحرمة ما يتساهل فيه بعض المسلمين من خلوته بإحدى زوجات أقاربه ، أو الطبيب يخلو بالمريضة ، أو ركوب المرأة وحدها مع أجنبي في السيارة ؛ فإنها تعتبر خلوة ، ودخول المرأة مع الخياط خلف الستارة ليأخذ مقاسها ، وكذلك خلوها معه في الدكان والمتجر وكذا خلوه بالخادمة في البيت.

فليتق الله تعالى المسلم ولتتقِ الله تعالى المسلمة، ولا يكونا سبب سوء يعم شؤمه كثيراً في مجتمعنا الإسلامي.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةًۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾[1].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

(١) سورة الأنفال، الآية [٢٥].

الخطبة الثامنة والخمسون:

حكم سفر المرأة دون محرم

الحمد لله الذي ينير البصيرة بنور الإيمان، أحمده سبحانه وأشكره فهو المنعم بالبيان والتبيين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أنزل القرآن؛ ليكون به الفرقان بين الحق والباطل، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث؛ ليتمم مكارم الأخلاق، ويقر محاسن العادات، وينهى عن سفاسفها ورذائلها، اللهم صلِّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه وجميع أتباعه المتمسكين بهديه والمتأدبين بآدابه.

أما بعد:

أيها الناس: اتقوا الله تعالى واتقوا يوم التناد يوم تولون مدبرين مالكم من الله من عاصم، واتقوا اليوم الموعود، واليوم المشهود.

عباد الله المؤمنين: إن مما يحتمه عليكم إيمانكم وإسلامكم أن تعرفوا ما دلت عليه كلمة التقوى من الحقيقة والمعنى في العاجل والآجل، فاتقوا الله تعالى وقولوا قولا سديدا، قولا رشدا قولا يرضي الله تعالى ويوافق سنة رسوله ﷺ، فيما تقولونه بألسنتكم مشافهة أو كتابة فردية أو صحفية أو إذاعية أو غير ذلك، فكما يجب على المسلم أن يراقب الله تعالى في أعماله، فإنه يجب عليه أن يراقبه في أقواله فلا ينطق ولا يكتب إلا ما يرضي الله تعالى ويوافق سنة رسوله ﷺ، مهما أمرته النفس الأمارة بالسوء أودعته الحوافز كائنة ما كانت، فمن قال القول السديد فسيجني ثمرته وهي صلاح عمله، ومغفرة ذنوبه، والحظ الأوفر من الفوز العظيم؛ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا

سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[1].

أيها المسلمون: لقد قرر علماء المسلمين ورثة الأنبياء «أن مثل الإيمان كمثل بلدة لها خمسة حصون، الأول من ذهب، والثاني من فضة، والثالث من حديد، والرابع من آجر، والخامس من لبن فما زال أهل الحصن متعاهدين حصن اللبن لا يطمع العدو في الثاني فإذا أهملوا ذلك طمع في الحصن الثاني، ثم الثالث حتى تخرب الحصون كلها، فكذلك الإيمان في خمسة حصون؛ اليقين، ثم الإخلاص، ثم أداء الفرائض، ثم السنن، ثم حفظ الآداب، فما دام المسلم يحفظ الآداب ويتعاهدها، فالشيطان لا يطمع فيه، وإذا ترك الآداب طمع الشيطان في السنن، ثم في الفرائض، ثم في الإخلاص، ثم في اليقين». ألا وإن من الآداب التي تجب المحافظة عليها ما يتصل بالأعراض فيتحتم على المسلمين أن يتباعدوا عن وسائل هتك الأعراض التي حذرت منها شريعتنا الغراء، ولا زال عز دولة المسلمين قائم ما دامت تحافظ على الأعراض، وتتباعد عن وسائل هتكها، ومازال الأعداء من اليهود والنصارى وسائر الكفار يحاولون مع المسلمين ليتساهلوا في أعراضهم، وأن تفشوا في مجتمعاتهم الأسباب التي تردي الأخلاق إلى الحضيض الأسفل؛ لأنهم يعرفون أن ضعف دولة المسلمين وتفكك مجتمعهم بمخالفتهم الشريعة، وبتساهلهم في الأخلاق، فعظموا شأن النساء؛ كي تسيطر على الرجال، وتقضي على القوامة التي في أيديهم عليهن، وبذلك يخالفون قول الله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى

(١) سورة الأحزاب، الآية [٧٠-٧١].

ٱلنِّسَآءِ﴾[(١)] فسهلوا خروج النساء متبرجات، واختلاطهن بالرجال، كما نادوا بالاختلاط بين الرجال والنساء في كل المجالات، وهذا عنوان كل بلاء وكل انحطاط، والتاريخ يشهد بذلك في الحاضر والمستقبل، وفي القريب والبعيد، ومما يشجع الأعداء في مهمتم بعض من يدّعي الإسلام وهو لا يعرف الإسلام وآدابه، فيؤيدهم فيما ينادون به من الأعمال الهدامة للآداب والأخلاق، فنساؤهم يبرزن متبرجات، ويرى هذا من ضَعُفَ إيمانه فينادي به، ونساؤهم مختلطات بالرجال فتلتهب الغرائز من الطرفين، ولضعف يقينه ينادي بذلك، ونساؤهم تسافر حيث شاءت ومتى شاءت غير متقيدات بمحرم، فيكن عرضة للإفساد والفساد، فيأتي من ضَعُفَ إيمانه بالشريعة المحمدية فينادي بذلك؛ لعمىً أزال نور قلبه عن رؤية الآثار السيئة المترتبة على ذلك، وما علم أن رسول الله ﷺ ناشد المرأة المؤمنة بالله وباليوم الآخر أي-المؤمنة بوجود الله تعالى وتشريعاته أو المؤمنة بثوابه وعقابه -ناشدها-ألاَّ تسافر يوماً وليلة إلا مع ذي محرم أو زوج، فقال عليه الصلاة والسلام: **(لا يحل لأمرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر إلا مع ذي محرم)**. وعن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ: **(لا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم، ولا يدخل عليها رجل إلا ومعها محرم)**. فقال رجل: يارسول الله، إني أريد أن أخرج في جيش كذا أو كذا وامرأتي تريد الحج؟ فقال: **(أخرج معها)**. وفي حديث أبي سعيد قال: (أربع سمعتهن من رسول الله ﷺ فأعجبني: **(ألاّ تسافر المرأة مسيرة يومين ليس معها زوجها أو ذو محرم، ولا صوم يومين: الأضحى والفطر ولا صلاة بعد صلاتين: بعد العصر حتى تغرب الشمس، وبعد الفجر حتى تطلع الشمس،**

(١) سورة النساء، الآية [٣٤].

ولا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى).

فانظر أخي المسلم، إلى صراحة هذه النصوص بالنهي عن سفر المرأة وحدها، وكيف آثر الرسول عليه الصلاة والسلام الحفاظ على العرض على النذر والجهاد، فهل يصح بعد ذلك لقائل أن يجوّز سفر المرأة وحدها إذا رضي أولياؤها؟! فلا عبرة بأي رضا مادام رسول الله ﷺ لم يرض؛ قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾(١) فالمرأة بدون محرم مطمع للذئاب من الرجال وضعيفي الإيمان، ولا تستطيع حماية نفسها وعرضها؛ لضعفها وعدم مقاومتها، وسرعان ما تتغلب عليها الرجال، أو تتغلب عليها غريزتها الجنسية، هذا مع التعرض لقهرها على عرضها، فلا يرضى أحد باختلاط امرأته مع الرجال أو خلوتهم بها، أو سفرها وحدها إلا عصى الله تعالى ورسوله ﷺ، وأصبح ديوثا كما وصفه رسول الله ﷺ، والديوث هو: الذي لا غيرة له على نسائه، ولكن لا يزال المجتمع الإسلامي بخير ما دام ولاة الأمر ومن بأيديهم السلطة يضربون على أيدي العابثين بالأخلاق، ولا يزال المسلمون بخير مادامت هذه السلطة تنفذ شرع الله تعالى ولا تشرع لنفسها ولا تقبل شرع غيرها ممن لا يؤمن بالله واليوم الآخر، وتقمع من سولت له نفسه مخالفة كتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ، وأسس مبادئها الثابتة المبنية على القيم الدينية والخلقية؛ لذا فإن على كل راع مسلم أن يتصور أن من خالف الله تعالى ورسوله ﷺ فهو عدو له، ويريد تحطيمه؛ حيث إن ذلك لا يتناسب مع الإسلام الذي يدعيه ولا مع المسلمين

---

(١) سورة الأحزاب، الآية [٣٦].

الذين هو راع عليهم، وإليك أخي المسلم أقوال علماء الإسلام في سفر المرأة في حج الفريضة من دون محرم: فجمهور العلماء أنه لا يجب عليها إذا لم يتوفر المحرم، وقال بعضهم: يجوز لها أن تسافر لأداء الفرض من دون محرم، إذا كانت في مجموعة نساء ثقات، والطريق مأمون، فأين الثقة في وقتنا الآن؟ إلا أن يشاء الله؟ وأين الأمانة على الأعراض؟ ثم إن هذا القول ما هو إلا اجتهاد واستنباط من بعض أقوال العلماء، وقال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيما اتفق عليه من منع المرأة عن السفر وحدها وفيما اختلف فيه[١]: «لم يختلفوا في أنه ليس للمرأة السفر في غير فرض الحج إلا مع زوج أو محرم إلا كافرة أسلمت في دار الحرب، أو أسيرة تخلصت، وزاد غيره أو امرأة انقطعت من الرفقة فوجدها رجل مأمون فإنه يجوز له أن يصحبها حتى يبلغها الرفقة»، فاتقوا الله تعالى أيها المسلمون وتمسكوا بإسلامكم وتوجيهات رسولكم: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[٢].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[٣].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

---

(١) فتح الباري ج٤ ص٧٦.

(٢) سورة ق، الآية [٣٧].

(٣) سورة الأحزاب، الآية [٧٠-٧١].

الخطبة التاسعة والخمسون:

النصيحة

الحمد لله الملك العلام، يثيب بفضله من قام بحقه واستقام، ويعاقب بعدله من خرج عن الطريق فضل وهام، فصار حظه التخيلات والأوهام، أحمده سبحانه لا يماثل ولا يضاهى ولا يضام، وأشكره على ما أولاه من الإحسان والإفضال والإنعام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ذو الجلال والإكرام، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله جاء بالنور ليخرج البشرية به من الظلام، اللهم صلِّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه البررة الكرام.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى، واعلموا أنكم مخلوقون مربوبون، مأمورون ومنهيون، مثابون ومعاقبون، فهذا هو الدين، وعماد الدين وقوامه: النصيحة ففي الحديث: **(الدين النصيحة)**، قلنا: لمن يارسول الله؟ قال: **(لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)**.

فالنصيحة كلمة جامعة؛ معناها: الإخلاص للمنصوح، والسلامة من الغش والدجل والحقد والمخالفة، فالنصيحة من وجيز الكلام كما قيل في كلمة (الفلاح) أنه ليس هناك كلمة أجمع منها لخيري الدنيا والآخرة.

فهذا الحديث عظيم الشأن اهتم العلماء به؛ لأنه تدور عليه قواعد الدين وشهدت له أحاديث أخرى، وقد خرج الطبراني عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: **(من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم، ومن لم يمس ويصبح ناصحاً لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامة المسلمين فليس منهم)**، فهذا يدل على أن النصيحة تشمل خصال الإسلام والإيمان والإحسان.

وقد ورد في أحاديث كثيرة الأمر بالنصح للمسلمين عموما، وفي بعضها النصح لولاة الأمور خصوصا، وفي بعضها نصح ولاة الأمور لرعاياهم، فأما الأول وهو النصح للمسلمين عموماً؛ ففي الصحيحين عن جرير عن عبدالله ﵄ قال: (بايعت النبي ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم).

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ قال: **(حق المؤمن على المؤمن ست**–فذكر منها–**وإذا استنصحك فانصح له)**. وفي المسند عن حكيم بن أبي يزيد عن أبيه عن النبي ﷺ قال: **(إذا استنصح أحدكم أخاه فلينصح له)**.

وأما الثاني وهو النصح لولاة الأمور ونصحهم لرعاياهم؛ ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ قال: **(إن الله يرضى لكم ثلاثا: يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم)**.

وفي المسند وغيره عن جبير بن مطعم ﵁ أن النبي ﷺ قال في خطبته بالخيف من منى: **(ثلاث لا يغل عليهن قلب امريء مسلم: إخلاص الدين لله، ومناصحة ولاة الأمور، ولزوم جماعة المسلمين)**. وجاء في نصح الموظف؛ مافي الصحيحين عن معقل بن يسار ﵁ عن النبي ﷺ: **(ما من عبد يسترعيه الله رعية ثم لم يحطها بنصيحة إلا لم يدخل الجنة)**.

وهذا يعم أي موظف كان وأي مسئول كان وأي متولٍ أمراً من أمور المسلمين، لا سيما المرافق الخطيرة كالتعليم والإعلام، وما يتصل بالأمن العام فإنه يتأكد النصح فيها إذ إنها سبب لجمع القلوب وافتراقها، ولموتها أو حياتها.

وقد ذكر الله تعالى في كتابه عن الأنبياء أنهم نصحوا لأممهم فأتباع الأنبياء كذلك يجب عليهم ذلك.

قال تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾(١).

وقال تعالى عن هود عليه السلام: ﴿وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾(٢).

وقال تعالى عن صالح عليه السلام: ﴿وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾(٣).

وقال تعالى عن شعيب عليه السلام: ﴿وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾(٤).

وقال تعالى للذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ لعذر من الأعذار: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٥).

وهؤلاء بخلاف المنافقين الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ، واعتذروا وهم كاذبون باعتذارهم؛ فهم غير ناصحين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾(٦).

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

---

(١) سورة الأعراف، الآية [٦٢].
(٢) سورة الأعراف، الآية [٦٨].
(٣) سورة الأعراف، الآية [٧٩].
(٤) سورة الأعراف، الآية [٩٣].
(٥) سورة التوبة، الآية [٩١].
(٦) سورة التغابن، الآية [١٦].

الخطبة الستون:

معنى النصيحة لله

الحمد لله الذي أكمل لنا الدين وأتم علينا النعمة، وجعل أمتنا ولله الحمد خير أمة، وبعث فينا رسولاً منا يتلو علينا آياته ويزكينا ويعلمنا الكتاب والحكمة، أحمده سبحانه على نعمه الجمة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تكون لمن اعتصم بها خير عصمة، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله للعالمين رحمة، وفرض عليه بيان ما أنزل إلينا فأوضح لنا كل الأمور المهمة، وخصه بجوامع الكلم فربما جمع أشتات الحكم والعلوم في كلمة أو شطر كلمة، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة تكون لنا نوراً من كل ظلمة، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى وأطيعوه، وأطيعوا رسوله ﷺ، فإن تطيعوه تهتدوا وإن تعصوه فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم، وما على الرسول إلا البلاغ المبين: ﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾[1]، فمن أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار، ففي الحديث: **(كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى)**، قالوا: ومن يأبى يارسول الله؟ قال: **(من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى)**. ألا وإن من طاعة رسول الله ﷺ أن نجعل شعارنا النصح؛ فإن النصيحة هي الدين ففي الحديث الشريف: **(الدين النصيحة)**، قلنا: لمن يارسول الله؟ قال: **(لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)**.

---

(١) سورة النور، الآية [٥٤].

فمن لم يكن عنده نصح لهؤلاء الخمسة فليس عنده دين، فيبقى علينا معرفة معنى النصيحة لهؤلاء الخمسة:

فأولاً: النصح لله تعالى، بمعنى: حبه وتعظيمه والإخلاص له؛ رجاء ثوابه وخوف عقابه، ومقتضى حبه تعالى والإخلاص له هو: توحيده ووصفه بصفات الكمال والجلال ودعاؤه والتوسل إليه بأسمائه الحسنى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾(١).

ومن النصيحة لله تعالى: تنزيهه عما لا يليق بجلاله وعظمته، وأن نثبت له من الأسماء والصفات ما أثبته لنفسه وما أثبته له رسوله من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل على حد قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾(٢) ومن النصيحة لله تعالى: ألاَّ نعبد إلا إياه ولا نستغيث إلا به، ولا نذبح إلا له، ولا نستعيذ إلا به، ولا نحلف إلا به، فلا نحلف بغيره من المخلوقين، ولا بالآباء، ولا بالشرف، ولا بالأمانة، ولا بالكعبة، ولا بحياة أحد، وننسب نعمه له، فلا ننسبها لغيره، ونؤمن بقضائه وقدره، ونفعل ما أمرنا به من الأسباب المشروعة التي هي من الإيمان بالقدر، ونجتنب ما نهى عنه، ومن النصيحة لله تعالى: جهاد الكفار والمنافقين وبغضهم وبغض كفرهم: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾(٣)، وجهادهم يكون بقتالهم مع ولي أمر المسلمين، أما بالنسبة لأفرادنا فجهاد الكفار والمنافقين بالعلم والمعرفة ودعوتهم إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ

---

(١) سورة الأعراف، الآية [١٨٠].

(٢) سورة الشورى، الآية [١١].

(٣) سورة التحريم، الآية [٩].

وترك الكفر والنفاق؛ وأن نحذر من طاعتهم؛ فإنهم غاشون لله تعالى غير ناصحين، وهم دوماً يريدون إبعاد المؤمنين عن النصح لله تعالى؛﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾(١).

فيا عباد الله: إن رأس النصيحة لله تعالى: الإيمان به وأنه هو المعبود بحق وحده، لا شريك له لا في الأفعال ولا في الأقوال، وذلك هو مدلول كلمة الإخلاص؛ لا إله إلا الله ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾(٢) وهذا أساس دعوة الرسل، ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ ﴾(٣).

فما أوضح تفسير لا إله إلا الله في هذه الآية وفي قول إبراهيم لأبيه وقومه: ﴿ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾(٤).

فمن قال: لا إله إلا الله ولم يكفر بما يعبد من دون الله ويعتقد تحريمه، فإنها لن تنفعه لا إله إلا الله، ولم يكن مؤمنا، وما أوضح هذا في كثير من أفراد المسلمين في وقتنا الحاضر الذين يتدينون بالصلاة والزكاة والصيام وغير ذلك من العبادات، لكنهم لا يظهرون بغض الكفار، بل ربما يظهرون موافقتهم في الأقوال والأفعال، فهذا هو البلاء وهو الغش لرب الورى؛ فإن إضمار بغض الكفر والكفار لا ينفع صاحبه مع إظهار موافقتهم ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّـٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ

---

(١) سورة الأحزاب، الآية [٤٨].

(٢) سورة النساء، الآية [٣٦].

(٣) سورة النحل، الآية [٣٦].

(٤) سورة الزخرف، الآية [٢٦-٢٨].

ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ﴾(١) فمن آمن بالله تعالى ولم يكفر بالطاغوت فقد أفلت يده من العروة الوثقى ؛ لأن العروة الوثقى هي مجموع الأمرين.

وهذا هو معنى لا إله إلا الله. وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: **(من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله عزوجل)**.

قال الإمام محمد بن عبدالوهاب -رحمه الله- وسائر علماء المسلمين ونفعنا بعلومهم- لما ساق هذا الحديث: «وهذا من أعظم ما يبين معنى لا إله إلا الله ؛ فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصما للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله فإن شك أو توقف لم يحرم ماله ودمه، فيالها من مسألة ما أعظمها وأجلها، وياله من بيان ما أوضحه، وحجة ما أقطعها للمنازع».

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝٢ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾(٢).

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

(١) سورة البقرة، الآية [٢٥٦].

(٢) سورة الأحزاب، الآية [١-٣].

الخطبة الحادية والستون:

إصلاح السرائر

الحمد لله الذي أمر بتقواه، أحمده سبحانه وأشكره، فهو أهل التقوى وأهل المغفرة، وأشهد ألاَّ إله إلا الله وحده لا شريك له، فلا معبود بحق إلا إياه، ولا رب سواه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إمام المتقين.

اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وأصحابه وكل من اطاع ربه واتقاه.

أما بعد:

فيأأيها الناس اتقوا الله تعالى، واعلموا أن الحياة السعيدة، والعقيدة الصحيحة، والفطرة السليمة بإصلاح العلانية والسريرة، وذلك بملازمة تقوى الله تعالى في جميع الأحوال، ظاهراً وباطناً، اعتقاداً ونطقاً وعملاً، أينما كان المرء وأينما حل وحيثما رحل ونزل، ليلاً ونهاراً، سرا وجهارا، أوصى نبينا محمد ﷺ أباذر الصحابي الجليل رضي الله عنه قال: **(اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن)**[1]. فهذه الوصية وصية عظيمة جامعة لحقوق الله تعالى وحقوق عباده؛ فإن حق الله تعالى على عباده أن يتقوه حق تقاته، فأول ما أوصى به تقوى الله تعالى أينما كان، والتقوى التي أمر الله تعالى بها في مواضع كثيرة من القرآن الكريم-وأمر بها رسوله ﷺ هي وصية الله تعالى لخلقه الأولين والآخرين: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾[2].

(١) رواه الترمذي رقم (١٩٨٧).

(٢) سورة النساء، الآية [١٣١].

فجدير بكل مسلم امتثال أمر الله تعالى وقبول وصية خالقه ومربيه والمنعم عليه بجميع أنواع النعم؛ قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ۝٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾(١). فالله تعالى أمر بعبادته، والتقوى هي جامع العبادة، لذا أمر الله تعالى الناس بها عموما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾(٢). وفي مواضع عدة من القرآن الكريم، وخص بها المؤمنين في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾(٣)، والمؤمنون قد اتقوا الله تعالى، فيكون معنى الأمر: التزود من التقوى والمداومة عليها، والاستمرار: ﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾(٤). ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾(٥).

أيها المسلمون: لزاما على كل إنسان أن يعرف حقيقة التقوى وجوهرها فالأصل فيها: أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره وقاية تقيه منه، فتقوى العبد لربه: أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه من غضبه وسخطه وعقابه وقاية

---

(١) سورة البقرة، الآية [٢١- ٢٢].

(٢) سورة النساء، الآية [١].

(٣) سورة التوبة، الآية [١١٩].

(٤) سورة البقرة، الآية [١٩٧].

(٥) سورة آل عمران، الآية [١٠٢].

تقيه من ذلك وهي فعل طاعته واجتناب معاصيه، وهذا هو معنى إضافة التقوى إلى اسم الله عز وجل كقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾(١)، أي: اتقوا سخط الله وغضبه وهو أعظم ما يتقى ومن ذلك ينشأ عقابه الدنيوي والأخروي.

قال تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾(٢) وقال: ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾(٣) فهو سبحانه أهل أن يخشى ويهاب ويجلَّ ويعظم في صدور عباده؛ حتى يعبدوه ويطيعوه؛ لما يستحقه تعالى من الإجلال والإكرام وصفات الكبرياء والعظمة وقوة البطش وشدة البأس، وفي الحديث القدسي قال تعالى: **(أنا أهل أن أتقى، فمن اتقاني فلم يجعل معي إلهاً آخر، فأنا أهل أن أغفر له)**(٤).

أيها المسلمون التقوى الكاملة أن تعمل بطاعة الله تعالى على نور من الله عز وجل، ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله تعالى على نور من الله عز وجل تخاف عقابه، وحقيقة ذلك: فعل الواجبات وترك المحرمات والشبهات، وربما دخل فيها بعد ذلك فعل المندوبات وترك المكروهات، وهي أعلى درجات التقوى، فعن معاذ ابن جبل رضي الله عنه أنه قال: (يُنادى يوم القيامة، أين المتقون؟ فيقومون في كنف الرحمن لا يحتجب منهم ولا يستتر)، قالوا له: من المتقون؟ قال: (قوم اتقوا الشرك وعبادة الأوثان وأخلصوا لله بالعبادة)(٥).

---

(١) سورة المائدة، الآية [٩٦].

(٢) سورة آل عمران، الآية [٢٨، ٣٠].

(٣) سورة المدثر، الآية [٥٦].

(٤) رواه الإمام أحمد رقم (١٢٤٤٢)، والترمذي (٣٣٢٨)، وابن ماجه (٤٢٩٩).

(٥) ذكره الحافظ ابن رجب في شرح الحديث (١٨) من كتابه جامع العلوم والحكم.

وقال ابن مسعود في قوله تعالى: ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾ قال: (أن يطاع فلا يعصى، وأن يذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر).

ويجب على العاقل أن يأخذ مما عنده لما بعده من التقوى والعمل الصالح بإصلاح السريرة.

فأعظم صفات العاقل أن يصلح سريرته بملازمته تقوى الله تعالى؛ لأن من صلح باطنه صلح ظاهره، ويعلم علم اليقين أن الله تعالى رقيب عليه في الخلوة والمشاهدة، وأن يجعل نصب عينيه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾.

جعلنا الله تعالى ممن تلبس في ثياب التقى، وجعلها مطيته إلى رضوان الله تعالى، فهي وصية الله لعباده الأولين والآخرين، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدٗا ﴾.

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب فاستغفروه إنه غفور رحيم.

❊ ❊ ❊

الخطبة الثانية والستون:

لزوم الصمت وحفظ اللسان

الحمد لله نحمده ونستعينه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتدي، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشدا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أصدق القائلين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله القائل: **(من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت)**(١). اللهم صلِّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجه وسنته في أقواله وأفعاله.

أما بعد: أيها الناس اتقوا الله تعالى واعلموا أن الله عز وجل خلق الإنسان ورسم له سبيل الهدى والرشاد، وألزم الإنسان بصلاح العمل والقول السديد، حيث أنعم الله تعالى عليه بنعمة الجوارح ومن بينها اللسان الذي جعله وسيلة لإبداء ما في ضميره، والتعبير عمّا يدور في مكنونه، وما دام الأمر في سريرته لم يؤاخذه الله عليه، وحينما ينطق به اللسان يقع عليه الثواب والجزاء.

أيها المسلمون: اللسان ذو حدين يتكلم بالخير وينطق بضده، فأولى بالمتكلم التوخي بالمنطق السليم واجتناب الكلام الذميم؛ إذ اللسان هو المورد للمرء موارد العطب، والصمت يكسبه المحبة والوقار، ومن حفظ لسانه أراح نفسه، والرجوع عن الصمت أحسن من الرجوع عن الكلام، فإنه لا يستطيع أن يعيد ما تكلم به؛ لأن الكلام مَلَكَه بعد أن كان مالكاً له، فالصمت منام العقل والنطق يقظته، فما أكثر من ندم إذا نطق، وأقل من ندم إذا سكت، ولقد جاء

---

(١) متفق عليه، (البخاري ٦٤٧٥، ومسلم ٤٧).

في السنة النبوية: **(من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه)**[١]. فهذا الحديث أصل عظيم من أصول الأدب التي يبنى عليها.

وقد قال بعض الأئمة: جماع آداب الخير وأزمته تتفرع من أربعة أحاديث: قوله ﷺ: **(من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت)**، وقوله ﷺ: **(من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه)**. وقوله ﷺ للذي اختصر له في الوصية: **(لا تغضب)**[٢]، وقوله عليه الصلاة والسلام: **(لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)**[٣].

فحري بكل مسلم أن يمتثل أمر الله تعالى الذي أنعم عليه بنعمة المنطق. فالحديث يريد من كل مسلم أن يترك ما لا يعنيه من قول وفعل مما ليس في حاجة له ولا فائدة فيه ولا سعادة في الدنيا والآخرة، فمعنى قوله عليه الصلاة والسلام: **(مالا يعنيه)**: أي: ما لا تتعلق به عنايته ومطلوبه من الأقوال والأفعال بحكم الشرع والإسلام لا بحكم الرأي والهوى.

فيا أيها المسلمون يجب على كل إنسان أن يجعل على فيه من نفسه رقيباً وقفلاً وثيقاً، حتى لا يكب في النار، وحتى يضمن له الجنة، وليصبح ممن استثناهم الله تعالى عمن نفى الخير عن نجواهم، قال تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[٤] ولقد أخبر النبي ﷺ معاذ بن جبل

---

(١) رواه الترمذي وغيره، وهو عند الترمذي برقم (٢٣١٨).

(٢) البخاري (٥٧٦٥).

(٣) البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥، ٧١).

(٤) سورة النساء، الآية [١١٤].

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين سأله عما يدخل الجنة ويباعد عن النار، فذكر له شيئاً من الأعمال الإسلامية، ثم قال: **(ألا أخبرك بملاك ذلك كله)** فقال معاذ: بلى يا رسول الله، فأخذ بلسانه ثم قال: **(كف عليك هذا)**. قلت: يا نبي الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ قال: **(ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو قال: مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم)**[١]. وعن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: **(من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة)**[٢].

ومن الحكمة قولهم: «أول العبادة الصمت، ثم طلب العلم، ثم العمل به، ثم حفظه، ثم نشره». وما ذلك إلا؛ لأن الصمت أمنة من تحريف اللفظ، وعصمة من زيغ المنطق، وسلامة من فضول القول؛ وهيبة لصاحبه.

قال أبوحاتم: «الواجب على العاقل أن ينصف أذنيه من قوله، ويعلم أنما جعل له أذنان وفم واحد ليسمع أكثر مما يقول؛ لأنه إذا قال ربما ندم، وإن لم يقل لم يندم، وهو على رد ما لم يقل أقدر منه على رد ما قال»[٣].

أيها المسلم، تعاهد لسانك، فلا ترسله فيوقعك في مواقع الردى، وذاك التعاهد بأنك حين تريد أن تتكلم تذكر سمع الله لك، وإذا سكت فاذكر نظره إليك؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن

---

(١) سنن الترمذي (٢٦١٦)، وابن ماجة (٣٩٧٣).

(٢) صحيح البخاري (٦٤٧٤).

(٣) روضة العقلاء.

قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾[١] وأكثر ما يراد بترك ما لا يعني: حفظ اللسان من لغو الكلام؛ فعن أنس بن مالك ﵁ قال: توفي رجل من أصحاب الرسول ﷺ فقال رجل: أبشر بالجنة، فقال رسول ﷺ: **(أو لا تدري فلعله تكلم فيما لا يعنيه أو بخل بما لا ينقصه)**[٢]. فالتاجر يوم القيامة هو من حفظ لسانه والناطق بالقول الصواب.

قال تعالى: ﴿ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ فالذي أوصيكم به ونفسي التفكر بمغزى الكلام وبما يؤول إليه؛ لأن الإنسان يتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالاً يرفعه الله بها درجات، والعبد يتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا فتهوي به في جهنم.

وفي الحديث: **(كلام ابن آدم عليه لا له، إلا ذكر الله عز وجل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)** وقال بعض العلماء: العاقل لا يبتديء الكلام إلا أن يسأله ولا يقول إلا لمن يقبل.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[٣].

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه غفور رحيم.

* * *

---

(١) سورة ق، الآية [١٦-١٨].

(٢) جامع الترمذي (٢٣١٦).

(٣) سورة الأحزاب، الآية [٧٠-٧١].

الخطبة الثالثة والستون:

الاستقامة

الحمد لله الهادي إلى صراطه المستقيم، أحمده سبحانه فهو المنعم المتفضل بهذا الدين القويم، وأشهد ألاَّ إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي قال له ربه سبحانه ﴿ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ ﴾(١) اللهم صلِّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه وكل من توجه إلى الله بقلب سليم.

أما بعد: أيها الناس اتقوا الله تعالى الذي خلقكم وصوركم فأحسن صوركم، واتقوا من خلقكم في أحسن تقويم واستقامة، اتقوا من سيحاسبكم على ما أسبغ عليكم من نعمه، وما أولاكم من سمع، وأبصار، وأفئدة.

اتقوا الله، وكونوا ممن شكر نعمه وهم الأقلون؛ قال الله تعالى: ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾(٢)، اتقوا يوماً أحوج ما يكون فيه أحدنا إلى العمل الصالح الذي يرضى به ربه ويعتق به من النار ويدخله الجنة، واعلموا أن من تقواه سبحانه وتعالى أن تستقيموا في سيركم وتوجهكم إليه، لتقفوا وتمتثلوا بين يديه، وهذه الاستقامة التي أمركم بها هي سلوك الطريق المستقيم، وهذا الطريق الذي جمع هذه الأوصاف هو الدين القويم والصراط المستقيم الذي أمرتم بأن تدعوا ربكم بأن يوفقكم لسلوكه في كل ركعة من ركعات صلواتكم بعد الثناء عليه وتوحيده بأفعالكم، ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

---

(١) سورة هود، الآية [١١٢].

(٢) سورة سبأ، الآية [١٣].

﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾. وهذا الصراط هو الذي بعث رسولنا محمد ﷺ ليهدي ويرشد إليه، ويدل عليه ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[1]، فسالكوه هم الذين أنعم الله عليهم، وهم الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون، ومن سلك سبيلهم كان برفقتهم، ومن خرج عن طريقهم كان برفقة إخوان الشيطان أصحاب الجحيم ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِلۡغَاوِينَ﴾[2].

أيها المسلم، إن دعوى الإسلام باللسان والتنكر له بالجوارح والجنان غير مجد في سلوك الصراط المستقيم فشتان ما بين من يسير في الطريق المعبد مضطربا متقلبا يمنة ويسرة، وبين من سار فيه باعتدال وانتظام، فذاك قد عرض نفسه للعطب والهلاك والخطر والدمار، وهذا ملتمس أسباب النجاة والفوز بالسعادة في الدنيا والآخرة بالجنات: ﴿أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ أَمَّن يَمۡشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[3].

ولما كانت الشهادة باللسان وحده لا تكفي، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾[4] بمعنى أنهم ثبتوا على تلك المقالة واستلزموا مستلزماتها من اعتقاد بالجنان وعمل بالأركان؛ ولهذا قرن الاستقامة بالأعمال الصالحة،

---

(١) سورة الشورى، الآية [٥٢].

(٢) سورة الشعراء، الآية [٩١].

(٣) سورة الملك، الآية [٢٢].

(٤) سورة الأحقاف، الآية [١٣].

فقال رسول الله ﷺ للرجل الذي قال له: قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك! قال: **(قل آمنت بالله ثم استقم)**[(١)]، وقال تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[(٢)]. إن هذه النصوص لتكشف لك أيها المسلم، خط سيرك وطريق سعادتك، فتأمرك بالاستقامة عن الاضطراب، والاعتدال عن الاعوجاج، وتصديق الأقوال بالأفعال بالبعد عن أهل النفاق والشقاق الذين يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم وما لم تعمل به جوارحهم ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾[(٣)]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[(٤)] فما حال من أكذبه ربه ومقت فعله؟، إذ لا منجا ولا ملجأ لك أيها المسلم، إلا سلوك الصراط السوي بأن تصدق قولك باعتقادك، ويظهر مكنون صدرك على أعمالك كما أمرك ربك وأرشدك إليه، وكما علم رسول الله ﷺ هذا السائل حين أجابه ﷺ بما يشفي ويكفي ويروي غليل الظمآن بقوله: **(قل آمنت بالله ثم استقم)** فعلمه كلاماً جامعاً لأمر الإسلام، كافيا وحده لا يحتاج معه إلى غيره، فمن قال: ربي الله، وآمنت بالله، وأسلمت وجهي لله، فعمل بما توجبه هذه الكلمة فهو من أهل الاستقامة، وأما من قالها ثم لم يعمل بمقتضاها ومات على ذلك فهو ممن لم يستقم ولم يعبأ بجزاء المستقيمين، وروي أن عمر رضي الله عنه

---

(١) رواه مسلم (٣٨، ٦٢).

(٢) سورة هود، الآية [١١٢].

(٣) سورة الكهف، الآية [٥].

(٤) سورة الصف، الآية [٢-٣].

قرأ هذه الآية: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ ﴾[١]على المنبر فقال: (استقاموا — والله— لله بطاعته، ولم يروغوا روغان الثعلب)[٢]. فمراد عمر أن الاستقامة أداء الفرائض وتحقيق التوحيد الذي يحرم صاحبه على النار، وهذا هو معنى لا إله إلا الله، أي: المعبود بحق الذي يطاع فلا يعصى؛ خشية وإجلالا ومهابة ومحبة وتعظيماً ورجاء وتوكلا ودعاء.

والاستقامة ضدها المعاصي كلها فإنها قادحة في التوحيد؛ لأنها إجابة لداعي الهوى والشياطين، قال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ ﴾[٣]قال العلماء: هو الذي لا يهوى شيئاً إلا ركبه، فهذا ينافي الاستقامة على التوحيد وعلى الإيمان.

لا جرم لئن كانت الاستقامة مأموراً بها محمد ﷺ والمؤمنون فالخروج عن الصراط المستقيم منهي عنه ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ ﴾[٤]و ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾[٥]، ولئن كانت الاستقامة موصلة إلى الغاية والمقصود، والمرام المحمود، فعدمها فيه الضياع والهلاك والتردي في المتاهات، ولئن كانت الاستقامة طريق الأنبياء والصالحين فالطريق المعوج طريق الضالين ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾[٦] أي: مضطرب مختلف، ولئن كانت الاستقامة من التائبين والمنيبين إلى

---

(١) سورة فصلت، الآية [٣٠].

(٢) تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٣) سورة الجاثية، الآية [٢٣].

(٤) سورة هود، الآية [١١٢].

(٥) سورة الأنعام، الآية [١٥٣].

(٦) سورة ق، الآية [٥].

ربهم والمحسنين، فالفاسق والكافر مطلوب منهم التوبة أولاً، ثم الاستقامة ثانياً، ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾(١) ولئن كانت الاستقامة مطلوبة فتجاوز الحد منهي عنه ﴿ وَلَا تَطْغَوْاْ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾(٢)، ولئن كان السلوك للطريق المستقيم جمعا للشمل ووحدة للكلمة فعدم الاستقامة داعٍ للتفرق والاختلاف ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ﴾ (٣).

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۝ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾(٤).

أقول قولي هذا وأستغفر الله العلي العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

---

(١) سورة هود، الآية [١١٢].

(٢) سورة هود، الآية [١١٢].

(٣) سورة الشورى، الآية [١٣].

(٤) سورة فصلت، الآية [٣٠-٣٢].

الخطبة الرابعة والستون:

الحث على ذكر الله، والتحذير من الإعراض

الحمد لله الواحد القهار، يذكر من يذكره ويجعله مع الأبرار، ويذكره في الملأ الأخيار، أحمده سبحانه وأشكره، وقد تأذن بالزيادة للشاكرين الذاكرين، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾(١)، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أفضل الذاكرين والشاكرين، والمحذر من أعرض عن ذكر رب العالمين، اللهم صل وسلم وزد وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه وجميع أتباعه، الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم.

أما بعد: أيها الناس، اتقوا الله، ولازموا ذكر الله، واحذروا من الإعراض عنه؛ قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ۝٥٧ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلاً ۝٥٨ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَـٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾(٢)، لما حكى الله سبحانه وتعالى عن الكفار جدالهم بالباطل مبينا هدفهم وهو إدحاضهم الحق، وبين استهزاءهم بآيات الله وبرسل الله المبشرين المنذرين والدعاة إلى الحق وإلى الهدى وإلى إنقاذ البشرية من الهلكة إلى النجاة، وصف الله سبحانه وتعالى هؤلاء في هذه الآية التي سمعناها بالصفات

---

(١) سورة الأحزاب، الآيتان [٤١-٤٢].

(٢) سورة الكهف، الآيات [٥٧-٥٩].

الموجبة للهلاك والخذلان، كل ذلك تحذيراً لنا عن سلوك طريقهم واستحسان فعالهم، علماً بأن هذه الصفات ناتجة عن الإعراض عن آيات الله لما ذكروا بها، ومعنى ذُكِّر: وعظ وخوف وبشر بالسعادة، وأنذر عن الشقاوة، والآيات يراد بها: السمعية، أي: التي تسمع في الآذان وتعي القلوب معانيها، ويراد بالآيات أيضاً: الكونية الدالة على قدرة الله المحسوسة كالسموات والأرضين والبحار والنجوم والجبال والشجر والدواب، فالقادر على خلق هذه الأشياء هو المستحق للوفاء والعبادة والسمع والطاعة، وهذه لا تصدر إلا ممن نفعت فيه الذكرى، ووقعت الموعظة من قلبه موقعها، والمعرض عن ذلك هو المعني بهذه الآية والمستحق لهذه الصفات والنتائج، ومعنى الإعراض، أي: الترك والتولي والصدود، وعدم العمل والاستماع.

والمعرض: يسمع وكأنه لا يسمع، ويبصر وكأنه لا يرى، فلا وقع للآيات القرآنية في قلبه كالصفاة لا يقر عليها الماء، وكأن هذه المخلوقات عند المعرض ليس لها خالق، والأوامر ليس لها من يأتمر، والمنهيات ليس لها من ينتهي. ونتائج الإعراض وخيمة ومنها:

- وصف المعرض بالظلم، إذ لا أظلم منه لنفسه بارتكابه المعاصي واستهزائه بالله واستغنائه عن ذكر الله، وقوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ أي: لا ظلم أعظم من كفر من ترد عليه الآيات فأعرض عنها. ﴿وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾[1] من أعمال العصيان والكفر مع أن الله تعالى لم يغفله ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾[2] وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ

(١) سورة الكهف، الآية [٥٧].

(٢) سورة المجادلة، الآية [٦].

رَبُّكَ نَسِيًّا﴾[١]، ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾[٢]. ولا حسرة أعظم من حسرة من فرط في جنب الله؛ ظنا منه عدم المؤاخذة، وحينئذ لا تنفعه مقالته: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾[٣] والنسيان يراد به: التغافل، والتشاغل، والتساهل، والترك، فإن من ترك الأمر بغيا وعدوانا وعصيانا ينسى ما تعمل جوارحه فيصر على عمله ولا يتوب منه.

- ومن نتائج الإعراض جعل الأكنة على القلوب، والوقر في الآذان عن سماع الحق والتفقه فيه، وذلك عقوبة على إعراضهم ورجوعهم عن الصراط المستقيم، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًاۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا﴾[٤].

- ومن نتائج الإعراض أنه نفى الاهتداء عنهم؛ لعلمه بشقاوتهم، قال تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾[٥].

- ومن نتائج الإعراض عن ذكر الله انتقام الله منهم قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾[٦].

---

(١) سورة مريم، الآية [٦٤].

(٢) سورة طه، الآية [٥٢].

(٣) سورة الزمر، الآية [٥٦].

(٤) سورة الكهف، الآية [٥٧].

(٥) سورة الأنفال، الآية [٢٣].

(٦) سورة السجدة، الآية [٢٢].

- ومن نتائج الإعراض كذلك ضنك المعيشة في الحياة مادياً ومعنوياً والعمى في الآخرة ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾(١).

- ومن نتائج المعرضين تشبيههم بالبهائم المتوحشة المنزعجة من الرماة، قال تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ۝ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ۝ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ﴾(٢).

- ومن نتائج الإعراض الوخيمة توقع العقوبة العاجلة من صيحة أو صاعقة أو ريح أو غيرها، قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾(٣).

- ومن النتائج الوخيمة للإعراض، أن الله يسلك صاحبه عذاباً صعداً، أي: شديداً بليغاً، قال تعالى: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾(٤).

- ومن النتائج السيئة للإعراض تقييد قرناء السوء من الشياطين للمعرضين عن ذكر الله؛ ليصدوهم عن الطريق المستقيم وعن السبيل القويم، قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾(٥). والنتائج السيئة والعواقب الوخيمة على من أعرض عن ذكر الله أكثر من أن تحصر ويكفي

---

(١) سورة طه، الآية [١٢٤].

(٢) سورة المدثر، الآية [٤٩-٥١].

(٣) سورة فصلت، الآية [١٣].

(٤) سورة الجن، الآية [١٧].

(٥) سورة الزخرف، الآية [٣٦].

ما ذكر لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾[١].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

---

(١) سورة طه، الآية [١٢٤].

الخطبة الخامسة والستون:

التحذير من هجر القرآن

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴾(١)، وأشهد أن لا إله إلا الله أنزل القرآن هدى للناس يؤمنون به ويحتكمون إليه، وكلاما لا يبدل ولا يغير، ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾(٢). وأشهد أن محمدا عبده ورسوله نبي الإسلام ورسول القرآن وهو القائل: **(تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا كتاب الله وسنتي)** وحذرنا من هجر القرآن حتى لا نكون عرضة لعذاب الله وعقابه.

صلى الله وسلم عليه وعلى أصحابه الذين حفظوا القرآن وعملوا به في أنفسهم وأهليهم ففازوا بالسعادتين في الدنيا والآخرة ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾(٣).

أما بعد: فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى وآمنوا به وبكتابه وبرسوله وبما جاء في سنته يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم.

أيها المسلمون: لقد من الله علينا بنبراس لا يطفأ نوره أبدا، سعد به من سعد، وشقي به من شقي، إن هذا النبراس هو حبل الله المتين طرفه في

---

(١) سورة الكهف، الآية [١-٢].

(٢) سورة الإسراء، الآية [٨٨].

(٣) سورة الزمر، الآية [١٨].

أيديكم والطرف الآخر في السماء، ما أنزل إلا لكم، فما لنا عنه غافلون ولغيره متوجهون؟ وكأن المقصود به غيرنا، وكأن المخاطب به سوانا وكأننا لم نؤمن بهدايته ولم نعلم بغايته، ونحن نعرف أنه ما ضل من تمسك به؛ قال تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا﴾(١) وإن لدينا أيها المسلمون، هذه النعمة إن لم نرعها ونعطها حقها ألم بنا الخطر وداهمتنا جيوشه وأحاطت بنا خطيئاتنا، أتدرون ما هذه النعمة؟ هي القرآن الكريم، هي الكتاب المنزل، هي الشفاء لكل داء، هي الرحمة، هي الربح؛ قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا﴾(٢) القرآن هو الهدى، هو المنة من الله على خلقه- فلله الحمد والمنة- هو تزكية النفوس، هو الحكمة؛ قال تعالى: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾(٣) فيا لها من نعمة ما أجلها، فيها جلاء صدأ القلوب وغمامة البصيرة، وفيها حفظ العقول، وحفظ الأعراض، وحفظ الأموال، وحفظ الأبدان، فحينما نتقبلها ونعمل بما احتوى عليه هذا القرآن حفظت لنا هذه الأمور التي لا بد للخلق منها ولا يمكن لمجتمع أن يعيش بدون سلامتها، وحينما يهجر القرآن أي مسلم أو أي مجتمع فالهلاك مآله، والدمار مصيره، ومرض القلوب ملازمه، وعقد النفوس تتوارده، والأهواء تتجاذبه، وشياطينه تتنازعه.

---

(١) سورة آل عمران، الآية [١٠٣].

(٢) سورة الإسراء، الآية [٨٢].

(٣) سورة آل عمران ، الآية [١٦٤].

أيها المسلمون، لقد شكى الرسول ﷺ قومه إلى ربه لما هجروا القرآن؛ قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾(١). فاحذروا من هجر القرآن بأي نوع من أنواع الهجران فلقد خاب وخسر من كان الله ورسوله خصمه.

والهجر أنواع: هجر سماعه والإيمان به وعدم الإصغاء إليه؛ قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾(٢).

ثانيا: هجر العمل به وعدم الوقوف عند حلاله وحرامه، وإن قرأه وآمن به. وهجر التداوي به؛ قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴾(٣)، فمن ترك التداوي به طلبه من غيره، ومعلوم أن الدواء إذا لم يوافق الداء لم ينفع، فيطلب شفاء دائه من غيره ويهجر التداوي به، وكل هذا داخل في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾(٤).

أيها المسلم: أيها المؤمن بالله الموحد، أيها المؤمن بالله واليوم الآخر أناشدك بالله الذي لا إله غيره الذي آمنت به وباليوم الآخر؛ رجاء ثوابه وخوف عقابه ألاَّ تهجر هذا القرآن، اقرأه، واسمعه من غيرك فهو الميسر للذكر، لمن صلحت نيته وطابت سريرته؛ قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾(٥) والله ما أنزل هذا

---

(١) سورة الفرقان، الآية [٣٠].

(٢) سورة فصلت، الآية [٢٦].

(٣) سورة فصلت، الآية [٤٤].

(٤) سورة الفرقان، الآية [٣٠].

(٥) سورة القمر، الآية [١٧].

القرآن إلا لنؤمن بمتشابهه ونحل حلاله ونحرم حرامه، ونحكمه في نفوسنا، وفي أموالنا، وفي كل مجالاتنا ومعاملاتنا، في خلواتنا واجتماعاتنا لنا وعلينا، والحذر كل الحذر أن تحكمه أيها الإنسان فيما هو لك وتعرض عما هو عليك؛ فهذا شأن المنافقين الذين قال الله فيهم: ﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ۝ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ ۝ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝ إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾(١).

أيها المسلمون: من منا راجع نفسه وفتش عن معايبه ومثالبه فنفض الغبار عن عينيه وجعل القرآن له مرافقا بعد أن كان له هاجرا يستشفي ويتداوى به، ويتدبره ويستبشر إذا سمعه ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾(٢) هل منا من راجع نفسه؟ هل يشمئز من ذكر الله ومن القرآن؟ ليعرف أنه من الذين لا يؤمنون بالآخرة، ويزداد معرفة لنفسه حينما يراها تستبشر بذكر ما دونه، وتجد هذا في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾(٣).

---

(١) سورة النور، الآية [٤٨-٥٢].

(٢) سورة التوبة، الآية [١٢٤].

(٣) سورة الزمر، الآية [٤٥].

أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يشفي قلوبنا من أمراضها، وأن يجلو ما عليها من الظلمة بنور كتابه، وأن يجعلنا من أنصاره.

وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾(١).

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر والحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الكريم لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

---

(١) سورة ص، الآية [٢٩].

الخطبة السادسة والستون:

فضل الدعاء

الحمد لله غافر الذنب قابل التوب شديد العقاب ذي الطول، لا إله إلا هو إليه المصير.. الرحمن الرحيم يقبل التوبة من عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون، وهو القائل في محكم كتابه: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾[1]، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله دعا الله تعالى في السراء والضراء فكان الله معه مستجيبا وناصرا ومؤيدا، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه الذين طهروا أنفسهم عن الحرام، ومأكلهم ومشربهم عن الحرام، ودعوا الله فاستجاب دعاءهم أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم.

أما بعد: فيا أيها الناس، اتقوا الله ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا .. اتقوا من وعده الحق، وحديثه الصدق، وعلمه الشامل، واطلاعه الكامل، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير.

اتقوا الله يوم تولون مدبرين مالكم من الله من عاصم، يوم يبعثر ما في القبور، ويحصل ما في الصدور، عباد الله.. كيف يتقى هذا اليوم؟ وكيف يخشى منه؟

إن ذلك بألاّ تقع رؤية الله منك على مكروه، وليكن اطلاعه منك على كل محبوب له، فالله يحب المتقين، وهذه المراقبة تتحتم وتجب في كل وقت وحين وفي كل مكان وزمان وبها يصدق على المسلم الإسلام، وبالغفلة عن هذه المراقبة

---

(١) سورة البقرة، الآية [١٨٦].

يحصل نقص الإيمان أو الكفر والنفاق، إن الله سبحانه يثيب على الإحسان إحسانا ويجزي الذين أساءوا بما عملوا ﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾(١) واعلموا أننا في وقت يجود فيه الرب بالفضل والمن والعطاء وقد اجتهد فيه الرسول ﷺ بالإكثار من العبادات وإنفاق الصدقات وتلاوة القرآن والإلحاح على الرب بالدعوات، فتأسوا بنبيكم تكثر أجوركم وتتيسر أموركم، أمرتم بالدعاء ووعدتم بالإجابة ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾(٢).

وإن أحدكم ليغضب إن سئل والله يغضب إذا لم يسأل، ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾(٣) وليحضر الداعي قلبه وانكساره وذله وخشوعه وخضوعه بين يدي ربه، ويثني على الله تعالى في بدء دعائه ويصلي على نبيه ﷺ، وليحرص الداعي بأن يتصف بأسمى الآداب وأحسن الصفات بأن يكون في صلاة أو مستقبل القبلة إذا كان بغير صلاة، ومتطهرا، ويتحين أوقات الاستجابة في آخر الليل، وآخر النهار وعند الأذان، وبين الأذان والإقامة، وعند صعود الإمام لخطبة الجمعة حتى انتهاء الصلاة، وإدبار الصلوات، وآخر ساعة من يوم الجمعة؛ فإن ذلك كله من أسباب الإجابة وليكن حذرا من موانع الإجابة؛ فمن أتى بالأسباب لاستجابة الدعاء ولم يحذر من الموانع فدعاؤه غير مستجاب، ولا يدع بإثم كقطيعة رحم أو ظلم أو عقوق

---

(١) سورة غافر، الآية [٤٠].

(٢) سورة غافر، الآية [٦٠].

(٣) سورة البقرة، الآية [١٨٦].

أو بأي إثم كان ففي الحديث: **(يستجاب لأحدكم ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم)**[١]، وليتجنب الحرام، فأي جسد نبت من سحت فالنار أولى به، وعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: **(إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى:** ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾[٢] **ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يارب.. يارب .. ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب له)**[٣].

وقد قريء عند النبي ﷺ قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَـٰلًا طَيِّبًا﴾[٤]فقام سعد بن أبي وقاص فقال: يا رسول الله ادع الله أن أكون مستجاب الدعوة، فقال: **(يا سعد أطب مطعمك، تكن مستجاب الدعوة، والذي نفسي بيده إن الرجل ليقذف اللقمة الحرام في جوفه ما يتقبل منه أربعين يوما)**. وإن من موانع الاستجابة أن يتعجل العبد الدعاء ويستبطيء الإجابة وفي الحديث: **(يستجاب لأحدكم مالم يعجل يقول دعوت فلم يستجب لي)** فاجتهدوا في هذه الأوقات التي جعلها الله مواسم خير وبركة فأول هذا الشهر رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار، يرحم الله عباده فيمحوا ما عليهم من الذنوب والآثام، وأفضل رمضان الليالي العشر الأواخر ففيها من

---

(١) رواه مسلم ، برقم ٢٥ (٤/٢٠٩٥).

(٢) سورة المؤمنون، الآية [٥١].

(٣) مسلم (١٠١٥، ٦٥).

(٤) سورة البقرة، الآية [١٦٨].

الفضل ما ليس في غيرها، وخصها الله تعالى بهذا الفضل ؛ كرما منه على خلقه ليدركوا الأجر الكثير في هذه الليالي المحدودة التي هي ليالي الإعتاق من النار، نسأل الله أن يعتقنا من النار وجميع المسلمين.

وفعل الرسول ﷺ صريح بأن هذه الليالي فرصة لا ينبغي للمسلم تفويتها، فتحكي عائشة رضي الله عنها ما اطلعت عليه من فعل الرسول وهو إحياء الليل وشد المئزر وإيقاظ أهله. وإحياء ليله: عبارة عن الاستيقاظ أي: إحياؤه بالطاعة، وبتعبير عائشة عن الاستيقاظ بالإحياء ؛ لأن النوم أخو الموت الذي هو ضد الحياة، ومعنى شد المئزر، أي: اعتزال النساء والجد في قيام الليل، وإيقاظ أهله للصلاة كما روت أم سلمة لم يكن ﷺ إذا بقى من رمضان عشرة أيام يدع أحداً من أهله يطيق القيام إلا أقامه، كل ذلك تشريعا لأمته ومحبة الخير لهم، وامتثالا لقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾[1] وقوله تعالى: ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾[2] وقال تعالى مادحا لنبيه إسماعيل: ﴿وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا﴾[3] وفي العشر الآواخر ليلة القدر التي فضلها الله سبحانه وتعالى على ألف شهر، بمعنى أن العبادة فيها تفوق على العبادة في غيرها بألف شهر ولهذا شرع الله الاجتهاد فيها وقد ذكر النبي ﷺ أن رجلا ممن كان قبلنا حمل السلاح في سبيل الله ألف شهر، فتعجبوا من صبره ومثابرته وأجره الذي يحصل عليه، فأنزل الله تعالى هذه السورة العظيمة.

---

(١) سورة التحريم، الآية [٦].

(٢) سورة طه، الآية [١٣٢].

(٣) سورة مريم، الآية [٥٥].

فاتقوا الله، أيها المسلمون، وشمروا عن سواعدكم، وانتهزوا مواسم الغفران وأكثروا من الدعاء بقلوب صافية.. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر والحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الكريم لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

الخطبة السابعة والستون:

من تواضع لله رفعه

الحمد لله رب العالمين، المتصف بالعظمة والكبرياء، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الكبير المتعال، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﷺ تسليما كثيرا، أفضل المتواضعين لرب العالمين، وأعرفهم بحقوق الخلق أجمعين.

أما بعد: فاتقوا الله، واعلموا أيها المسلمون أن التواضع صفة حميدة شريفة، وصاحبه له الدرجات الرفيعة، يحظى بكل خير ويسلم من كل شر، يحظى بعلو المنزلة عند خالقه ومربيه، ويعافى من صفة إبليس الطريد اللعين الذي تكبر عن امتثال أمر ربه بالسجود لأبينا آدم؛ مفتخرا بأصل خلقه بأن خلق من نار وآدم خلق من صلصال كالفخار.

فالتواضع له فوائد جمة ومزايا حميدة عدة منها: أنه يكسب صاحبه محبة الناس له، ويزرع في قلوب الناس مودته بأن يكبر في عيونهم عند تواضعه، ويصغر ويحقر إذا مشى واختال وتكبر وصَعَّر خده.

وجاء في الأثر عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **(ما نقصت صدقة من مال، ولا زاد الله عبدا بعفو إلا عزا، ولا تواضع أحد لله إلا رفعه)**. كل ذلك فضل من الله على عبده بأن امتثل أمر الله فعطف على خلق الله بماله، وعفا عمن ظلمه برجاء الثواب من عند الله، ولم يشارك الله في صفة الكبرياء والعظمة، بل عرف قدر نفسه بأنه مخلوق ضعيف وأن ما اتصف به من حسن خلق وزيادة مال ورفعة منزلة وعظم جاه كله من عند الله سبحانه وتعالى.

قال بعض العلماء: الواجب على العاقل لزوم التواضع ومجانبة الكبر. فالتواضع خصلة حميدة؛ لأن المرء كلما كثر تواضعه ازداد بذلك رفعة.

أيها المسلمون: إن التواضع يكون من الإنسان على نوعين: أحدهما محمود، والثاني مكروه، وكلاهما مشعر بالذلة والخضوع، أما المحمود فهو: ترك التطاول على الناس وعدم غمط حقوقهم وخدش كرامتهم، وتقديرهم بما يستحقونه؛ تواضعاً لله تعالى وخوفاً من عقابه، وشعوره بضعفه، وفهماً لحكمة الله بتفاوت خلقه.. وأما المذموم فهو: الذل والخضوع لذي الدنيا من أجل دنياه؛ رغبة فيما عنده، وطمعا في ماله، غير مبال بما يذهب عليه من ثواب الله الذي هو خير وأبقى من الحطام الفاني، ولربما ذهب عليه شيء من أمور دينه الذي فيه صلاح معاشه ومعاده بسبب هذا التواضع المذموم.

أيها المسلمون والتواضع لله عز وجل على ضربين:

أحدهما: تواضع العبد لربه عندما يأتي بالطاعات غير معجب بفعله ولا راء له عنده حالة يوجب له بها أسباب الولاية، إلا أن يكون المولى عز وجل هو الذي يتفضل عليه بذلك، وهذا التواضع هو السبب الدافع لنفي العجب عن الطاعات.

والتواضع الآخر هو: ازدراء المرء نفسه واستحقاره إياها عند ذكره ما قارف من المآثم؛ حتى لا يرى أحداً من العالم إلا ويرى نفسه دونه في الطاعات وفوقه في الجنايات.

وقد فسرت الخشية التي امتدح الله بها أنبياءه وأولياءه في التواضع بقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ

فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾[١] أي: متواضعين فيما يأتون من الطاعات لربهم.

أيها المسلمون: لزاما على كل مسلم التزام التواضع لإخوانه المسلمين؛ فلقد أمر الله عز وجل به رسوله ﷺ والأمر للرسول أمر لأمته ما لم يرد تخصيص؛ قال تعالى: ﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[٢]، وفي حق الوالدين يقول الرب: ﴿ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴾[٣]، وكما أمر الرسول إمام الأمة بأن يتواضع لرعيته، أمر الرعية أن يتواضعوا لولي الأمر في حدوده؛ قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾[٤].

وإذا استقرأنا نصوص القرآن والسنة وجدنا لكل أحد من الخلق عليك حق من التواضع، فالصغير بالعطف عليه والشفقة وسبقك له بالذنوب، والتواضع مع الكبير لسبقه لك بالإسلام والتجارب، ففي الحديث: **(ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا)** وإن كنت متولياً أمرا من أمور المسلمين فتواضع بالبشاشة وانطلاق الوجه وانشراح الصدر؛ لقضاء حوائجهم غير مشمئز ولا عابس بوجهك أمام ذي الحاجة ضعيفا كان أم قويا؛ قال تعالى معاتبا نبيه حينما اشتغل مع الكبار وتغافل عن ابن أم مكتوم الأعمى وقد جاء يسأله: ﴿ عَبَسَ

---

(١) سورة الأنبياء، الآية [٩٠].

(٢) سورة الشعراء، الآية [٢١٥].

(٣) سورة الإسراء، الآية [٢٤].

(٤) سورة النساء، الآية [٥٩].

وَتَوَلَّىٰٓ ۝ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ﴾، فانظر إلى هذا العتاب من الله عز وجل لنبيه ﷺ مع ما هو عليه من التواضع وأنه لم يتغافل عن تكبرٍ، بل هو ظن للمصلحة في الاشتغال مع صناديد قريش، فكان بعد ذلك يفرش له رداءه ويقول: **(مرحبا بمن عاتبني فيه ربي)**؛ قال تعالى آمراً نبيه ﷺ بأن يتواضع للضعفاء حين طلب الكبار من الرسول ﷺ طرد ضعفاء المسلمين: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطًا﴾(١) ويقول الرسول ﷺ لمن قال: لي عشرة من الولد ولم أقبل منهم أحدا: **(أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة)**(٢).

أيها المسلمون: لنا برسول الله ﷺ الأسوة الحسنة في التواضع مع الكبير والصغير، ومع ولي الأمر والوالدين في المأكل والمشرب والممشى، فتواضع للمسلم محبة وإخاء، وتواضع للعاصي دعوة وإرشاداً .. ومن فوائد التواضع ما ورد عن عمربن الخطاب رضي الله عنه: (إن الرجل إذا تواضع لله رفع الله حكمته، والحكمة كناية عن القدر)، وقال: ثمرة التواضع المحبة، كما أن ثمرة القناعة الراحة، وأن تواضع الشريف يزيد في شرفه، كما أن تكبر الوضيع يزيد في وضعته، وكيف لا يتواضع من خلق من نطفة قذرة، وآخره يعود جيفة قذرة، وهو بينهما يحمل العذرة، فكفى بملتمس التواضع رفعة، وكفى بملتمس الكبر سفالا.

---

(١) سورة الكهف، الآية [٢٨].

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته ١٢/١ برقم(٥٩٩٨).

هذا وأسأل الله عز وجل أن يرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه، وأن يجعلنا إخوة متحابين متواضعين فيما بيننا، ونوقر الكبير ونرحم الصغير .. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾(١).

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر والحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الكريم لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❋ ❋ ❋

---

(١) سورة المجادلة، الآية [١١].

الخطبة الثامنة والستون:

التحذير من الكبر والتكبر

الحمد لله رب العالمين .. ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو علي كل شيء قدير وأشهد أن محمداً عبده ورسوله نبي الرحمة إلى الخلق أجمعين ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾(١) لا خير إلا دل الأمة عليه ولا شر إلا حذرها منه، فالخير باتباعه والشر باجتناب أقواله وأفعاله صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا وعلى آله وصحابته أجمعين.

أما بعد: أيها الناس اتقوا الله تعالى، واعلموا أن مما حذرنا عنه رسول الله ﷺ تلك الخصلة الذميمة والصفة الممقوتة المفسدة للعقول والأخلاق، ألا وهي صفة التكبر والكبر، والكبرياء هي العظمة يجدها الإنسان في نفسه بسبب ما حباه الله به من علم أو مال أو جمال في الخلق أو رفعة ومنصب أو قوة في الرأي، وما علم هذا المسكين بأن الواجب عليه نحو هذه الصفات هو شكر الله تعالى قولا وفعلا واعتقادا؛ لأنه لم يتحصل عليه بحوله وقوته، وهذا أثر الكبر فيمن تعاظم عن الحق فلم يقبله ولم يلتفت إليه، ولذلك استعاذ موسى عليه السلام بربه وخالقه من كل متكبرٍ لا يؤمن بيوم الحساب، كما حكى عنه ذلك بقوله تعالى: ﴿إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ لَّا يُؤۡمِنُ بِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ﴾(٢)وقد نفى الله سبحانه وتعالى محبته للمتكبرين وتوعدهم بأنه يعلم ما أسروه وما أعلنوه، قال تعالى:

---

(١) سورة الأنبياء، الآية [١٠٧].

(٢) سورة غافر، الآية [٢٧].

﴿لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡتَكۡبِرِينَ﴾(١)، والاستكبار على الحق جريمة سواء كان الحق لله عز وجل أو لأحدٍ من خلقه، وهو أول ذنب عُصي الله به، قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾(٢).

فمن استكبر على الحق لم ينفعه إيمانه، وكان من جنود إبليس. فالمؤمن حقا الذي إن دعي إلى الله أجاب، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾(٣).

فالبدار البدار إلى الدخول في سلك المفلحين الفائزين، والحذر كل الحذر من الدخول في سلك الكافرين والمنافقين الذي لا ينفذ الحق إلى قلوبهم بل كانوا عنه معرضين متكبرين.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾(٤)، فمن دُعِي إلى أداء شعيرة من شعائر الدين كالصلاة والزكاة، أو إلى ترك ذنب نهى الله تعالى عنه ورسوله ﷺ أو دعي إلى حكم الله سبحانه وتعالى، فلوى عنقه ولم يعبأ بذلك فهو مستكبر؛

---

(١) سورة النحل، الآية [٢٣].

(٢) سورة البقرة، الآية [٣٤].

(٣) سورة النور، الآية [٥١-٥٢].

(٤) سورة النور، الآية [٤٨-٥٠].

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾(١)

وجاء فيمن تكبر وتبختر في مشيته أن النبي ﷺ قال: **(بينما رجل يتبختر في مشيته إذ خسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة)**.

وهذه عقوبة عاجلة لمن تبختر في مشيته وتاه، وأعجب بنفسه فلم يقبل علما ولا حقا، وقد جمع هذه الصفات قارون كما حكى الله عز وجل عنه في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ أي: تكبر وتجبر بسبب ما أتاه الله من المال الذي كان عليه محنة وابتلاء واختبارا هل يشكر أم يكفر؟ فقال تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُوْلِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾(٢) واستمع إلى جوابه يا أخي المسلم فلقد كان حين وعظه قومه طاغيا جاحدا لنعم الله عليه؛ تكبرا واستنكافا عن الحق، ونسب ما حباه الله لنفسه ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾ فرد الله عليه وأكذبه ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴾(٣) ثم حكى الله ما قاله أهل الإيمان وأهل

---

(١) سورة المنافقون، الآية [٥].

(٢) سورة القصص، الآية [٧٦-٧٧].

(٣) سورة القصص، الآية [٧٨-٨٠].

العلم والمعرفة بربهم وثوابه، وحينما استمر على طغيانه وإنكاره نعمة الله عليه عاقبه الله بأن خسف به وبداره الأرض في الدنيا وما استطاع أحد نصره، وله في الآخرة عذاب عظيم، فقال مذكراً أهل الإيمان بعقوبة قارون: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾(١) وفي يوم القيامة يعاقب بالذل والصغار، ويحرم من الجنة، قال رسول الله ﷺ: **(يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيامة أمثال الذر، يطؤهم الناس يغشاهم الذل من كل مكان)**. وقال ﷺ: **(لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر)**. رواه مسلم. وقال تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾(٢) قال المفسرون: أي: لا تمل خدك معرضا ومتكبرا، والمرح: الخيلاء والفخر، وقال سلمة بن الأكوع رضي الله عنه: أكل رجل عند رسول الله ﷺ بشماله، فقال: **(كل بيمينك)**، قال الرجل: لا أستطيع. قال الرسول ﷺ: **(لا استطعت؛ ما منعه إلا الكبر)** فما رفعها إلى فيه، والآيات القرآنية والأحاديث النبوية في تحريم الكبر والنهي عنه كثيرة، وأشر الكبر الذي يتكبر على العباد بعلمه ويتعاظم في نفسه بفضيلته، فإن هذا لم ينفعه علمه.

فإن من طلب العلم للآخرة كسره علمه وخشع قلبه واستكانت نفسه، وكان لها دائماً بالمرصاد فلا يغتر بها، بل يحاسبها كل وقت ويتفقدها، فإن غفل عنها جمحت عن الطريق المستقيم وأهلكته، ومن طلب العلم للفخر والرياسة وبطر على المسلمين وازدراهم، فهذا من أكبر الكبر، ولا يدخل الجنة من كان في قلبه

---

(١) سورة القصص، الآية [٨١].

(٢) سورة لقمان، الآية [١٨].

ذرة من كبر، فالتكبر صفة ممقوتة فيها خصال مذمومة ومضار عدة منها: أنه لا يتكبر على أحد حتى يعجب بنفسه، ويرى لها على غيرها الفضل.

ومنها: ازدراؤه بالعالم؛ لأن من لم يستحقر الناس لم يتكبر عليهم.

ومنها: منازعة الله عز وجل في صفاته، والكبرياء والعظمة من صفات الله جل وعلا، فمن نازعه إحداهما ألقاه الله في النار، إلا أن يتفضل الله سبحانه وتعالى عليه بعفوه ومغفرته.

ومن خصال التكبر المذمومة: أنه سبب لبغض الناس لصاحبه وعدم صفاء الإخوان له، وإن صاحب الكبر لا يطمع في حسن الثناء. قال بعض العلماء: ما استُجْلِبَ البُغْضُ بمثل التكبر، ولا اكتسبت المحبة بمثل التواضع، ومن استطال على الإخوان فلا يطمع منهم بالصفاء. ولا ينبغي لصاحب الكبر أن يطمع في حسن الثناء، ولا تكاد ترى تائهاً إلا وضيعاً.

والله نسأل العفو والعافية من صفة العظمة والكبرياء والخيلاء، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴾[1].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر والحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الكريم لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

---

(١) سورة الإسراء، الآيتان [٣٧-٣٨].

الخطبة التاسعة والستون:

حكم إنكار النعمة

الحمد لله الذي مَنَّ علينا بجميع نعمه وآلائه، الذي وعد الشاكرين بمزيد من فضله ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾[(١)] وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الغني الحميد، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله النبي الأمين، المبعوث رحمة للعالمين، أفضل من عبد ربه، وقام بحقه، فهو العبد الشكور، كما قال ﷺ لعائشة رضي الله عنها لما قالت له حينما رأت تفطر قدميه من القيام: ألم يغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: **(أفلا أكون عبدا شكورا)**. صلى الله عليه وعلى آله وصحابته أجمعين وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد: أيها المسلمون اتقوا الله تعالى، وهذه سيرة نبيكم الكريم، أفضل المخلوقين سيد ولد آدم، أكرم الخلق على الله يجتهد في عبادة ربه؛ شكراً له على ما أنعم عليه من النعم العامة والخاصة، وقد أنزل الله عليه ذم الذين يسرحون ويمرحون، ويأكلون ويشربون، ويلبسون ويفترشون من نعمه ولا يشكرون.

قال جل شأنه: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[(٢)] وقال تعالى: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴾[(٣)]، فالآية الكريمة تبين لنا تحريم

---

(١) سورة إبراهيم، الآية [٧].

(٢) سورة البقرة، الآية [٢٢].

(٣) سورة النحل، الآية [٨٣].

إنكار النعمة، وبيان حكم من أنكرها بأنه من الكافرين، وذلك بعد ما بين الله عزوجل للخلق شيئاً منها في سورة النحل، أخبرهم بصفة من أنكرها بأنه من الكافرين فقال: ﴿ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾، وإنكار النعمة أيها المسلم، بأن يستعملها الإنسان في معصية الله، أو لا ينسبها إلى صاحبها وهو الله، أو يعتقد بأنها ليست من الله عز وجل.

فهذه الآية توجب التأدب مع جناب الربوبية عن الألفاظ الشركية الخفية لنسبة النعم إلى غير الله، فإن ذلك باب من أبواب الشرك الخفي وضده باب من أبواب الشكر، كما في الحديث الذي رواه ابن حبان في صحيحه عن جابر رضي الله عنه مرفوعاً: **(من أوتي معروفاً فلم يجد له جزاء إلا الثناء فقد شكره، ومن كتمه فقد كفره)**، وفي سند جيد لأبي داود **(من أبلي بلاء فذكره فقد شكره، وإن كتمه فقد كفر)**، قال المنذري: **(من أبلي)** أي: من أنعم الله عليه، والإبلاء: الإنعام، فإذا كان ذكر المعروف الذي يقدره الله تعالى على يد إنسان من شكره تعالى، فذكر معروف رب العالمين وآلائه وإحسانه ونسبة ذلك إليه أولى وأحرى.

قال بعض العلماء: «إن من صفة إنكار النعمة إضافة المال إلى غير الله سبحانه وتعالى، كقول الرجل: هذا مالي ورثته عن أبي. وقال: هذه صفة كفار قريش إنهم يعرفون مارزقهم الله من البيوت والسرابيل فيضيفونها لغير الله».

فاحذروا أيها المسلمون أن تضيفوا ما رزقكم الله لغير الله، وتأدبوا مع جناب الله فأضيفوا النعم إليه واصرفوها فيما يرضيه، فإن فعلتم فأنتم من الشاكرين، وإن أنكرتم كنتم من الجاحدين لنعم الله تعالى؛ الذين قال الله فيهم: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ

لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾[١] قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ ما معناه: لما أضافوا النعمة إلى غير الله فقد أنكروا نعمة الله بنسبتها إلى غيره؛ فإن الذي يقول هذا جاحد لنعمة الله عليه غير معترف بها، وهو كالأبرص والأقرع اللذين ذكَّرهما الملك بنعم الله عليهما فأنكراها وقالا: إنما ورثنا هذا كابراً عن كابر، وكونها موروثة عن الآباء أبلغ في إنعام الله عليهم، إذ أنعم بها على آبائهم ثم ورثها إياهم فتمتعوا هم وآباؤهم بنعم الله عز وجل.

وإن من إنكار النعمة أيها المسلم، ما يتكلم به كثير من الناس في وقتنا الحاضر كقولهم: لولا فلان لكان كذا، ومثل: لولا السائق لا نقلبنا، ومثل: لولا النجدة لهرب اللص، وهذا القول مثل قول القائل: لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص، ولو لا البط في الدار لأتانا اللصوص. فإن ابن عباس رضي الله عنهما جعل هذا من الشرك الأصغر، فلنتنبه له ولنضف النعمة إلى الله ثم إلى أسبابها فيجب على الإنسان أن يقول: لو لا الله ثم السائق، أو يقول: لولا الله ثم النجدة فهذا لا بأس به، والأكمل أن يقول: لولا الله وحده فهو الذي نجانا، وهو الذي سخر لنا الريح، قال سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب - رحمهم الله- على قول الناس: كانت الريح طيبة والملاح حاذقا، فإذا نجوا من البحر، نسبوا السلامة لطيب الريح وحذق ملاح السفينة وهو السائق. قال رَحِمَهُ اللَّهُ: والمعنى: أن السفن إذا جرين بريح طيبة بأمر الله جريا حسنا نسبوا ذلك إلى طيب الريح وحذق الملاح في سياسة السفينة، ونسوا ربهم الذي أجرى لهم الفلك في البحر؛ رحمة بهم. قال تعالى: ﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى

(١) سورة العاديات، الآية [٦].

ﱡﭐ ٱلۡبَحۡرِ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﱠ(١).

فيكون نسبة ذلك إلى طيب الريح وحذق الملاح من جنس نسبة المطر إلى الأنواء، وإن كان المتكلم بذلك لم يقصد أن الريح والملاح هو الفاعل لذلك من دون خلق الله وأمره، وإنما أراد أنه سبب، لكن لا ينبغي أن يضيف ذلك إلا لله وحده؛ لأن غاية الأمر بذلك أن يكون الريح والملاح سببا أو جزء سبب، ولو شاء الرب تبارك وتعالى لسلب سببيته، فلم يكن سببا أصلا، فلا يليق بالمنعم عليه المطلوب منه الشكر أن ينسى من بيده الخير كله وهو على كل شيء قدير، ويضيف النعم إلى غيره، بل يذكرها مضافة منسوبة إلى موليها والمنعم بها وهو الله تعالى المنعم على الإطلاق؛ كما قال تعالى: ﱡﭐ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ﱠ(٢) فهو المنعم بجميع النعم في الدنيا والآخرة وحده لا شريك له.

فإن ذلك من شكره، وضده إنكارها، ولا ينافي ذلك الدعاء والإحسان إلى من كان سببا أو جزء سبب في بعض ما يصل إليك من النعم على يد بعض الخلق، ولقد امتن الله على الناس بنعمه ثم نهاهم أن يضيفوها إلى غيره بقوله: ﱡﭐ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﱠ(٣)، أي: تعلمون أنها من عند الله؛ قال تعالى: ﱡﭐ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﱠ(٤).

---

(١) سورة الإسراء، الآية [٦٦].

(٢) سورة النحل، الآية [٥٣].

(٣) سورة البقرة، الآية [٢٢].

(٤) سورة البقرة، الآية [٢١-٢٢].

فمن تحقيق التوحيد أيها المسلمون الاحتراز من الشرك بالله في الألفاظ وإن لم يقصد المتكلم بها معنى لا يجوز، بل ربما تجري على لسانه من غير قصد، كمن يجري على لسانه ألفاظ من أنواع الشرك الأصغر لا يقصدها، ومن الألفاظ التي هي من الشرك الأصغر والتي لا يصلح النطق بها قول بعضهم: لولا الله وفلان، وكالحلف بغير الله كائناً من كان كقولهم: والنبي، وحياتك، ولقد دلنا ﷺ على علاج من بلي بشيء من ذلك حينما حذرنا من الشرك وأخبرنا أنه أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء، فعلمنا كيف نحذره وأرشدنا إلى هذا الدعاء؛ **(اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئاً وأنا أعلم، واستغفرك من الذنب الذي لا أعلم)**[1]؛ ليكون كفارة لهذا الشرك، والله أسأل أن يجنبنا وإياكم الزلل في الأقوال والأعمال، وأن يسدد أقوالنا ويصلح لنا أعمالنا، ويغفر لنا ذنوبنا، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[2].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر والحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الكريم لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

---

(١) رواه الإمام أحمد.

(٢) سورة النحل، الآية [٨٣].

الخطبة السبعون:

وجوب التوبة

الحمد لله الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، سبحانه كتب على نفسه الرحمة، وأشهد أن لا إله إلا الله الرحمن الرحيم، غافر الذنب وقابل التوب، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله نبي الرحمة، وهادي الأمة إلى ما فيه الخير وما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الذين عرفوا الله فعرفهم الله، وأطاعوا الله فأعلى قدرهم رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه.

أما بعد: فيا أيها الناس اتقوا الله تعالى، واعلموا أن كل فرد منا مأمور بأن يتمسك بحبل الله المتين وصراطه المستقيم وجادة الحق التي لا اعوجاج فيها، ذلكم هو ما أُوحي إلى النبي ﷺ وجعله الله تعالى شرفا لرسوله ﷺ وأمته وأنهم سيسألون عن العمل به واحترامه وتقديره والتمسك به وعن شكر هذه النعمة التي هي نعمة الإسلام ونعمة الإيمان؛ قال تعالى: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾[1] ولقد أوجب الإسلام على كل فرد حقوقا والتزامات لله تعالى وللخلق؛ لأنه دين عبادات ومعاملات، ولكن كثيرا ما يضل الإنسان ويتنكب الجادة بوازع الجهل أو النفس الأمارة بالسوء، وبتحسين وتزيين عدو الله وعدوكم الشيطان، وجنوده من شياطين الجن والإنس الذين يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول

---

(١) سورة الزخرف، الآية [٤٣-٤٤].

غرورا. ومعلوم أن الإنسان لم يخلق ملكاً كريما ولا بشرا معصوما، وإنما هو إنسان تتجاذبه قوى الخير والشر، وداعي الحق وداعي الضلال، تارة تتغلب عليه قوى الخير فيطهر قلبه، وتسمو روحه، وترتفع إلى عالم السماء، وتارة تتغلب عليه قوى الشر فينغمس قلبه في سوء الذنوب ويتلطخ بآثامها، وتحطه إلى الحضيض الأسفل، وتخلد نفسه إلى الأرض، فمثله مثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث، وهنا يحتاج الإنسان إلى أن يصحح أخطاءه، ويعالج أمراضه، ويغسل نفسه، ويطهر قلبه مما ران عليه، ويستأنف العمل مستقبلا حياته في ثوب جديد نقي ما دام الباب مفتوحا، والفرصة مواتية، قبل أن يوصد أمامه فلم يجد إلى ذلك سبيلا، ولا إلى بلوغ مرامه طريقا، وذلك بالتوبة، والإنابة، والرجوع عن التمادي في الغي والضلال؛ قال ﷺ: **(كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون)** وقال أيضاً: **(إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها)**. رواه مسلم.

فمن رحمة الله سبحانه بنا أن فتح باب الأمل والرجاء أمام الخطائين؛ ليتوب مسيئهم، ويؤوب إلى رشده شاردهم فيغفر لهم ما اقترفوا من إثم أو معصية، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[1].

وفي الحديث القدسي ما يدل على سعة عفوه ومغفرته وقبول الدعاء ممن لم يشرك به شيئا.

---

(١) سورة الزمر، الآية [٥٣].

قال الله تعالى: **(يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي؛ يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة).**

ولطفاً بعباده أنه يفرح بتوبتهم أشد من فرح أحدهم يجد راحلته وقد أضلها بأرض فلاة، أو فرح من تحركت سيارته وصلحت بعد تعطلها وخرابها في صحراء لا ماء فيها ولا مرعى.

أيها المسلمون: توبوا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم، فبالتوبة النصوح تجدون ثوابها: تكفير السيئات ودخول الجنة؛ قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾(١).

والتوبة النصوح أيها المسلمون: هي ما جمعت شروطها؛ فإن كانت المعصية بين العبد وربه فلها ثلاثة شروط: **الأول**: أن يقلع عن المعصية، **والثاني**: أن يندم على ما فعله، **والثالث**: أن يعزم على أن لا يعود إليها أبدا، مع وجوب الإخلاص في ذلك كله لله وحده لا شريك له، فإن فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته.

وإن كانت المعصية تتعلق بحق آدمي فشروطها أربعة:

---

(١) سورة التحريم، الآية [٨].

هذه الثلاثة والرابع : أن يبرأ من حق صاحبها ، فإن كانت مالا أو نحوه رده إليه ، وإن كانت حد قذف استسمح صاحبه ، أو مكنه لاستيفائه منه ، فالقصاص في الدنيا خير وأفضل من القصاص في الآخرة.

أيها المسلمون : والمفلس كل الإفلاس من أتى يوم القيامة وقد شتم هذا ، وظلم هذا ، وأخذ مال هذا ، فيأخذ هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن لم تعد له حسنات أخذ من سيئاتهم فحطت عليه وطرح في النار ، فالإنسان يكتب عليه ثلاثة دواوين ؛ ديوان لا يغفره الله إن مات قبل التوبة منه وهو الشرك بالله ، وديوان قابل للمغفرة وهو ظلم العبد نفسه فيما بينه وبين الله تعالى فهو تحت المشيئة ، وديوان محفوظ على الإنسان تحت القصاص يوم القيامة أو التخلص منه قبل الموت وهو ظلم الإنسان لأخيه الإنسان.

فاتق الله يا أخي المسلم ، وابتعد عن ارتكاب الذنوب واجتهد في التخلص منها إن بليت بارتكابها قبل معاينة الموت أو أمارته.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾[١] .

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر والحكيم ، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الكريم لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

(١) سورة النساء ، الآية [١٧-١٨].

الخطبة الحادية والسبعون:

الداعون إلى الهدى والداعون إلى الضلال

الحمد لله القائل في محكم كتابه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾(١)، أحمده سبحانه من إله بيده ملكوت كل شيء وإليه يرجع الأمر كله، وأشكره على ما هدانا للإسلام وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يهدي من يشاء إلى صراطه المستقيم، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إمام المتقين والمهتدين، والمحذر من طريق الزائغين الضالين، اللهم صلِّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه المتمسكين بسنته، الداعين إلى الأخذ بهديه، وسلم تسليما كثيراً.

أما بعد:

أيها الناس.. اتقوا الله تعالى وراقبوه في السر والعلانية، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيئا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا)**. [رواه مسلم].

أيها المسلمون.. أرسل الله محمداً بالهدى ودين الحق؛ ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، فهدى البشرية إلى ما فيه صلاحها بالدلالة والإرشاد وتبليغ ما نزل به جبريل عليه السلام من الله عز وجل، كما وصفه الله تعالى بقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(٢).

---

(١) سورة فصلت، الآية [٣٣].

(٢) سورة الشورى، الآية [٥٢].

ومعنى ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ﴾ **:** أي : إنك لتدل وترشد إلى الصراط المستقيم ، فيسلك هذا الصراط من وفقه الله وكان عنصر خير ، ويضل عنه من عميت بصيرته وكان عنصر شر.

وهداية التوفيق هي التي بيد الله سبحانه وتعالى ، قال تعالى :﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾(١).

نزلت هذه الآية عندما حاول النبي ﷺ مع عمه أبي طالب بأن ينطق بكلمة التوحيد ؛ لينخلع من ثوب الشرك في آخر رمق من حياته ، فقال : **(يا عم قل : لا إله إلا الله ، كلمة أحاج لك بها عند الله)** ، وعمه يأبى ذلك مخافة المسبة من قومه ، فالله جل وعلا يقول لنبيه ؛ مسليا له ومخبرا بأنه أدى ما عليه من الهداية ، وما كان بيد الله وهي هداية التوفيق فليست بيدك : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ ومن هنا شرع الله سؤاله الهداية التي تجمع النوعين في كل ركعة من الصلوات وهي قوله : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ أي : دلنا وأرشدنا ووفقنا.

عباد الله : الحديث الذي تقدم ذكره والذي سمعنا نصه فيه بيان الخير الكثير ، والفضل العميم لمن دعا إلى هدى ، وفيه التحذير لدعاة الضلال أن يكفوا عن بدعهم والدعوة إليها ؛ مخافة مما يصيبهم من جرائها ، ورجاء ما عند الله من الثواب في اجتناب الغي والضلال والتشجيع عليها بالقول أو الفعل.

ومن جملة الهدى : العلم النافع ، والعمل الصالح ، سواء كان هذا العلم في مرفق حيوي ينفع المسلمين ويزيدهم قوة في أبدانهم ، ويقويها على طاعة الله

---

(١) سورة القصص ، الآية [٥٦].

كالطب والزراعة والصناعة بأنواعها، أو كان هذا العلم الذي أوضحه هذا الداعية فيه معرفة لأحكام العبادات الصحيحة والفاسدة أو معرفة للحلال والحرام من المأكولات والمشروبات، أو فيه بيان ما يجوز من المعاملات ومالا يجوز، أو فيه بيان خلق من الأخلاق الإسلامية، أو كان هذا الهدى المدعو إليه فيه مصلحة للإسلام والمسلمين كالدعوة إلى التضامن والتعاون والتعاطف، وأن يكون اجتماع المسلمين في ضوء ما رسمته شريعة الهدى، وعلى ما تآلف عليه أولو النهى أصحاب الرسول المصطفى ﷺ حتى مثلوا أعلى القوى وشد بهم أزر رسولهم المجتبى ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٦٢ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِى ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾(١) وأصبحوا في ظل العقيدة تحت راية الإسلام ممثلين بمجتمعاتهم أعْلى القوى التي حطمت قوى العدا؛ قال تعالى: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗا﴾(٢).

وكل من دعا إلى عمل صالح يتعلق بالله تعالى أو حقوق الخلق العامة والخاصة فهو داع إلى الهدى.

وكل من اهتدى في علمه أو عمله فاقتدى به غيره فهو داع إلى الهدى.

وكل من تقدم غيره بعمل خيري أو مشروع عام النفع فهو داخل في هذا النص.

فالدعاة إلى الهدى هم أئمة المتقين وخيار المؤمنين، وعكسه أئمة الضلال الذين يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون.

---

(١) سورة الأنفال، الآية [٦٢-٦٣].

(٢) سورة الأحزاب، الآية [٢٥].

وكل من عاون غيره على البر والتقوى فهو من الداعين إلى الهدى، وكل من أعان غيره على الإثم والعدوان فهو من الداعين إلى الضلال.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾[1].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر والحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الكريم لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

(١) سورة الشورى، الآية [٥٢–٥٣].

الخطبة الثانية والسبعون:

الغضب وعلاجه

الحمد لله ذي العظمة والجلال العزيز الغفار، أحمده سبحانه من إله عزيز ذي انتقام، وأشكره على إمهاله وحلمه وسعة عفوه، ونعمٍ لا تحصى ولا تعد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في أسمائه وصفاته وفي عبادته وفي ربوبيته، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث رحمة للعالمين، الداعي إلى رضوان الله والطمع في مغفرته، والتخويف من غضبه، اللهم صلِّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه المشمرين إلى طلب عفو الله والخائفين من الوقوع فيما يسخط الله.

أما بعد:

أيها الناس .. اتقوا الله، واعلموا أن الرسول ﷺ أعطي جوامع الكلم من ربه سبحانه وتعالى؛ لعلمه بخلود الشريعة وبقائها وشمولها، وهذا الأمر لا يحصل إلا بقواعد وأسس.

فمن جوامع الكلم التي حوت لنا كل خير، ونفت عنا كل شر، ما نطق بها الرسول الكريم ﷺ -الذي لا ينطق عن الهوى- في مقالته للرجل الذي طلب الوصية من الرسول ﷺ عدة مرات، وفي كل مرة يقول الرسول المعلم ﷺ: **(لا تغضب)**، وفي بعض الألفاظ أن الرجل قال: قلت: يارسول الله، دلني على عمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار ولا تكثر عليَّ: قال: **(لا تغضب)**. ومعلوم أن الوصية: طلب الشيء مع تأكيده، فالرسول ﷺ أكثر عليه بعدم الغضب، والغضب لفظ وارد في الكتاب والسنة، يكون من الله

بمعنى: إنكاره على من عصاه، وسخط عليه وأعرض عنه؛ معاقبة له، ويكون من الناس على ضربين: محمود ومذموم، فالمحمود: ما كان في جانب الدين والحق، أما المذموم: ما كان في خلافه، وما نهى عنه الرسول ﷺ هذا الرجل من قبيل المذموم؛ ولهذا قال الرجل: ففكرت حينما قال لي النبي ﷺ ما قال فإذا الغضب يجمع الشر كله.

أيها المسلمون .. إن وصية النبي ﷺ لهذا الرجل ليست له وحده بل هي لكل من يأتي بعده إلى يوم القيامة، فجدير بكل مسلم التخلق بخلق الرسول الكريم ﷺ وأن يعقل ما يقول ويتفهم معناه، ومما لا شك فيه أن صفة الغضب مذمومة؛ لما يترتب على وجودها من جلب الشر وعدم إدراك الخير؛ لأن الغضب هو: غليان دم القلب طلباً لدفع المؤذي عنه؛ خشية وقوعه، أو طلبا للانتقام ممن حصل منه الأذى بعد وقوعه، وينشأ عن ذلك كثير من الأفعال المحرمة كالقتل والضرب وأنواع الظلم والعدوان، وكثير من الأقوال المحرمة كالقذف، والسب، والفحش، وربما ارتقى إلى درجة الكفر كما وقع لجبلة ابن الأيهم، وكالأيمان التي لا يجوز التزامها شرعا، وطلاق الزوجة الذي يعقبه الندم.

وقوله ﷺ لمن استوصاه: **(لا تغضب)** يحتمل أمرين:

أحدهما: أن يكون مراده الأمر بالأسباب التي توجب حسن الخلق من الكرم والسخاء والحلم والحياء والتواضع والاحتمال وكف الأذى، والصفح والعفو وكظم الغيظ والطلاقة والبشر ونحو ذلك من الأخلاق الجميلة؛ فإن النفس إذا تخلقت بهذه الأخلاق وصارت لها عادة أوجب لها ذلك دفع الغضب عند حصول أسبابه.

والثاني: أن يكون المراد: لا تعمل بمقتضى الغضب إذا حصل لك بل جاهد نفسك على ترك تنفيذه والعمل بما يأمر به؛ فإن الغضب إذا ملك شيئا من بني آدم كان الآمر والناهي له؛ ولهذا المعنى قال الله عز وجل: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ﴾[1] فإذا لم يمتثل الإنسان ما يأمره به غضبه وجاهد نفسه على ذلك اندفع عنه شر الغضب، ولهذا امتدح الله تعالى من هذه صفته، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾[2]. ويقول تعالى: ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[3]، وكما حذرنا النبي من صفة الغضب وبين أنها داء مضر ينبغي التباعد عن الوقوع فيه، أوضح لنا عليه الصلاة والسلام كل الإيضاح علاج هذا الداء إذا ما وقع، فهناك أسباب وعلاجات للغضب أَمَرَ بها النبي ﷺ، ومن ذلك:

التعوذ بالله من الشيطان الرجيم حين وجود الغضب، فهو علاج ما أحسنه يدل على الاعتصام بالله والالتجاء إليه من هذا الشيطان الرجيم الذي يريد أن يوقع الإنسان في الردى والهلاك؛ ففي الحديث المتفق عليه عن سليمان بن صرد رضي الله عنه قال: استب رجلان عند النبي ﷺ ونحن جلوس عنده، وأحدهما يسب صاحبه مغضباً قد أحمر وجهه، فقال النبي ﷺ: **(إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم)**. فقالوا للرجل: ألا تسمع ما يقول رسول الله ﷺ؟ قال: إني لست بمجنون.

ومن الأسباب المهدئة للغضب: جلوسه إن كان قائماً فإن أجدى ذلك وإلا

---

(١) سورة الأعراف، الآية [١٥٤].

(٢) سورة الشورى، الآية [٣٧].

(٣) سورة آل عمران، الآية [١٣٤].

فليضطجع؛ كما في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد أن النبي ﷺ قال: **(إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع)**.

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ في جامع العلوم والحكم: وقد قيل إن المعنى في هذا أن القائم متهيء للانتقام والجالس دونه في ذلك والمضطجع أبعد عنه، فأمره بالتباعد عنه حالة الانتقام.

ومن الأسباب التي تتخذ لدفع الغضب ومضاره السكوت، قال ﷺ: **(إذا غضب أحدكم فليسكت)** قالها ثلاثا. فهذا أيضا دواء عظيم للغضب؛ لأن الغضبان يصدر منه- في حال غضبه من القول ما يندم عليه في حال زوال غضبه- كثيرمن السباب وغيره مما يعظم ضرره، فإذا سكت زال عنه هذا الشر كله.

ومن العلاجات النبوية لدفع حرارة الغضب: أن يتوضأ أو يغتسل؛ لأن الغضب جمرة في قلب كل إنسان ولهذا تحمر عيناه، قال ﷺ: **(إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خلق من النار، وإنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتوضأ)**، وعن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: سمعت رسول الله يقول: **(إن الغضب من الشيطان، والشيطان من النار، والماء يطفئ النار فإذا غضب أحدكم فليغتسل)**.

نسأل الله العفو والعافية والتوفيق لاتباع الرسول ﷺ في أقواله وأفعاله. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ﴾.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر والحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الكريم لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

الخطبة الثالثة والسبعون:

كتمان الغضب

الحمد الله العزيز الغفار، أحمده سبحانه من إله عظيم رحمته سبقت غضبه، وأخذه أخذ عزيز مقتدر، وأشكره على ما منَّ به من الفضل والإحسان لمن تاب وأناب، وعفا وسامح، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل في محكم كتابه: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾(١) وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أفضل من جاهد وصبر، وعبد وشكر، اللهم صلِّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه وجميع أتباعه، والمتمسكين بهديه الراضين بالقضاء والصابرين في البأساء والضراء، والناطقين بكلمة الحق في الغضب والرضا.

أما بعد:

أيها الناس .. اتقوا الله تعالى، واحذروا مخالفة أمر الله عز وجل وأمر رسوله ﷺ، واعلموا أن للغضب أضراراً تنجم عنه، كما أنَّ له أسباباً تطفئه، من أبرزها: كتمانه وحبسه في النفس وعدم إظهاره؛ ففي ذلك فضل كثير وخير عميم دل عليه القرآن والسنة، ومدافعة الغضب بأن يملك نفسه عند الغضب، قال ﷺ: **(ليس الشديد بالصرعة، وإنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب)**. وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **(فما تعدون الصرعة فيكم؟)** قلنا: الذي لا يصرعه الرجال، قال: **(ليس بذلك، ولكنه الذي يملك نفسه عند الغضب)**(٢).

---

(١) سورة الشورى، الآية [٤٣].

(٢) صحيح مسلم (٦٦٤١).

أيها المسلم: واسمع ما جاء في فضل من كتم الغيظ وهو قادر على تنفيذه ؛ لأنه يكون بذلك صابرا محتسبا وأجره عند الله تعالى عظيم ؛ قال رسول الله ﷺ : **(من كظم غيظاً وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره من أي الحور شاء)**. وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : **(وما من جرعة أحب إلى الله من جرعة غيظ يكظمها عبد، ما كظمها عبدالله إلا ملأ الله جوفه إيمانا)**.

أيها المسلمون: إن هذا الفضل الكثير بكتمان الغضب قد تلقاه الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم عن نبيهم ﷺ محبة وتأسيا ؛ جاء رجل إلى سلمان رضي الله عنه فقال : ياأبا عبدالله، أوصني، قال : لا تغضب، قال : أمرتني أن لا أغضب وإنه ليغشاني ما لا أملك. قال : فإن غضبت فاملك لسانك ويدك. قال الحافظ ابن رجب رحمه الله في جامع العلوم والحكم : وملك لسانه ويده هو الذي أشار إليه النبي ﷺ بأمره لمن غضب أن يجلس ويضطجع وبأمره له أن يسكت، وقال تعالى في صفة المتقين الذين أعدت لهم الجنة ﴿ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ وقال في صفة المتوكلين ﴿ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ ﴾ فالواجب على المسلم أن تكون شهوته مقصورة على طلب ما أباحه الله وربما تناولها بنية صالحة فأثيب عليها، وأن يكون غضبه غيرةً على دينه وإنكاراً على من عصى الله ورسوله. فالذي ينبغي للمسلم أن يتباطأ في غضبه فلا يغضب من أجل الانتقام لنفسه والانتصار لها، بل يستعمل الرفق والحلم ؛ فإن الأمر ما دام في جوف الإنسان لم يندم عليه، والذي ينبغي أن يكون له غضب المسلم هو : ما إذا انتُهكت محارم الله أو سُبَّ دينُه أو خُدِش عرضُه، وهذه كانت حال النبي ﷺ الذي لنا فيه الأسوة الحسنة ؛ فإنه ﷺ كان لا

ينتقم لنفسه، ولكن إذا انتهكت حرمات الله لم يقم لغضبه شيء، ولم يضرب بيده خادما ولا امرأة، إلا أن يجاهد في سبيل الله، وخدمه أنس عشر سنين فما قال له أف قط، ولا قال لشيء فعله لِمَ فعلتَ كذا؟ ولا لشيء لم يفعله ألا فعلت كذا؟ وفي رواية: أنه كان إذا لامه بعض أهله قال ﷺ: **(دعوه فلو قُضي شيء كان)**.

وسئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: (كان خلقه القرآن) يعني كان يتأدب بآدابه، ويتخلق بأخلاقه فما مدحه القرآن كان فيه رضاه، وما ذمه القرآن كان فيه سخطه، فكان ﷺ إذا رأى أو سمع ما يكرهه الله غضب لذلك وقال فيه ولم يسكت، وقد دخل بيت عائشة رضي الله عنها فرأى سترًا فيه تصاوير فتلون وجهه وهتكه، وقال: **(إن من أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يصورون الصور)**. ولما شُكِي إليه الإمام يطيل الصلاة بالناس حتى يتأخر بعضهم عن الصلاة معه، غضب واشتد غضبه ووعظ الناس وأمر بالتخفيف، ولما رأى النخامة في قبلة المسجد تغيظ وحكها، وقال: **(إن أحدكم إذا كان في الصلاة فإن الله حيال وجهه فلا يتنخمن حيال وجهه في الصلاة)**، وكان من دعائه ﷺ: **(أسألك كلمة الحق في الغضب والرضا)**. وهذا عزيز جدا وهو أن الإنسان لا يقول سوى الحق سواء غضب أو رضي؛ فإن أكثر الناس إذا غضب لا يتوقف فيما يقول، وجاء في الحديث: **(ثلاثة من أخلاق الإيمان: من إذا غضب لم يدخله غضبه في باطل، ومن إذا رضي لم يخرجه رضاه من حق، ومن إذا قدر لم يتعاط ما ليس له)**.

وحتى إذا رأى ما يسخط الله وأغضبه ذلك فلا يتعاطى ما يخرجه عن طوره وحده؛ وقد أخبر النبي ﷺ عن رجلين ممن كان قبلنا كان أحدهما عابدا،

وكان الآخر مسرفا على نفسه، وكان العابد يعظه فلا ينتهي، فرآه يوما على ذنب استعظمه، فقال: والله لا يغفر الله لك، فغفر الله للمذنب وأحبط عمل العابد، وقال أبوهريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يحذر الناس أن يقولوا مثل هذه الكلمة في غضب، فهذا غضب لله ثم تكلم في حال غضبه لنفسه ومتابعة هواه بما لا يجوز وحكم على الله بما لا يعلم فأحبط الله عمله، فكيف بمن تكلم في غضبه لنفسه ومتابعة هواه بما لا يجوز، ولربما إذا غضب الإنسان دعا على نفسه وأهله وماله وهذا مما لا يجوز أيضا.

فقد روى جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (سرنا مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في غزوة ورجل من الأنصار على نافح له فتلون عليه بعض التلون فقال له: سر يلعنك الله، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(انزل عنه فلا يصحبنا ملعون، لا تدعوا على أنفسكم ولا على أولادكم ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجيب لكم)**.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[1].

نسأل الله أن يجنبنا الغضب، وأن يوفقنا للصواب في القول والعمل ويجنبنا الزلل.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

(١) سورة آل عمران، الآية [١٣٣-١٣٤].

الخطبة الرابعة والسبعون:

النظافة في الإسلام

الحمد لله الذي جعل الإسلام طهرة للقلوب، ومحواً للذنوب، ونظافة للأبدان، أحمده سبحانه طيباً لا يقبل إلا طيباً، وأشكره على عموم نعمه، وما يسره من أسباب النظافة الحسية والمعنوية.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل في محكم كتابه: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(١) وأشهد أن محمداً عبده ورسوله جاء بالحنيفية السمحة وبخيري الدنيا والآخرة، وشرع نظافة الظاهر لتوافق أمره بنظافة الباطن، اللهم صلِّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الأطهار، المنفذين لهدي نبيهم ظاهرا وباطنا.

أما بعد:

أيها الناس.. اتقوا الله تعالى وأطيعوه والتزموا بأوامر دينكم، واقتفوا دائما سيرة نبيكم؛ لتفوزوا بسعادة الدنيا والآخرة، فَعَن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **(عشر من الفطرة: قص الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك، واستنشاق الماء، وقص الأظفار، وغسل البراجم، ونتف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء-يعني الاستنجاء-قال الراوي ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة)**. رواه مسلم.

---

(١) سورة الروم، الآية [٣٠].

أيها المسلمون: يجب على كل إنسان أن يسير على نهج المصطفى ﷺ وسيرة الذين اجتباهم الله تعالى لصحبته، ومن اهتدى بهديهم وسلك مسلكهم؛ لأن الخير كل الخير في الاتباع، والشر كل الشر في الابتداع، يعني: الإحداث فيما يخالف القرآن والسنة، واعلموا أن للإسلام أصولاً وفروعاً، فهو دين عقيدة ودين أخلاق، ودين فضائل وأهداف، ودين سياسة ودولة، فأصل الإسلام ومبناه على كلمة التوحيد وهي: لا إله إلا الله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾(١)، ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾(٢)وتقتضي كلمة لا إله إلا الله: الاعتقاد بأن الله هو الخالق الرازق المدبر لجميع الأمور الذي إذا أراد شيئا قال له: كن فيكون، وأنه الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

ويلزم بهذا الاعتقاد بأنه سبحانه هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له، وأنه يتوجه إليه جميع الخلق؛ رغبة ورهبة بلا واسطة، وأنه لا ملجأ ولا منجا إلا إليه فلا توكل إلا عليه، ولا استعانة ولا استعاذة ولا استغاثة إلا به، ولا ذبح ولا نذر إلا له، وليعلم الإنسان أنه يجب عليه أن يصف الله تعالى بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسول الله ﷺ على حد قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾(٣)، ولنعد إلى الحديث الشريف الذي سمعنا لفظه واحتوى على كثير من فروع الشريعة.

---

(١) سورة إبراهيم، الآية [٢٤].

(٢) سورة إبراهيم، الآية [٢٧].

(٣) سورة الشورى، الآية [١١].

فاعلموا أيها المسلمون أن الحفاظ على فروع الشريعة حفاظ على أصولها، ومن تساهل في الفروع تساهل في الأصول، ففروع الإسلام كأغصان الشجرة إذا حافظت على أغصانها بقيت ثابتة، فإذا قطعت أغصانها وأطرافها بقيت مشوهة المنظر معرضة للزوال، وهكذا الإسلام لا يتكامل إلا بتكامل فروعه، وخذ مثلا آخر ببدنك وجسمك: لوذهبت عنه بعض أطرافه فهل يوصف بالنقص أم بالكمال.

ومعنى الفطرة: الدين والسنة التي فطر من أجلها الإنسان، وخلق لها وعليها، وجعلهم مفطورين على محبة الخير وإيثاره، وكراهية الشر ودفعه، وأوجدهم حنفاء مستعدين لقبول الخير والإخلاص لله تعالى والتقرب إليه. وجَعَلَ تعالى شرائع الفطرة نوعين:

أحدهما: يطهر القلب والروح وهو الإيمان بالله وتوابعه من خوفه ورجائه ومحبته والإنابة إليه؛ قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[1]. فهذه تزكي النفس وتطهر القلب وتذهب عنه الآفات الرذيلة، وتحليه بالأخلاق الجميلة وهي كلها ترجع إلى أصول الإيمان وأعمال القلب.

النوع الثاني: ما يعود إلى تطهير الظاهر ونظافته ودفع الأوساخ والأقذار عنه وهي هذه العشرة التي هي من محاسن ديننا الحنيف إذ كلها تنظيف للأعضاء وتكميل لها؛ لتتم صحتها ويروق منظرها؛ فالمضمضة والاستنشاق مشروعان

---

(١) سورة الروم، الآية [٣٠-٣١].

في طهارة الحدث الأصغر والأكبر باتفاق، وهما فرضان فيهما، كذلك تطهير الفم والأنف وتنظيفهما؛ لأن الفم والأنف يتوارد عليهما كثير من الأوساخ والأبخرة ونحوها وهو مضطر إلى تنظيف ذلك وإزالته، وكذلك السواك يطهر الفم فهو مطهرة للفم مرضاة للرب، ولهذا يشرع في كل وقت، ويتأكد عند الوضوء، والصلاة، والاستيقاظ من النوم، وتغير الفم، وصفرة الأسنان، وكذلك قص الشارب أو حلقه حتى تبدو الشفة؛ لما في ذلك من النظافة والتحرز مما يخرج من الأنف؛ فإن شعر الشارب إذا تدلى على الشفة كره ما يتناوله الإنسان من مأكل ومشرب مع تشويه الخلقة بوفرته، وإن استحسنه من لا يعبأ به، وهذا بخلاف اللحية؛ فإن الله تعالى جعلها وقارا للرجل وجمالاً له.

وأما قص الأظفار ونتف الإبط، وغسل البراجم، وهي: مطاوي البدن التي تجتمع فيها الأوساخ، فلها من التنظيف وإزالة المؤذيات ما لا يمكن جحوده، وكذا حلق العانة، وأما الاستنجاء وهو: إزالة الخارج من السبيلين بالماء أو الحجر فهو لازم وشرط من شروط الطهارة.

فعلمت أيها المسلم: أن هذه الأشياء كلها تكمل ظاهر الإنسان وتطهره وتنظفه وتدفع عنه الأشياء المستقذرة والمستقبحة، والنظافة من الإيمان.

والمقصود أيها المسلمون: أن الفطرة شاملة لجميع الأشياء المطلوبة في الشريعة باطناً وظاهرا؛ لأنها تنقي الباطن من الأخلاق الرذيلة، وتحليه بالأخلاق الجميلة التي ترجع إلى عقائد الإيمان والتوحيد، والإخلاص لله تعالى والإنابة إليه، وتنقي الظاهر من الأنجاس والأوساخ وأسبابها، فتطهره الطهارة الحسية والطهارة المعنوية.

فلهذا قال ﷺ: **(الطهور شطر الإيمان)** وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ﴾[1] فالشريعة كلها طهارة وزكاة وتنمية وتكميل وحث على معالي الأمور؛ ونهياً عن سفاسفها.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[2].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

(١) سورة البقرة، الآية [٢٢٢].

(٢) سورة الروم، الآية [٣٠].

الخطبة الخامسة والسبعون:

الأمانـــة

الحمد لله الذي بيَّن الحق وأوضحه، وهدانا إلى معالم طريقه، وائتمننا على سلوكه، سبحانه لقد أحسن العقبى لمن سلك الطريق في أداء أمانته، ومن ضيع أمانته وخانها فقد عرض نفسه لسخط الله وغضبه إلا أن يعفو الله عزَّوَ جَلَّ عنه بفضله وكرمه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي أوجد الخلق وتعبدهم بطاعته، فله الفضل والإحسان، فهو ذو الشأن والسلطان، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين. اللهم صلِّ وسلم وبارك على نبيك محمد وعلى آله وأصحابه الذين اختارهم لحفظ سنة نبيه وائتمنهم الله سبحانه عليها فحفظوها كما أرادها الله تعالى منهم، الأتقياء الأوفياء الأمناء.

أما بعد:

فيا أيها الناس .. اتقوا الله تعالى، واعلموا أنه لا دين ولا إيمان لمن لا أمانة له، فبالأمانة تتم الديانة، ويرسخ الإيمان، ويسود المجتمع الأمن والرخاء، ويتم البناء على قواعد وأسس ثابتة، لا تزعزعها الأهواء ولا شياطين الجن والإنس، ولا عداوة الأعداء، وبالأمانة يوجد التكاتف والتعاون على البر والتقوى، وتتآلف القلوب، ويتحقق فينا المثل النبوي: **(مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)** وخذ مثلا آخر نبويا: **(مثل المؤمنين كالبنيان يشد بعضه بعضا)**.

أيها المسلمون: أتدرون لماذا كان المؤمنون كما وصفهم نبي الرحمة ورسول الهدى ﷺ؟! ما ذلك إلا لنزع الأنانية من أنفسهم وإحلال المحبة محلها لكل مسلم حسب ما تقتضيه الأمانة؛ ووقوفا عند قوله عليه الصلاة والسلام:

(لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه). وهذا لا يحصل إلا في مؤمن كامل الإيمان مؤدٍ للأمانة، فالإنسان مأمور بأداء الأمانة سواء حاكماً أم محكوماً، رئيساً أم مرؤوساً، عالماً أم عاملاً، أجيراً أم تاجرا، ذكرا كان أم أنثى، على حسب أمانته وحسب ما استودع وائتمن، والإنسان مأمور بأداء الأمانة التي ائتمن عليها، ولا سيما مربي البنين ومربي البنات من مدرسين ومديرين، ومدرسات وناظرات؛ لأن المدارس قد جمعت فلذات أكباد المسلمين ورياحينهم، فأنتم أيها المدرسون والمدرسات، تفتقون لهواتهم وتملأون أدمغتهم، إما بما تحمد عقباه عاجلاً أو آجلاً: إيماناً وخلقا وأدبا واجتماعا، وإما يخرجون وقد تلقوا الشر والإساءة والكلمات النابية بما لا يسعدهم في دينهم ومجتمعهم الخاص والعام وفي خلقهم.

فاتقوا الله تعالى أيها المديرون وأيها المدرسون، واعلموا أن الله سبحانه وتعالى رقيب عليكم قبل أن يقع في نفوسكم الخوف من مراقبة الوزارات والرئاسات، فهؤلاء لديهم العقوبات العاجلة إن اطلعوا على مساوئكم وأدوا أمانتهم، والله جل وعلا يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، ويعلم السر وأخفى، فربما عجل لك العقوبة في الدنيا وأخرها لك في الآخرة، والكل إليه سبحانه إن شاء عاقب وإن شاء عفا.

فمن الأمانة الواجبة على المدرسين والمدرسات أن يظهروا أمام البنين والبنات بالشخصية الإسلامية ممثلين الشخصيات المؤمنة باتباع الرسول ﷺ والصحابة وأمهات المؤمنين بهديهم في أخلاقهم ومظاهرهم، فلا يرون منكم إلا المظهر الشرعي في اللباس والهيئة، ولا يسمعون منكم إلا الكلام الجميل الذي يسر في الدنيا، وتثابون عليه في الآخرة مجتنبين الكلام السيء من: لعن الطالب أو الطالبة أو سب أو سخرية، أو جرح شعوره بما يؤلم ضميره، أو لعن والديه أو

سبهما، أو التعاطي أمام البنين والبنات بما ينافي الأخلاق والمروءات كتعاطي الدخان، أو السخرية أمامهم بالدين وأهله أو الصلاة، أو الضرب على وجوههم؛ لمنع الشرع له، أو إيلامهم بالضرب في أي موضع من البدن بحيث يوقع في نفوسهم الهيبة من حضور المدرسة، وإن من الأمانة أن تعدلوا بينهم في اختباراتهم الشهرية والنهائية، وأن تعطوا كل ذي حق حقه، حسب ما يسر الله له من فهم وإدراك وجد واجتهاد.

يا أيها المديرون والناظرات اتقوا الله في أنفسكم، وراقبوا من وليتم عليه من مدرسين ومدرسات، وطلاب وطالبات، وانصحوا من رأيتم منه مكروها في مظهره وكلامه وسيرته، أو رأيتم منه منكرا من القول وزورا في أداء عمله، فإن رجع عن غيه فالحمد لله، وهذا مقتضى الأمانة ومقتضى الأخوة الإيمانية، وإن استمر على غيه وطغيانه وأبى إلا الاستمرار في مظاهر الأعداء؛ فارفعوا بأمره؛ لأنه لا يؤمن أن يكون داعية ضلال وتبشير ومتبع لإبليس الذي أمره الله عزوجل بالسجود فأبى واستكبر وكان من الكافرين.

فمن تاب وأناب وكان هدفه الحق فهو كما قال أبونا آدم وأمنا حواء: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[1] وإن أبى الانقياد فهو كما قال إمامه ورائده إبليس: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾[2] فعلم أنه مشجع للغرب الصليبية أو الشيوعية الملحدة، فجد واجتهد بإبعاد هذا عن مدرستك، بل عن المجتمع الإسلامي حسب استطاعتك، والطب إذا استعصى مرض العضو في البدن يقرر قطعه واستبعاده حتى لا يسري داؤه إلى سائر

---

(١) سورة الأعراف، الآية [٢٣].

(٢) سورة الأعراف، الآية [١٢].

الجسم، وإن أهالي البنين والبنات من آباء وأمهات حينما ينقل لهم ابنهم أو ابنتهم عن مدرس أو مدرسة ما لا يرتضى فإنه ينبغي أن يرفع هذا للمسؤولين؛ فإن لديهم رحابة الصدر لإيجاد التعاون في تربية جيل صالح ناجح ناصح لله تعالى ولرسوله ﷺ ولأئمة المسلمين وعامتهم، ولكن القصور جاء من الجميع -وهذا في الحقيقة خيانة للأمانة، واشتغال كل منا في مصالحه الخاصة ليس عذراً، ولأهمية الأمانة وعدم صلاح الأمة إلا بها-ولخطر الأمانة وعظم منزلتها في الدين صارت الأمانة أثقل شيء يتحمله الإنسان ولقد أخبرنا الله تعالى في كتابه العزيز فقال: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً﴾[1].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾[2].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب. فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

---

(١) سورة الأحزاب، الآية [٧٢].

(٢) سورة النساء، الآية [٥٨].

الخطبة السادسة والسبعون:

المحافظة على الأمانة

الحمد لله القائل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾(١) أحمده سبحانه حمداً يوافي نعمه، وأشكره وأتوب إليه وأستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، وأشهد أن لا إله إلا الله، أمرنا بالمحافظة على الأمانة، وحذرنا من الخيانة فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾(٢) وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيرا.

أما بعد:

أيها الناس .. اتقوا الله تعالى، واعلموا أن الله ائتمننا على أداء ما كلفنا به من الأوامر، وترك ما نهانا عنه من المحرمات والمكروهات التي هي وسيلة إلى ارتكاب المحرمات، واعلموا أن الدافع والحامل والباعث إلى العصيان وعلى العصيان اتباع شهوات النفس الأمارة بالسوء، والانسياق وراء الشيطان المحسن والمزين لسوء الأعمال؛ قال تعالى: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ﴾(٣)وبهذا يصد الإنسان عن الصراط السوي والطريق المستقيم، ويتولاه الشيطان اللعين فيحق عليه العذاب الأليم، فالله جل وعلا خلق ذوات الأرواح فكانت ذات شهوة خالصة، أو عقل خالص، أو عقل وشهوة، فالأول البهائم، والثاني الملائكة، والثالث الثقلان

(١) سورة النساء، الآية [٥٨].

(٢) سورة الأنفال، الآية [٢٧].

(٣) سورة فاطر، الآية [٨].

الجن والإنس، فمن رجحت به شهوته كان في حساب البهائم، ومن رجح به عقله ونفسه كان في حساب الملائكة، وهؤلاء هم صالحو المؤمنين الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾[1] وهذه ثمرات التقوى، والقول الرشاد، وطاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ؛ قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[2].

لما أرشد الله تعالى المؤمنين إلى مكارم الأخلاق وأدبهم بأحسن الآداب بين أن التكليف الذي وجهه الله تعالى إلى الإنسان أمر عظيم فقال: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾[3] فالأمانة هي: التكليف، وسميت أمانة؛ لأن من قصر فيها فعليه الغرامة، ومن وفَّى فله الكرامة، وقوله تعالى: ﴿ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا ﴾[4] لم يكن إباؤهن كإباء إبليس في قوله تعالى: ﴿ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾[5] من وجهين:

أحدهما: أن السجود كان فرضا، وهنا الأمانة كانت عرضا.

---

(١) سورة الرعد، الآية [٢٢-٢٤].

(٢) سورة الأحزاب، الآية [٧٠-٧١].

(٣) سورة الأحزاب، الآية [٧٢].

(٤) سورة الأحزاب، الآية [٧٢].

(٥) سورة الحجر، الآية [٣١].

ثانيهما: أن الإباء هناك كان استكبارا وهنا كان الإباء استصغارا.. استصغرن أنفسهن ؛ بدليل قوله تعالى : ﴿وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾ ولأنهن مسبحات لله عز وجل.

قال تعالى : ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾(١) والإنسان من شأنه الظلم والجهل فيظلم بالعصيان، ويجهل ما عليه من العقوبة كما ظلم آدم عليه السلام نفسه، ولم يعلم ما عليه من العقوبة، وهو إخراجه من الجنة، ولما علم رجع وتاب ؛ فقال : ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾(٢) وانقسم الناس في حمل الأمانة إلى ثلاثة أقسام :

قسم حملها في الظاهر دون الباطن وهم المنافقون، وقسم لم يحملها لا ظاهرا ولا باطنا وهم الكفار والمشركون والزنادقة والملحدة، وقسم حملها ظاهرا وباطنا وهم المؤمنون، فكان جزاء المنافقين والمشركين العذاب المهين الأليم، وثواب المؤمنين قبول توبتهم ومغفرة ذنوبهم والرحمة بهم كما قبلها من أبيهم آدم وأمهم حواء ومن الراجعين إلى ربهم المنيبين المخبتين، قال تعالى : ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾(٣)، وقال تعالى : ﴿لِّيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾(٤).

---

(١) سورة الإسراء، الآية [٤٤].

(٢) سورة الأعراف، الآية [٢٣].

(٣) سورة الزمر، الآية [٥٣-٥٤].

(٤) سورة الأحزاب، الآية [٧٣].

وعرض الله تعالى الأمانة على هذه الجمادات؛ لشدتها وقوتها كما قال تعالى: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾(١) والأرض والجبال لا تخفى شدتها وصلابتها؛ فامتنعن عن حملها وإن كن أقوياء إلا أن أمانة الله تعالى فوق قوتهن، وحملها الإنسان مع صفة ضعفه الذي قال الله فيه: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾(٢). ولهذا أودع الله فيه العقل وقوة الإدراك والحواس ووعده بالإعانة على حفظ الأمانة بقوله ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾(٣).

وجاء أن الله تعالى يقول: **(أنا أعين من يستعين بي ويتوكل عليَّ)**، والكافر والمنافق لم يرجع إلى الله تعالى فتركه مع نفسه.

فاتقوا الله أيها المسلمون، وحافظوا على الأمانة، وأطيعوا الله تعالى والرسول ﷺ لعلكم ترحمون.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٧ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾(٤).

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم: أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

---

(١) سورة النبأ، الآية [١٢].

(٢) سورة النساء، الآية [٢٨].

(٣) سورة الطلاق، الآية [٣].

(٤) سورة الأنفال، الآية [٢٧-٢٨].

الخطبة السابعة والسبعون:

فضل الاكتساب

الحمد لله الذي أعزنا بالإسلام واختاره لنا ديناً، أحمده حمداً يوافي نعمه ويكافيء مزيده، وأشهد أن لا إله إلا الله حد حدوداً فلا تعتدوها وحرَّم أشياء فلا تنتهكوها، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله دعا إلى الكسب الحلال وبين لنا طريقه، وأكد أن كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به. صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الذين التزموا بهديه وأقاموا سنته واتبعوا طريقته، وعملوا لدنياهم كما عملوا لآخرتهم، أولئك الذين هداهم الله، وأولئك هم أولو الألباب.

أما بعد:

أيها المسلمون: اتقوا الله تعالى، والتزموا بأوامره، واعلموا أن الله جل وعلا أوجد الإنسان عاملاً متحركاً وساعياً كادحاً، متطلعاً لاكتساب المال وهو مأمور بذلك، ولكن أنيط هذا الأمر بسمو المراد، وعلو الهمة، ونبل الغاية، وهذا يعنى به اكتساب الطيب والحلال والعمل الشريف؛ مراعيا فيه مارسمته الشريعة من طرق الاكتساب، وقد جاءت النصوص تحث على العمل، وتأمر به، وتجعله سببا لمورد الرزق، والفوز في الدنيا والآخرة، وتربط العامل بمن عمل من أجله وهو ربه وخالقه وإلهه؛ لأن العامل والعابد حينما يعمل ويعبد وهو لا يراعي مراقبة ربه له وعلمه به؛ فإن ذلك لا ينفعه؛ قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴾[1] قالها حكاية عن إبراهيم مخاطبا أباه وقومه.

وقال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ

---

(١) سورة مريم، الآية [٤٢].

﴿عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾(١) على أن يكون العامل مستعيناً بالله تعالى ومتوكلاً عليه باذلاً للأسباب، أما الاعتماد على الأسباب وحدها فيقدح في التوحيد والعقيدة، والاستعانة بالله تعالى بدون فعل سبب عجز وغرور، قال تعالى: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾(٢) وقال : **(احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز)**. فأنت أيها العامل عليك بفعل السبب المشروع كما أمرت والله تعالى المهيئ والميسر؛ حيث ربط المسببات بالأسباب، فشكره وذكره وطاعته وحسن عبادته والإخلاص فيها سبب لدخول الجنة إذا تغمدك الله تعالى برحمته، والزواج سبب للولد، والحرث سبب للحب والثمرة، والبيع والشراء سبب لحصول النقود بيدك، وكذا الأعمال المهنية سبب لاكتساب النقود، ولكن إن وجدت النية الصادقة الصالحة لهذه الأعمال؛ حتى يتقوى بها على طاعته سبحانه واكتسبها على ما رسمته له شريعة الله، فقصد بالزواج عفة الفرج وغض البصر، وبالولد تكثير أمة محمد وعبيد الرحمن. فإن ذلك هو السعي النافع والعمل المثمر، وإن خلا عمله مما تقدم فالمسلم وغيره سواء، الإنسان والبهائم في الهدف سواء؛ لأن الكل يطلب الشبع عن الجوع، والري عن الظمأ، وهكذا حينما يصدق الإنسان في معاملاته، ويحفظ أماناته من أجل الإنسانية، و السمعة لم ينفعه ذلك في الآخرة.

وخير ما يسعى به المرء هو: الكسب الحلال من عمل بيده أو تجارة ملتمسا أوضح طريق مشروع لاكتساب المال؛ قال ﷺ: **(يأتي زمان على أمتي لا يبالي فيه المرء من أين أكتسب المال من حلال أم من حرام)**. وهذا لا شك أنه ذم لمن

---

(١) سورة التوبة، الآية [١٠٥].

(٢) سورة النحل، الآية [٣٢].

يصاحبه الجشع وعدم المبالاة لاكتساب المال من أي طريق كان؛ قال ﷺ في فضل الاكتساب: **(ما أكل أحد طعاما قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وأن نبي الله داود عليه الصلاة والسلام كان يأكل من عمل يده)**. رواه البخاري وابن ماجه ولفظه قال: **(ما اكتسب الرجل كسباً أطيب من عمل يده، وما أنفق الرجل على نفسه وأهله وولده وخادمه فهو صدقة)**، وقال ﷺ: **(لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير له من أن يسأل أحداً فيعطيه أو يمنعه)**. وسئل عليه الصلاة والسلام أي الكسب أطيب؟ قال: **(عمل الرجل بيده، وكل كسب مبرور)** وسئل أيضاً عن أفضل الكسب؟ فقال: **(بيع مبرور)**؛ فالإسلام أيها المسلمون، دين عمل، دين قوة ونشاط، دين فضائل وأخلاق، ولقد خاب وخسر من رمى الإسلام بالخمول والكسل، وأنه يؤخر عن العمل، وأن صاحبه يركن إلى العجز والخور، والجبن والبخل التي هي أشر الصفات، ولقد كان الرسول الكريم ﷺ يتعوذ منهن صباحاً ومساء: **(اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والجبن والبخل، وغلبة الدين وقهر الرجال)**.

فكيف يظن بالإسلام إذا شوهد بعض الخمول في أهله ظن السوء؟! وهذا كلام رسول الله ﷺ وهو التعوذ من العجز والكسل؛ فهما مصدرا كل شر، ومانعا كل خير، فالعاجز الكسول منقطع عن خيري الدنيا والآخرة، وانظر أيها المسلم، إلى هدي نبي الله نبي الهدي ﷺ في سيره وأقواله وأفعاله.

وهاك نموذجاً منه؛ ليكشف عن بصرك وبصيرتك غمامة الجهل ودياجير الظلام: عن أنس رضي الله عنه: أن رجلا من الأنصار أتى إلى النبي ﷺ فسأله، فقال: **(أما في بيتك شيء؟)**، قال: بلى-حلس نلبس بعضه ونبسط بعضه، وقعب نشرب فيه الماء. قال: **(ائتني بهما)**، فأتاه بهما، فأخذهما رسول الله ﷺ، وقال: **(من يشتري هذين)**، قال رجل: أنا آخذهما بدرهم. فقال

رسول الله ﷺ : **(من يزيد على درهم مرتين أو ثلاثا)**، قال رجل: أنا آخذهما بدرهمين فأعطاهما إياه ثم أخذ الدرهمين فأعطاهما الأنصاري، وقال: **(اشتري بأحدهما طعاماً فانبذه إلى أهلك، واشتري بالآخر قدوماً فائتني به)**. فآتاه فشد فيه رسول الله عوداً بيده، ثم قال للأنصاري: **(اذهب فاحتطب وبع، ولا أرينك خمسة عشر يوماً)**-ففعل-فجاء وقد أصاب عشرة دراهم فاشترى ببعضها ثوباً، وببعضها طعاما، فقال النبي ﷺ : **(هذا خير لك من أن تجيء المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة)**.

فاتقوا الله أيها المسلمون، وشمروا عن سواعدكم؛ قال تعالى: ﴿ فَٱمْشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(٢).

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

---

(١) سورة الملك، الآية [١٥].

(٢) سورة التوبة، الآية [١٠٥].

الخطبة الثامنة والسبعون:

شكر النعم

الحمد لله القائل: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[(١)] سبحانه واهب النعم ومجريها، وأشكره على جزيل نعمه التي لا تحصى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[(٢)] وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يعطي من يشاء بغير حساب، نعمه كثيرة، وخيره عميم، وفضله لا ينفد، جواد كريم، بر رحيم، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله القائل: **(أفلا أكون عبداً شكورا)**. صلى الله وسلم على نبينا ومعلمنا محمد، أوذي فصبر، وأعطي فشكر، ورضي الله عن أصحابه الصابرين الشاكرين الذين فازوا بالسعادتين في الدنيا والآخرة؛ جزاء صبرهم وشكرهم.

أما بعد:

أيها الناس .. اتقوا الله يجعل لكم فرقانا، ويكفر عنكم سيئاتكم، ويغفر لكم ذنوبكم، والله ذو الفضل العظيم، واعلموا أن تقوى الله سبحانه وتعالى هي: شكره على نعمه الظاهرة والباطنة، وأن شكر هذه النعم من مقومات الأمن والاستقرار، وسبب لرضى الله سبحانه وتعالى وحصول الأرزاق وتوافرها. وشكر النعم يضمن بقاءها وزيادتها، وسلامة من عذاب الله الشديد؛ قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[(٣)].

---

(١) سورة إبراهيم، الآية [٧].

(٢) سورة إبراهيم، الآية [٣٤].

(٣) سورة إبراهيم، الآية [٧].

فكفر النعم سبب لزوالها، وتبدلها بالجوع، وسبب لاختلال الأمن والاضطراب بعد الاطمئنان، وسبب لانقطاعها بعد تواردها من كل مكان، وسبب للقحط والجدب بعد الخصب والرغد؛ قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾(١).

ولقد هيأ الله جل وعلا لسبأ من الجنات والبساتين والأرزاق والأمن في الأسفار ليلاً ونهاراً أينما التفتوا ونظروا سرت أعينهم وطابت أنفسهم، ولكنهم أمروا بشكرها فكفروها، وأمروا بالحفاظ على بلدتهم الطيبة فلم يمتثلوا، وعرض عليهم ربهم مغفرته إذا تابوا وأنابوا وشكروا فأعرضوا ونفروا، فبدلوا ببساتينهم أشجاراً لا تنفعهم، ليس فيها ثمر ولا مطمع، فأحل بهم نقمته، وسلبهم نعمته، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾(٢) وقد أمنوا في أسفارهم وتقاربوا من شدة الأمن حتى إنهم كفروا هذه النعمة، وطلبوا بُعْد السفر وظلموا أنفسهم بسبب صنيعهم، فصاروا أحاديث ومزقوا شر ممزق، وصدّق عليهم إبليس ظنه ﴿فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ

---

(١) سورة النحل، الآية [١١٢].

(٢) سورة سبأ، الآية [١٥-١٧].

ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْـَٔاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴾(١).

فاتقوا الله أيها المسلمون، واشكروا نعم الله عليكم، ولا يصدق عليكم ظن إبليس، وكونوا ممن آمن بالآخرة، ولا تكونوا ممن شك فيها؛ فإن الشك في الآخرة والتكذيب والكفران بالنعم سبب للعقوبات وحلول المثلات، وعقوبات الله تعالى قد تكون عاجلة في الدنيا، وقد تؤجل إلى الآخرة؛ قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ ۗ قُلْ تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾ قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴾(٢).

عباد الله .. أي مسلم يريد أن تكون جهنم مقره والنار مصيره؟! أي مسلم يريد أن يضل عن سبيل الله؟! أي مسلم يريد أن يبدل نعمة الله كفرا؟! أي مسلم يريد أن يكون سبباً للبوار على قومه ومجتمعه؟! كل هذا ليس من شأن المسلم، بل من شأنه إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، ومراقبة الله في السر والعلن، والحذر من الوقوف بين يديه، ومن يوم العرض عليه سبحانه، ذلكم اليوم الذي لا خلة فيه ولا شفاعة، ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴾(٣).

---

(١) سورة سبأ، الآية [١٩-٢١].

(٢) سورة إبراهيم، الآية [٢٨-٣١].

(٣) سورة الفرقان، الآية [٢٧-٢٨].

ونعم الله تعالى لا تعد ولا تحصى منها ما يرى في الظاهر، ومنها ما هو خفي ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾[1] وحقيقة شكر النعم هو: الثناء على المحسن بما أولاه من المعروف.

ولا يتم الشكر إلا بتواطئ القلب مع اللسان اعتقاداً ونطقا، وصرفها في طاعة الله تعالى، فمن صرفها في معصية الله تعالى، واعتقد أنها من عند غير الله تعالى، أو أضافها إلى غير الله بمقاله، فإنه لم يكن شاكرا، بل كافرا لنعم الله تعالى؛ قال تعالى: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾[2] وأكثر الخلق على هذا الوصف الذميم.

فاحذر- يأخي المسلم- أن تكون من أهل هذا الوصف، وكن دائماً من عباد الله الشاكرين؛ قال تعالى: ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴾[3]. فما نحن فيه اليوم من النعم الكثيرة والتي أجلها نعمة الإسلام والصحة في الأبدان والأمن في الأوطان، تستوجب تثبيتها والحفاظ عليها؛ ولا يكون ذلك إلا إذا قوبلت بالشكر، وعرف حق مسديها، فإن قابلناها بالبطر سلبها منا، وحل بنا ما حل بمن قبلنا: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَـٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾[4]. كما لا ننسى ولا يعزب عن أذهاننا أن حصول النعم في بعض المجتمعات ولبعض الأفراد مع التلبس بمعاصي الله تعالى قد يكون استدراجا من الله تعالى لهذا المجتمع ولهذا الفرد، فيكون مآله إلى

---

(١) سورة إبراهيم، الآية [٣٤].

(٢) سورة النحل، الآية [٨٣].

(٣) سورة سبأ، الآية [١٣].

(٤) سورة القصص، الآية [٥٨].

الهلاك والدمار؛ قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(١).

فداوموا أيها المسلمون على شكر نعم الله تعالى عليكم، واحذروا المعاصي؛ فإنها الهلاك وسبب لزوال النعم.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾(٢).

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله الكريم لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

---

(١) سورة الأنعام، الآية [٤٤-٤٥].

(٢) سورة الأعراف، الآية [٩٦-٩٩].

الخطبة التاسعة والسبعون:

إماطة الأذى عن الطريق

الحمد لله الذي أمرنا بالعمل لما فيه نفعنا وسعادتنا، أحمده سبحانه وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره، وأسأله التوفيق لعمل ما يرضيه ويرضى عنا به، وأشهد أن لا إله إلا الله القائل: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[1] وأشهد أن محمداً عبده ورسوله علمنا ووجهنا إلى ما فيه سعادتنا في الدنيا والآخرة، اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الذين تعاونوا فيما بينهم وعاشوا لإخوانهم ومجتمعهم المسلم بقدر ما عاشوا لأنفسهم فكانوا مثلا يحتذى به في التعاون وعمل الخير، رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون.

أما بعد:

أيها الناس .. اتقوا الله تعالى، واعلموا أن طرق الخير كثيرة، والله المثيب على فعلها، فما أوسع فضل الله على خلقه! إن فعلوا ما أمروا به أثيبوا وكل ذلك يسعه علمه؛ ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾[2]، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾[3] واعلموا أيها المؤمنون أن أعمال الخير تكون بالقلب، واللسان، والجوارح، فتوجد في القلب اعتقادا، وفي اللسان نطقاً، وفي الجوارح فعلاً، والكف عن الشر يكون كذلك، فتعتقد تحريمه، وتمسك عن

(١) سورة المائدة، الآية [٢].

(٢) سورة البقرة، الآية [١٩٧].

(٣) سورة الزلزلة، الآية [٧-٨].

مقالك له، وتكف عنه جوارحك، بهذا يتكامل إسلامك؛ قال ﷺ: **(المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)**. وبهذا الوصف يحصل الاستسلام التام والانقياد الكامل، فلا يغب عن ذهنك هذا الوصف العظيم، تحظ بالخير الكثير، ويسعد بك مجتمعك الإسلامي، ويتكامل بناؤه.

وليكن امتناعك عن إيذاء المسلمين والإساءة إليهم بيدك أو لسانك محض الطاعة لله تعالى وللرسول ﷺ وبذلك تنال أجر الطائعين لربهم الخائفين من عقابه وعذابه، فإن أنت تركت إيذاء المسلمين مخافة عقوبتهم أو هيبة من السلطة سلمت في هذه الدنيا ولم تجد في الآخرة ثوابا؛ قال تعالى فيمن آذى مسلماً أو مؤمناً في القول أو الفعل: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا﴾(١) وإن من أذيتهم ما يوضع في طرقاتهم وأسواقهم مما يؤذيهم ويدنس ثيابهم وأقدامهم ونعالهم، أو بما يجرح أبدانهم ويعرضهم لما يؤلمهم كالأحجار والأخشاب والزجاج والمسامير، أو بما يضيق طرقاتهم كالتراب وحفر الحفر بلا ضرورة، أو لضرورة ويتساهل أصحابها في إزالتها أو بوضع حواجز للحماية منها.

أيها المسلمون .. كما أن هذا يؤذي المؤمنين ويعتبر من الإساءة إليهم، فإزالته من برهم والإحسان إليهم، وهو من الإيمان العملي؛ قال ﷺ: **(الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق)**.

وقال ﷺ: **(عرضت علي أعمال أمتي: حسنها وسيئها فوجدت في**

---

(١) سورة الأحزاب، الآية [٥٨].

محاسن أعمالها الأذى يماط عن الطريق، ووجدت في مساويء أعمالها النخاعة تكون في المسجد).

وبهذا أيضاً نعرف أن الإسلام دين عبادة وعمل ونظافة واجتماع وتعاون، وبهذا أيضا نعرف أنه يحصل الفرق بيننا وبين الكفار بأننا نعمل للنظافة في أبداننا وأسواقنا عملاً إسلامياً يزيد دنيانا مرأىً وجمالاً ويزيدها قوة و يكون لنا من الثواب في الآخرة على هذا العمل- إن شاء الله-، أما هم فيعملون ذلك عملاً إنسانياً فغايتهم صحة أبدانهم وتحسين ما تراه أعينهم؛ لأنهم لا يؤمنون بالآخرة ولا بجنة ونار لعدم إقرارهم بالإسلام.

قال تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾[(١)]، وقال ﷺ في فضل مزيل الأذى عن الطريق، وأنه مستحق لشكر الله تعالى ومغفرته لذنوبه: **(بينما رجل يمشي في الطريق وجد غصن شجرة أو غصن شوك فأخره، فشكر الله له، فغفر له)**.

وعن أبي برزة رضي الله عنه قال: قلت: يارسول الله: علمني شيئا ينفعني، قال: **(اعزل الأذى عن طريق المسلمين)**. وقال: **(رأيت رجلاً يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي المسلمين)**. رواه مسلم.

وفي رواية أخرى: **(بينما رجل يمشي في الطريق وجد غصن شوك على الطريق فأخره فشكر الله له فغفر له)**. وفي رواية أخرى: **(مر رجل بغصن شجرة في ظهر الطريق، فقال: والله لأنحين هذا عن المسلمين حتى لا يؤذيهم، فأُدخل الجنة)**.

---

(١) سورة النجم، الآية [٢٩-٣٠].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: **(كل سلامى من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس: تعدل بين اثنين صدقة، وتعين الرجل في دابته فتحمله أو ترفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة)**. متفق عليه.

ورواه مسلم من رواية عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **(خلق الله ابن آدم على ستين وثلاثمائة مفصل، فمن ذكر الله، وحمد الله، وهلل الله، وسبح الله، وعزل حجراً عن طريق المسلمين أو عزل شوكة، أو عزل عظماً، أو أمر بمعروف، أو نهى عن منكر، عدد الستين والثلاثمائة السلامى أمسى من يومه وقد زحزح نفسه عن النار)**.

فاتقوا الله تعالى أيها المسلمون، واحذروا أذى إخوانكم المسلمين وتعاونوا فميا بينكم على إماطة الأذى عن الطريق تفوزوا بجنات النعيم.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾(١).

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

---

(١) سورة الأحزاب، الآية [٥٨].

الخطبة الثمانون:

الجليس الصالح والجليس السوء

الحمد لله الذي أمرنا بالمحافظة على عقيدتنا وأخلاقنا، أحمده سبحانه، طهرنا من الدنس والشرك وحذرنا من قرناء السوء ومعاشرتهم، وأشهد أن لا إله إلا الله، النجاة في اتباع ما أمر به، والدمار والهلاك في ارتكاب ما نهى عنه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، علمنا الكثير في مدرسته، فمن هداه الله ووفقه استفاد من دروسها والتزم بمنهجها، ﷺ القائل: **(الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل)**. ورضي الله عن آله وأصحابه دعاة الحق والهدى، وصفهم الله تعالى في القرآن بقوله: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾[1] رضي الله عنهم ورضوا عنه.

أما بعد: اتقوا الله عباد الله:

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء، كحامل المسك، ونافخ الكير، فحامل المسك، إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير، إما يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحاً منتنة)**.

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(مثل الجليس الصالح كمثل صاحب المسك إن لم يصبك منه شيء أصابك منه ريحه، ومثل الجليس السوء كصاحب الكير إن لم يصبك من سواده أصابك من دخانه)**. رواه أبوداود.

---

(١) سورة محمد، الآية [٢٩].

أيها الناس : اتقوا ربكم الذي خلقكم فأحسن صوركم ، اتقوا الله ، اتقوا من إليه المصير ومن إليه المنتهى ، ومن إليه المرجع والمآل ، اتقوا ما عسى أن تخشوه أو تكرهوه يوم فصل الخطاب ، يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار ؛ اتقوا من لا تخفى عليه حيلة محتال ، ولا يفوته كيد كائد ﴿هَـٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَـٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ۝٣٨ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ۝٣٩ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾(١) .

عباد الله : يتساءل الكثيرون عن أسباب الأمراض في الأبدان وعن أنواعها ، ويتساءلون عن وقايتها وعلاجها ، وهم بذلك جادون ، وفي سبيل ذلك للأموال باذلون ، وإلى أطباء الأبدان والأجسام مسارعون ومبادرون ، سواء في الداخل أم في الخارج مقيمون ، ولا يكفيهم أن يعالجوا عن ما هم منه شاكون ، ولكنهم يبحثون عن الأمراض المعدية ليتوقوها ، ويطالبوا بإبرازها عن الأجسام المتمتعة بصحتها ، حتى تجعل المحاجر الصحية فيطمئنوا بحجرها وحجبها وإبعادها.

نعم أيها المسلمون : إن الصحة في الأبدان نعمة عظيمة وكبيرة ، والأمن نعمة عظيمة وهما هدف أساسي للمسلمين ، ومظهران قويان لإغاظة الأعداء .. إلا أن الهدف من الصحة في الأبدان : أن يعيش الإنسان مؤمناً بربه ، قوياً في طاعته ، وهذا لا يحصل إلا بالمحافظة على العقيدة والأخلاق والمعاملات والآداب الإسلامية ، فإذا صحت هذه من جميع الأمراض ، وتطهرت من أدناس الذنوب والآثام استفادت من صحة الأبدان في عاجلها وآجلها ، غير أنه في عصرنا الحاضر كثرت الأمراض والأوجاع على أخلاقنا ومبادئنا الإسلامية فليراجع كلٌ منا نفسه ، هل شمر لعلاج ذلك وأنفق عليه الأموال؟! وهل بذل

---

(١) سورة المرسلات ، الآية [٣٨-٤٠].

الأسباب والوقايات للتباعد عن العدوى؟! أم هو غافل ومشغول في الحياة الدنيا، ومتناسٍ للعقبى؟!

فعلاج الأمراض الروحية هو: بمعرفة الله تعالى حق المعرفة؛ لتحمل صاحبها على العمل بشرعه؛ ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾(١) وأن يكشف ظلمة جهله بنور شرع الله؛ ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾(٢).

عباد الله: إنه كما تنبهنا للوقاية عن العدوى من جذام، وسل، وكوليرا، وجدري، ومن كل الأمراض المعدية–بإذن الله–يجب التنبه إلى العدوى في أخلاقنا وديننا وإيماننا، وذلكم بالتباعد عن كيد الكائدين، الذين يريدون إيقاعنا في هوة الهالكين من يهود ونصارى ومستعمرين، وأن نتحفظ عن مجالسة أهل السوء، سواء الذين جاءوا إلينا من الكفار ممن دعت إليهم الحاجة للعمل، أو الذين ذهبوا إليهم بزعم التعلم لما هم بغنية عنه في بلادنا الإسلامية إلا النزر القليل، فإنا نرى توافر التعليم في بلادنا شرعياً أو ما أمر به الشرع كاف عن السفر إلى بلاد الأعداء باسم التعليم حقيقة أو وسيلة للحصول على الشهادة فلنحذر من مجالسة من فسدت عقيدته وأخلاقه من بلادنا وأهلينا سافر أو لم يسافر.

عباد الله: لا جرم لئن كانت العدوى تخشى على الأبدان فإنها تكون على الأخلاق والدين أشد خشية؛ ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾(٣) ولا جرم لئن سار مع هذا الجليس فستعقبه الحسرة والندامة؛ ﴿وَيَوْمَ

---

(١) سورة فاطر، الآية [٢٨].

(٢) سورة إبراهيم، الآية [١].

(٣) سورة الزخرف، الآية [٣٦].

يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلاً ﴾[1]، ولا جرم لئن أؤتمن الجليس الصالح ؛ فإن الخيانة لا تؤمن من جليس السوء، والخير من الجليس الصالح يرتجى، ومن جليس السوء بعيد.

فحامل المسك إما أن يحذيك أو تجد منه ريحاً طيبة تنعشك، ونافخ الكير إن سلمت من سواده فلن تسلم من رائحته الخبيثة التي تخنقك، ولا جرم لئن استدل بجليسك الصالح على صلاحك فإنه سيستدل على سوئك بجليس السوء «عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه»، ولاجرم لئن تقاربت الأرواح الصالحة فستتقارب الأرواح السيئة، و**(المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل)**. ولا جرم لئن كان الجلساء الصالحون محقين وعادلين وبالآيات عاملين، وكنا بمصاحبتهم مأمورين فإن جلساء السوء ظالمين جائرين- لذا أمرنا بالإعراض عنهم إمام المتقين، وسيد المرسلين ﷺ، وكل من كانوا له من أمته متبعين، ولا جرم لئن غلبك النسيان بمجالسة أعوان الشيطان فإن الله تعالى ينقذك بأن تذكر الرحمن ولا تعد بمثل هذا العصيان ؛ ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[2] ولا جرم لئن كان مصير الصالحين إلى جنة الأبرار، فإن مصير السيئين إلى دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار ؛ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾[3] ولا جرم لئن كان الجليس الصالح سبباً للخير والربح الأخروي، فإن جليس السوء سبب للعذاب الأليم، وخسارة الدنيا والآخرة ﴿ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ

(١) سورة الفرقان، الآية [٢٧].

(٢) سورة الأنعام، الآية [٦٨].

(٣) سورة النساء، الآية [١٤٠].

﴿وَمَا خَلۡفَهُمۡ﴾(١) فالواجب على المسلم أن يعتني باختيار الجليس الصالح؛ وأن يحذر من جليس السوء، أما الجليس الصالح فسينفعك في حياتك، وبعد مماتك، وذلك مفقود في ضده، فصحبة الأشرار مضرة من جميع الوجوه على من صاحبهم، وشر على من خالطهم، فكم هلك بسببه أقوام، وكم قادوا أصحابهم إلى أعمال من حيث لا يشعرون ومن حيث يشعرون، ولهذا كان من أعظم نعم الله على العبد أن يوفقه إلى صحبة الأخيار، ومن عقوبته لعبده أن يبتليه بصحبة الأشرار.

صحبة الأخيار توصل العبد إلى أعلى عليين، وصحبة الأشرار توصل العبد إلى أسفل سافلين، صحبة الأخيار تعود عليه بالعلوم النافعة، والأخلاق الفاضلة، والأعمال الصالحة، وصحبة الأشرار تحرمه من كل هذا.

فاتقوا الله عباد الله، واحذروا قرناء السوء، وعليكم بصحبة أهل العلم والخلق، تفوزوا وتسعدوا في الدنيا والآخرة.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ﴿٢٨﴾ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا﴾(٢).

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

---

(١) سورة فصلت، الآية [٢٥].

(٢) سورة الفرقان، الآية [٢٧-٢٩].

الخطبة الحادية والثمانون:

التحذير عما يشغل عن ذكر الله

الحمد لله الذي بذكره تطمئن القلوب سبحانه هو القائل: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾(١) وأشهد أن لا إله إلا الله أمرنا بالمداومة على ذكره، وقرن ذكره بشكره، فقال: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾(٢) وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، خير من حمد الله وهلله وكبره، وقال في حديث السبعة الذين يظلهم الله تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله: **(ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه)** صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً.

أما بعد:

عباد الله: يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾(٣).

أيها المسلمون: اتقوا الله تعالى، واعلموا أن كل من سارت قدماه إلى المسجد وتوجه لمناجاة الله تعالى يعلم أن هذه الآية من عند الله وأنها من جملة القرآن الذي أنزل على محمد ﷺ، الذي يجب الإيمان به كله فمن كفر بآية من آياته فكأنما كفر به كله؛ ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾، أما علمتم ما جزاء هذا ﴿فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ

---

(١) سورة الرعد، الآية [٢٨].

(٢) سورة البقرة، الآية [١٥٢].

(٣) سورة المنافقون، الآية [٩].

﴿يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ﴾ وإن الله سبحانه وتعالى لم يغفل عن عمل الكافر ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[(١)] وما علم أنه بعمله اشترى الحياة الدنيا بالآخرة، وبئس من باع آخرته بدنياه ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ وما علم هذا أن حظه العذاب الثقيل، وأنه لا ينصر في الدنيا ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾[(٢)] وحينئذ نرجع إلى الآية السابقة، قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[(٣)] فأول نظرة في هذه الآية نقول: ممن هذا النداء؟ ولمن وجه؟ فنجده من الله عز وجل إلى عباده المؤمنين، وإذاً لا بد أن تعرف الغرض من هذا النداء بهذا الوصف، هو: تذكيرهم بما يحمل على الامتثال لله رب العالمين، والنظرة الأخرى: ماذا بعد هذا النداء؟ هو نهيهم عن منكر عظيم، في ارتكابه خسارتهم وهلاكهم، وفي اجتنابه سعادتهم وفلاحهم: ﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ ولنتساءل عن المراد بذكر الله؟ فنجده طاعته بجميع أنواعها من إيمانٍ به، ومن صلاة، وتلاوة قرآن، وتسبيح، وتحميد، وتهليل، وتكبير، واستحضارٍ لعظمته وقدرته، فإذا عرفنا المراد بذكر الله تعالى، فلنعرف ما شغلنا عنه؛ لنجتنبه ونتباعد عنه، وهو: الاشتغال والالتهاء بالأموال والأولاد، واشكر –أخي المسلم– نعمة الله الذي لم ينهنا عن ما لم يكن في وسعنا تركه، وهو أصل محبة المال والولد؛ فإن هذا أمر طبعي لا يستطيع الإنسان أن يتخلص منه؛ ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا

---

(١) سورة البقرة، الآية [٨٥].

(٢) سورة البقرة، الآية [٨٦].

(٣) سورة المنافقون، الآية [٩].

تُحِبُّونَ ﴾ (١) وقوله تعالى: ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ (٢)، وقوله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾ (٣).

وإنما يتوجه النهي والذم والهلاك لمن أشغلته تجارته عن ذكر الله جل وعلا، وأما الذي لم يشغله فهو ممدوح وفعله محمود؛ ﴿ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۝٣٦ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ (٤).

وإن المال لمن نعم الله تعالى إذا استعمل في طاعته، وفي الإعانة على ذكره وشكره، وإنه لنقمة على صاحبه إذا صرف في معصيته.

أيها المسلمون: هل تعرفون ما قبل هذه الآية: ﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ (٥).

ومن القائلون؟ هم: المنافقون الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ؛ مشتغلين بأموالهم وأولادهم، فالنهي في قوله تعالى: ﴿ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ ﴾ (٦) للمؤمنين بأن لا يفعلوا فعلهم، فالجدير بالمؤمن أن يجعل لتجارته أوقاتا ولأولاده أوقاتا، ولإشرافه

---

(١) سورة آل عمران، الآية [٩٢].

(٢) سورة الإنسان، الآية [٨].

(٣) سورة آل عمران، الآية [١٤].

(٤) سورة النور، الآية [٣٦-٣٧].

(٥) سورة المنافقين، الآية [٧].

(٦) سورة المنافقون، الآية [٩].

على عمرانه واكتساب معيشته أوقاتا، ولتصاحبه النية الخالصة بأن ما عند الله خير وأبقى، وأن المال والبنين زينة الحياة الدنيا، ومع ذلك قد يكونان أعداء للشخص، لا لذاتهما، وإنما هما سببان في الحيلولة بين الشخص والطاعة؛ لهذا وصف الله تعالى بعضهم بالعداوة فقال: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ﴾(١) فوصفهم الله تعالى بالعداوة إذا هم صدوه عن طاعة الله كما وصف الشيطان بها بقوله: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾(٢) وعداوة الشيطان إما بالمباشرة كالوسوسة، أو بواسطة أعوانه من الإنس كالزوجة والولد وقرناء السوء ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ﴾(٣) وفي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: **(إن الشيطان قعد لابن آدم في طريق الإيمان فقال له: أتؤمن وتترك دين آبائك؟ فخالفه فآمن، ثم قعد له في طريق الهجرة، فقال له: أتهاجر وتترك أهلك ومالك؟ فخالفه فهاجر، ثم قعد له في طريق الجهاد، فقال له: أتجاهد وتقتل نفسك، فتنكح نساؤك، ويقسم مالك؟ فخالفه فجاهد فقتل، فحق على الله أن يدخله الجنة)**.

فاتقوا الله أيها المسلمون واحذروا ما يشغلكم عن ذكر الله وطاعته.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَـٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(٤).

---

(١) سورة التغابن، الآية [١٤].

(٢) سورة فاطر، الآية [٦].

(٣) سورة فصلت، الآية [٢٥].

(٤) سورة الصف، الآية [١٠-١١].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

الخطبة الثانية والثمانون:

نعمة المراكب الحديثة

الحمد لله الذي أنعم علينا بنعم لا تعد ولا تحصى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[1] سبحانه واهب النعم ومعطيها، وأشهد أن لا إله إلا هو أمرنا بشكره على نعمه: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[2]، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أفضل الشاكرين، اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الشاكرين لربهم، الطامعين في بره وعطفه ونعمه وكرمه، فأعطاهم الله تعالى خير العطاء، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى، واعلموا أن شكر النعم يزيدها، واستعمالها في طاعة الله تعالى يثبتها؛ وبهذا امتن الله سبحانه وتعالى على عباده بما أسدى إليهم من صنوف النعم، ولفت أنظارهم وأفكارهم وقلوبهم؛ ليسلكوا الطريق فيها، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[3] وطلب منهم شكرها، وأن يعرفوا أنها من عنده، وأنها نعمة منه ومنّة؛ وأن من أعظم هذه النعم وأجلها وأكبرها فائدة لبني آدم ما سخر لهم من الصنائع، وهداهم لتأليفها وجمعها وتركيب أجزائها، وأنه سبحانه قد أوجدها في أصل خلقه من أجلهم، وخلق ما خلق من البهائم؛ للانتفاع بها،

---

(١) سورة إبراهيم، الآية [٣٤].

(٢) سورة إبراهيم، الآية [٧].

(٣) سورة الزخرف، الآية [١٠].

والاستفادة بدرها، وأصوافها وأوبارها وأشعارها، ولولا تسخير الله تعالى وهداية وتعليم الله لما اهتدوا إلى تركيب وتصنيع هذه المصنوعات من سفن وطائرات وسيارات، ولما استطاعوا ركوبها، ولولا تسخير الله للإبل والخيل والحمير وسائر البهائم لما استطاعوا الانتفاع بها، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(١)، قال الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية: يذكر الله تعالى نعمه على عبيده فيما سخر لهم من البحر؛ ﴿لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ﴾، هي السفن فيه بأمره تعالى؛ فإنه هو الذي أمر البحر أن يحملها ﴿وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾، أي: في المتاجر والمكاسب، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، أي: على حصول المنافع المجلوبة إليكم من الأقاليم النائية والآفاق القاصية، ثم قال عز وجل: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾(٢) أي: من الكواكب والجبال، والبحار والأنهار، وجميع ما تنتفعون به، أي: الجميع من فضله وإحسانه وامتنانه؛ ولهذا قال: ﴿جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ أي: من عنده وحده لا شريك له في ذلك؛ كما قال تبارك وتعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾(٣)، ا.هـ. وقال تعالى مذكراً خلقه بما أوجد لهم من الأجناس كلها، وبما في ذلك من الأفلاك والأنعام؛ ليركبوها: وَٱلَّذِى خَلَقَ

(١) سورة الجاثية، الآية [١٢-١٣].

(٢) سورة الجاثية، الآية [١٣].

(٣) سورة النحل، الآية [٥٣].

ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴾[1] ومعنى: مقرنين، أي: مطيقين، ولولا تسخير الله لنا هذا ما قدرنا عليه، وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴾، أي: لصائرون إليه بعد مماتنا، وإليه سيرنا الأكبر، وهذا من باب التنبيه بسير الدنيا على سير الآخرة، كما نبه بالزاد الدنيوي على الزاد الأخروي في قوله تعالى: ﴿ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[2].

وباللباس الدنيوي على الأخروي في قوله تعالى: ﴿وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾[3].

أيها المسلمون: إن هذه المراكب التي هيأها الله تعالى لنا وأوجدها بيننا، ويسرها لمصلحتنا، من سيارات، وطائرات لهي السفن البرية والجوية، وهي من جملة الحديد الذي جعله الله تعالى فيه البأس الشديد والمنافع للناس؛ ليتقوى بها الخلق على طاعته ولينصروا الله تعالى ورسوله ﷺ به، وبهذا يكون شكر النعم، وبهذا نعلم قدرة الله عزوجل وقوته، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾[4] وهي من خلق الله تعالى الذي لم يوجد على وقت الرسول ﷺ

---

(١) سورة الزخرف، الآية [١٢-١٤].

(٢) سورة البقرة، الآية [١٩٧].

(٣) سورة الأعراف، الآية [٢٦].

(٤) سورة الحديد، الآية [٢٥].

وصحابته، ولكن بعلم الله تعالى أنه سيخلقه حيث أشار إليه في كتابه العزيز بعد أن من الله تعالى على هؤلاء بالمراكب الموجودة لديهم، قال تعالى: ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[1]. أما إذا استعملت هذه المراكب في الأشر والبطر، والتيه والعجب، والغرور والفخر وركبناها لمعصية الله، وحملنا عليها ما يسخط الله تعالى، وجعلناها سبباً لإزهاق النفوس والأرواح، واشتغلنا بها عن طاعة الله تعالى، واستعملناها فيما لا يرضي الله تعالى، انعكس المقصود من إيجادها لنا، وحينئذ تكون النعمة نقمة، والحسنة سيئة، والسعادة تعاسة في الدنيا والآخرة، كما هو مشاهد الآن على أيدي كثير من السفهاء والمغرورين الذين تحصلوا على هذه المراكب فقادوها بغير تفكير وحركوها من غير معرفة وتدبير فهلكوا وأهلكوا، فهم لا يرعوون ولا يرتدعون، بل أهملوا سبل السلامة وتركوا الأسباب التي تنجيهم من مخاطر هذا الحديد وهذه النيران، ولو عرفنا ذلك ما تهورنا في قيادتها، ولتقيدنا بأسباب النجاة من عدم سرعة وسلوك الطريق المخصص للسير وعدم الغفلة؛ حيث نسلم بإذن الله من هذه الحوادث.

عباد الله: إن كثيراً من المعارك التاريخية بين المسلمين والكفار لا يبلغ القتل فيها كما يحصل في بعض الحوادث اليوم، فلنتق الله تعالى في أنفسنا وفي إخواننا ومن يخلفهم، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء..

أيها المسلمون: إن كثيراً من السائقين المتهورين والمخالفين لنظم السير وأسباب النجاة فيها يحتجون بالقدر، فإذا سألت أحدهم؛ منكرا عليه سرعته

---

(١) سورة النحل، الآية [٨].

الجنونية، أو غفلته، أو نومه، أو سكره، أو إعجابه، أجابك بقوله: المقدر كائن، وما علم أنه بذلك جاهل ما عرف معنى الرضا بالقضاء والقدر، وإنما معناه الصحيح هو: الرضا بالمقدر بعد وقوعه، وما عرف هذا المفرط أنه مأمور بفعل الأسباب قبل وقوع المكروه؛ قال ﷺ: **(المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله، وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان).**

فالحديث فيه فوائد عظيمة وقواعد واضحة فهو: يحث على القوة في الدين والبدن والدنيا؛ حيث يكون البدن والدنيا عوناً على دين الله تعالى وطاعته؛ كذا دلالته على فعل الأسباب المشتملة على ما يعود على الإنسان بشتى المنافع، وهذا الحرص يكون بالاتزان والاعتدال، بحيث لا يزيد الحرص فيكون إفراطا، ولا ينقص فيكون تفريطا، ومنها: أن هذا الحرص لا بد أن يصحب بالاستعانة بالله تعالى، فترك الاستعانة بالله اتكالا على الأسباب يقدح في التوحيد، والعجز وترك الأسباب اتكالا على الاستعانة جهلاً وغروراً، ولهذا قال ﷺ: **(ولا تعجز)**، وثبت عنه عليه الصلاة والسلام أنه أقوى الأقوياء على فعل الأسباب التي ترضي الله تعالى وتدخله الجنة، وعلى الأسباب التي تقوي البدن-من طعام وشراب- على فعل الطاعات، ومن الفوائد أيضاً: تعليم الرسول ﷺ بما يجعل القلب مطمئناً غير آسف ولا نادم حينما يفوته مطلوبه؛ حيث فعل ما في استطاعته والتوفيق بيد الله تعالى.

وأثر هذا الحديث شاهد ومتداول بين الناس، إذ لا يتأسف أحدهم إلاَّ إذا ثبت تفريطه وإهماله، ومن فعل الأسباب وفاته مطلوبه لم تره متأسفاً، كذلك من القواعد والفوائد: لفت نظر المؤمن إلى الإيمان بالقدر وأنه حيثما يقع لا ينفع

الندم، حيث أمر المؤمن بأن يقول عند فوات مطلوبه **(قدر الله)** فالإيمان بالقضاء والقدر ركن من أركان الإيمان. ومن الفوائد: تقوية الإيمان بقوة الله تعالى وعظمته وقدرته على كل شيء، وأن بيده كل شيء؛ حيث قال: **(وما شاء فعل)**. ومن الفوائد أيضاً: أن الندم على ما فات والتأسف بـ (لو) من عمل الشيطان ومعناه: ذم لهذا العمل، وعمل الشيطان الذي لا فائدة فيه ولا ثمرة له، والمسلم يحرص دائماً على العمل الذي يرضي الرحمن، ويتجنب العمل الذي يرضي الشيطان، والمقصود أن معرفة الاستفادة من هذه المراكب على الوجه المطلوب من باب الحرص على ما ينفع الذي أرشد إليه في هذا الحديث مع الاستعانة بالله تعالى الذي هيأها وأوجدها وسخرها؛ ليتم نعمته عليكم. فكم من راكب دابة عثرت به فسقط من فوقها فهلك، وكم من ركاب في سفينة انكسرت بهم فغرقوا، فلما كان الركوب مباشرة أمر محظور، واتصال بسبب من أسباب التلف، أمر أن يذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر، وأن يطاع فلا يعصى، لما في تسخير الله تعالى لهذه المراكب لبني آدم من المنافع، وأنه هالك لا محالة، فلربما كان ركوبها سبب لذلك، لذا أمر أن يذكر ملاقاة ربه، ورجوعه إليه وأن إليه المنتهى.

ولا يدع ذكر الله تعالى بقلبه ولسانه حتى يكون مستعداً للقاء الله تعالى، فلا ينبغي للعبد ترك ذكر الله بقلبه ولا بلسانه وخاصة في السفر إذا تذكر: ﴿لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَـٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾[1] اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل والمال، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنظر وسوء المنقلب في المال والأهل والولد، وقال علي بن ربيعة: شهدت علي بن أبي طالب رضي الله عنه

---

(١) سورة الزخرف، الآية [١٣-١٤].

ركب دابة يوماً فلما وضع رجله في الركاب قال: بسم الله، فلما استوى على الدابة قال: الحمد لله ثم قال: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ۝ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴾، ثم قال: الحمد لله ثلاث مرات، ثم قال: الله أكبر ثلاث مرات، ثم قال: سبحانك إني ظلمت نفسي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، ثم ضحك، فقلت له: ما أضحكك؟ فقال: رأيت رسول الله ﷺ صنع هذا فضحك فقلت له: ما أضحكك؟ فقال: **(إن ربك سبحانه يعجب من عبده إذا قال: اغفر لي ذنوبي، يعلم أنه لا يغفر الذنوب غيري)**[(١)] خرجه أبوداود، هذه جملة مما تعلمناها من الرسول عند ركوب الدواب، وإليك ما علمنا الله عند ركوب السفن البحرية والبرية ومثله الطائرات قال تعالى آمراً نوحا عليه السلام: ﴿ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴾[(٢)] وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[(٣)].

فاتقوا الله أيها المسلمون واهتدوا بهدي رسولكم واشكروا نعمة الله عليكم.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[(٤)].

---

(١) ينقل الحديث كما ورد (انظر: الأذكار ص١٩٧، ١٩٨).

(٢) سورة المؤمنون، الآية [٢٨-٢٩].

(٣) سورة هود، الآية [٤١].

(٤) سورة الجاثية، الآية [١٢-١٣].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

الخطبة الثالثة والثمانون:

بـــر الوالديـــن

الحمد الله الذي أمرنا ببر الوالدين ونهانا عن عقوقهما، سبحانه جعل رضاه في رضاهما وسخطه في سخطهما، وأشهد أن لا إله إلا الله، قرن شكره بشكرهما، فقال: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾(١) وأشهد أن محمداً عبده ورسوله القائل: **(الجنة تحت أقدام الأمهات)**. صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا أيها المسلمون: اتقوا الله تعالى واعلموا أن من سعادة الإنسان توفيق الله تعالى له وتيسيره لامتثال أمره وأمر رسوله ﷺ إذا دعاه لما يحيي قلبه، وينير بصيرته، وهذه الحياة تحصل بالاستجابة لداعي الله تعالى، وتقديم مراد الله تعالى ومراد رسوله ﷺ على نفسه، وهذا الذي يقتضيه إيمان المؤمن؛ لذا وجه الخطاب له في القرآن بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾(٣)، وإن من أعظم أوامر الله عز وجل لك أيها المسلم بعد التوحيد بر الوالدين واجتناب عقوقهما، فللوالدين حق واجب يقوم به المسلم؛ تعبداً لله تعالى ورِقّاً، فقد قرن حقهما بحقه، كما قرن طاعته تعالى بطاعة رسوله ﷺ، وكما قرن الزكاة

---

(١) سورة لقمان، الآية [١٤].

(٢) سورة الأنفال، الآية [٢٤].

(٣) سورة الأحزاب، الآية [٣٦].

بالصلاة فلا تقبل واحدة من هذه الثلاث من دون الأخرى ؛ قال تعالى : ﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ ﴾ أمر الله تعالى بشكرهما بعد أن بين ما تلقاه الأم من العناء والمشقة طيلة حملها وعند وضعه ونموه ، فالمسلم الشاكر الممتثل لأمر الله تعالى يقدر هذه الأمور قدرها ، ويعطيها شيئا من الحسبان ، ويحتسبها في الميزان ؛ قال جل ثناؤه : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴾(١) فما أروعه من ثواب ، وما أصدقه من وعد ، وهو أن يعرف حق والديه فيكون في عداد أصحاب الجنة ، وممن محيت عنه سيئاته ، وقبل منه أحسن ما عمل ، ورزق التوبة إلى الله تعالى ، وكان من المسلمين طوعاً واختياراً ؛ رغبة بما عند الله تعالى وهيبة منه وإكباراً ، وأن يعترف بنعمة الله تعالى عليه بطلب ما يرضيه ، وصلاح ذريته له ، كما أصلحه الله تعالى لوالديه ، وجمع بين شكري النعمة عليه وعلى والديه ؛ لأن النعمة عليهما نعمة عليه.

وقال تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ ﴾(٢) فالله جل وعلا يوصي بالوالدين ، ثم يذكر السبب المقتضي للوصية وهو : ما تلاقيه الأم من الأوجاع ، والآلام ، والصعوبات ، والتعب ، والنصب ، في حالة الحمل والرضاع ، لذا استوجب هذا الصنيع الشكر بعد الشكر لله تعالى ؛ لأنهما

---

(١) سورة الأحقاف ، الآية [١٥-١٦].

(٢) سورة لقمان ، الآية [١٤].

السبب في إيجادك وفي حياتك حتى بلغت مبلغ الرجال، وبلغت سنهما، وصرت ولداً مسئولاً عن الأولاد بعدما كنت ولداً مسؤولاً عنك أبواك، فهما في عنايتك منذ أن كنت نطفة في بطن أمك، أو طوْراً من أطوار الحمل، وهما يقدمان مصلحتك على مصلحتهما، وراحتك على راحتهما، من عطف الوالدين وعدلهما وهاك نموذجاً من ذلك وهو:

أن امرأة تصدق عليها بتمرة فشقتها بين بنتيها في زمن النبي ﷺ، فانظر كيف آثرتهما على نفسها، والأمثلة على كون الوالد يفدي الولد بنفسه كثيرة، فالآباء والأمهات أعظم المحسنين إحسانا إلى الأولاد بعد الله تعالى؛ لذا كان حقهما أعظم الحقوق بعد حق الله عز وجل.

وقد جمع الله حكم برهما وعقوقهما، وكيفية ذلك ومتى يتأكد برهما في قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾(١).

ومعنى ﴿وَقَضَىٰ﴾: أمر وأوصى بعبادته واجتناب الشرك به، وكذا أمر وأوصى بالوالدين إحسانا، والإحسان: كلمة تشمل كل ما يسرهما ويرضيهما في غير معصية الله تعالى، وتجنب كل ما يسخطهما ويغيظهما وخصوصاً حالة الكبر؛ لأنه وقت ضعفهما، فيتأكد عليك أيها المسلم التوجه إليهما حال الضعف أكثر من حال القوة، كما هما قاما عليك حال الضعف حتى بلغت القوة، وانظر أخي كيف أدبك الله تعالى، فخذ بتأديب الله تعالى وتخلق بشرع الله تعالى، قال تعالى: ﴿ فَلَا

(١) سورة الإسراء، الآية [٢٣-٢٤].

تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ أي: لا تسمعهما قولاً سيئا، ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ أي: لا يبدر منك إليهما فعل قبيح؛ كما قال عطاء بن أبي رباح في قوله: ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ أي: لا تنفض يديك عليهما، ولما نهاه عن القول القبيح أمره بالقول الحسن والفعل الحسن فقال: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا﴾ أي: ليناً طيباً حسناً بتأدب وتوقير واحترام وتعظيم ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ أي: تواضع لهما بفعلك ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ أي: في كبرهما وعند وفاتهما وبعد وفاتهما، إلا إذا كانا كافرين فلا تدع لهما بالرحمة، ولا تستغفر لهما؛ قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾[(١)].

نزلت هذه الآية لما استغفر النبي لأمه وقد ماتت على الكفر، وقيل: لما أراد أن يستغفر لعمه أبي طالب الذي أبى أن يسلم فمات على كفره، وقد قال النبي ﷺ: **(لأستغفرن لك ما لم أنه عنك)**.

ولكن مع الكفر صاحبهما في الدنيا معروفاً، ولاتطعهما بالرجوع عن إسلامك وإيمانك أو في معصية الله تعالى، روي أن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه لما أسلم امتنعت أمه عن الطعام والشراب وقالت: لا آكل حتى ترجع عن دين محمد. فقال: إن شئت فكلي، والله لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفساً نفساً ما رجعت عن ديني، فنزل قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[(٢)].

---

(١) سورة التوبة، الآية [١١٣-١١٤].

(٢) سورة العنكبوت، الآية [٨].

فاحذر أخي المسلم أن تجعل الإساءة إلى الوالدين مكان الإحسان، وعقوقهما مكان البر والإيمان، والجفوة والغلظة مكان العطف والشفقة، والقول السيء الأليم مكان القول اللين الكريم، والكفر بدل الشكر، والمعصية بدل الطاعة، وأن تبدل الأب بالصديق، والأم بالزوجة، إن كنت تريد العون من الله تعالى والعتق من النيران، والفوز بالجنان، فإن رضا الله تعالى برضا الوالدين، وسخط الله تعالى بسخط الوالدين، والوالد أوسط أبواب الجنة فإن شئت فاحفظه، وإن شئت فأضعه، فالنظر إليهما طاعة، فما بالك بسائر البر والصلة وحسن الصحبة التي فضلها الرسول ﷺ على الجهاد في سبيل الله عز وجل.

جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: (أبايعك على الهجرة والجهاد في سبيل الله أبتغي الأجر من الله تعالى، فقال عليه الصلاة والسلام: **(هل لك من والديك أحد حي؟)** قال: نعم. قال: **(فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما)**.

أيها المسلمون: اتقوا الله في آبائكم وأمهاتكم، وعيشوا لهما في كبرهما وشيخوختهما مثلما عاشا لكما في صغركما وطفولتكما.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[١].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب ولسائر المسلمين والمسلمات فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

---

(١) سورة الأحقاف، الآية [١٥].

الخطبة الرابعة والثمانون:

التحذير من عقوق الوالدين

الحمد لله الذي جعل رضى الوالدين سبباً في دخول الجنة، وحذر من عقوقهما، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في عبادته وأحكامه، أكد القيام بحق الوالدين بعد حقه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أوصانا ببرهما والدعاء لهما، والاستغفار لهما بعد موتهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه، ومن اهتدى بهديهم وسلم تسليماً كثيرا.

أما بعد:

أيها المسلمون: اتقوا الله تعالى، واعلموا أن من تقواه بر الوالدين وطاعتهما، ومعنى الطاعة: الإحسان لهما والقيام بحقوقهما وشكرهما، واجتناب كل ما فيه إساءة لهما، وعقوق الوالدين هو: إهمال حقوقهما والخروج عن طاعتهما وفعل ما لا يرضيهما ويؤذيهما لو بكلمة مرة، أو نظرة شزرة؛ لأن النظر إليهما بعطف وشفقة يعد طاعة لله تعالى يثاب عليها الولد، قال ﷺ: **(ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟**-ثلاثا-قلنا بلى يا رسول الله، قال: **(الإشراك بالله، وعقوق الوالدين)**. وكان متكئاً فجلس، فقال: **(ألا وقول الزور، وشهادة الزور)**. وما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت. ومن أنواع البر بعد موت الوالدين الدعاء لهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما، وفي الحديث الشريف: (أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ فقال: يارسول الله، هل بقي من بر أبويَّ شيء أبرهما به بعد موتهما؟ فقال: **(نعم الصلاة عليهما-**

أي: الدعاء لهما–والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما، وإكرام صديقهما). وقال ﷺ: **(إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له)**.

واعلموا أيها المسلمون أن من أبر البر صلة الرجل أهل ود أبيه.

وخذ أخي المسلم أروع مثل في الطاعة والامتثال لأمر الوالد المرتب على أمر الله تعالى، قال تعالى في إبراهيم ثم في ولده إسماعيل عليهما السلام: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ۝١٠١ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[1].فلما أمر الله تعالى إبراهيم عليه السلام بذبح ولده أحب أن يعرف من ابنه الطاعة والامتثال فأخبره الخبر، وسأله عن رأيه في الأمر فكانت الطاعة التامة، والاستجابة السريعة لأمر الله تعالى.

فليعتبر بهذا الأولاد الذين يأمرهم آباؤهم بأمر الله تعالى ورسوله ﷺ فلا يأتمرون، وينهونهم عما نهى الله تعالى عنه ورسوله ﷺ فلا ينتهون، وخذ مثلاً أعلى في البر: عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺيقول: **(انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار؛ فقالوا: إنه لا ينجيكم من الصخرة إلا أن تدعوا الله تعالى بصالح أعمالكم، فقال رجل منهم: اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبق–أي: أقدم من**

---

(١) سورة الصافات، الآية [١٠١–١٠٢].

الشرب– قبلهما أهلاً ولا مالاً فنأى بى طلب الشجر يوما فلم أرح عليهما– أي: لم أرجع إليهما–حتى ناما، فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين، فكرهت أن أوقظهما، وأن أغبق قبلهما أهلاً أو مالاً، فلبثت–والقدح على يدي–أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر–أي: ظهر ضوءه–والصبية يتضاغون–أي يصيحون من الجوع–عند قدمي، فاستيقظا فشربا غبوقهما، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من الصخرة، فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج منه). الحديث، ودعا الآخران بصالح أعمالها فانفرجت عنهما الصخرة فخرجوا، وقال الله تعالى في حسن تلطف الأبناء مع الآباء: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾(١).

دعا إبراهيم عليه السلام أباه إلى الإيمان وأبى فما زاد إبراهيم عليه السلام أن تلطف به ووعده بالاستغفار له، وفي هذا أدب قرآني رفيع نقدمه للأبناء؛ ليأخذوا به في دعوة الآباء إلى الخير وفي أمرهم بالمعروف والنهي عن المنكر، وقال تعالى في قصة موسى والخضر عليهما السلام: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ

---

(١) سورة مريم، الآية [٤١-٤٧].

يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا ﴾[١]. وفي هذا دليل واضح على أن الله تعالى يحفظ الرجل الصالح في نفسه وولده وولد ولده ﴿ إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[٢].

فاتقوا الله أيها المسلمون وعليكم بطاعة الله تعالى ورسوله ﷺ : ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾[٣] ويا أيها الأولاد اتقوا الله تعالى في آبائكم وأمهاتكم ؛ فالرسول ﷺ يقول : **(من أصبح مرضيا لأبويه فتح الله له بابين من الجنة يدخل من أيهما شاء)**. قالوا : (يارسول الله ، وإن ظلماه؟ قال : **(وإن ظلماه وإن ظلماه وإن ظلماه ، ومن أصبح مسخطا لأبويه فتح الله له بابين من النار يدخل من أيهما شاء)**، قالوا : يارسول الله ، وإن ظلماه ، قال : **(وإن ظلماه وإن ظلماه وإن ظلماه)**.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾[٤].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

---

(١) سورة الكهف ، الآية [٨٢].

(٢) سورة الأعراف ، الآية [١٩٦].

(٣) سورة النساء ، الآية [٨٠].

(٤) سورة الإسراء ، الآية [٢٣-٢٤].

الخطبة الخامسة والثمانون:

حسن الجوار

الحمد لله القائل: ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ﴾(١) وأشهد أن لا إله إلا الله، دعانا إلى الألفة والمودة والمحبة والتعاون على البر والتقوى، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله القائل: **(ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه)**.

اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الذين أقاموا علاقات طيبة قوية بينهم، شعارها الحب في الله والبغض في الله، وكانوا مثلاً طيباً في المودة والألفة وحسن الجوار رضي الله عن الصحابة أجمعين.

أما بعد:

فيا أيها المسلمون: اتقوا الله تعالى، واعلموا أن من مكارم الأخلاق، ومحاسن العادات، ومزايا الفضائل، والروابط، وأواصر المحبة، وأسباب الود والألفة، والمعين على البر والتقوى حسن الجوار، واجتناب الإساءة إلى الجار، فللجار حق واجب جاء به إسلامنا، وهذا الحق فيما يُؤدى إليه أو يُكف عنه، فالمؤدى إليه: ما أمر به شرع المصطفى ﷺ وهداه، وما يكف عنه هو: كل ما فيه ضرر الجار وأذاه.

قال تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا

---

(١) سورة النساء، الآية [٣٦].

مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾(١).

والجار ثلاثة: جار مسلم وذو قربى، وجار مسلم وليس له قربى، وجار كافر، فالجار الكافر له حق واحد، والجار المسلم له حق الإسلام والجوار، والقريب له حق الجوار والإسلام والقرابة، فخير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره بجميع أنواعه.

فما أعظمه من تعاون، أوجده ديننا الحنيف بين الجيران؛ لما بينهم من قوة الصلات، وثبوت التعاون من بعضهم لبعض، وعدم خفاء ما يحدث عند الجار وجاره، وما هو فيه من جوع أو مرض أو غير ذلك.

إن الجار ليعرف مداخل الجار ومخارجه والكثير من أعماله وأسراره؛ لطيلة الوقت بينهم، ومن هنا صار الجوار إحدى الوسائل لتزكية الشخص وجرحه؛ لأن الجيرة هي المحك والاختبار؛ لاكتشاف الجار مروءة وصلاحاً، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لرجل أراد تزكية رجل: (أسافرت معه أو جاورته أو عاملته؟) وفي ذلك كله يقول: لا. فقال: (إذاً لا تعرفه).

نعم أيها الجار؛ لما تقدم ولغيره جاءت الوصية من جبريل عليه السلام لمحمد ﷺ مؤكدا فيها حق الجار، قال ﷺ: **(وما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه)**. فما أعظمها من وصية بالجار؛ حتى أدنته من القريب الوارث.

فالمسلم منا من أخذ الوصية بعين الاعتبار يقينا وعملا، ورغبة فيما عند الله تعالى وامتثالاً لأمره، ورهبة من مخالفته، فمن لم يحسن إلى جاره فقد قابل

---

(١) سورة النساء، الآية [٣٦].

وصية جبريل بالرفض وعدم القبول، وفي الحديث الصحيح: أنه نفى كمال الإيمان عمن أضمر السوء لجاره، وساءت نواياه نحوه، مؤكدا ذلك رسول الله ﷺ باليمين، وفي الحديث الآخر يؤكد إيمان من أكرم جاره وأحسن إليه وأمن جاره شره؛ قال ﷺ: **(والله لا يؤمن، والله لا يؤمن)** ثلاث مرات، قالوا: ومن هو يا رسول الله؟ قال: **(الذي لا يأمن جاره بوائقه)**. والبوائق: آثامه وإساءته وشروره، ومن أعظمها التطلع إلى محارم الجار والاحتكاك بهن.

ومن أعظمها أيضا: أنه لا يأمنه على نفسه وماله وولده، فيا سوء العقبى لمن نفى عنه رسول الله ﷺ كمال الإيمان بإضمار الحقد لجيرانه، وسوء الطوية، ويباله من حرمانٍ من حرم كمال الإيمان ومكارم الأخلاق؛ حيث لم يقم بإكرام جيرانه؛ قال ﷺ: **(من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره)**. وإن من إكرامه إكرام ولده وأطفاله، وألاَّ تعين أولادك على ما به جرح شعور أولاد الجيران، وألاَّ تلقي في طريقه أذى.

عباد الله: واعلموا أن من حقوق الجار مناصحته لله وفي الله وليست يا عباد الله، مناصحة الجار فيما ارتكبه من الإجرام والأذى وأنواع المنكرات والبلاء من الإساءة إلى الجيران، بل هي من الإحسان إليهم وإسداء المعروف لهم؛ لأنك بذلك تنقذهم مما فيه هلاكهم؛ هادياً لهم إلى ما فيه إرشادهم، وأنك آثم ما لم تفعل ذلك، فتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر.

اللهم أعنا على أنفسنا، وارزقنا ما به كمال إيماننا، ومكارم أخلاقنا، وتمام تعاوننا على البر والتقوى.

أيها المسلمون: اتقوا الله ربكم، واخشوه، وأحسنوا إلى جيرانكم، وكونوا عباد الله إخوانا، وكل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾[1].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

---

(١) سورة النساء، الآية [٣٦].

الخطبة السادسة والثمانون:

التحذير من الاغترار بزينة الدنيا

الحمد لله الذي جعل الدنيا دار فناء، والآخرة دار بقاء، وأشهد أن لا إله إلا الله، حذرنا أن نغتر بالدنيا ومفاتنها، فهي سوق قام ثم انفض، ربح فيه من ربح وخسر فيه من خسر، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله لم تفتنه الدنيا بزخارفها وزينتها، ولم يستجب إلى ندائها وتغريرها، بل أخذ منها بقدر ما أراد الله تعالى له أن يأخذ، وعمل لآخرته أكثر مما عمل لدنياه وخاطبه ربه قائلا: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ﴾[1] صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الذين أداروا ظهورهم لفاتن الحياة ولهوها وزينتها وتفاخرها: ﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾[2].

أما بعد:

فيا أيها المسلمون: اتقوا الله تعالى؛ فإن خير ما يتزود به المرء التقوى، ومن العمل بما يحب الرب ويرضى؛ فإن هذا أمر الله تعالى لأولي النهى: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[3].

ويجعل الله عز وجل لهذه التقوى ثمرة ونتيجة دنيا وأخرى، يجعل الله سبحانه وتعالى لأهلها فرقاناً، ويستر ذنوبهم وعيوبهم، وعوراتهم، ويؤمن روعاتهم، يغفر الله جل وعلا لهم الذنوب، ويمحو الله تعالى عنهم الآثام، ويمنحهم الخيرات العظام: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ

---

(١) سورة الضحى، الآية [٤].

(٢) سورة البينة، الآية [٨].

(٣) سورة البقرة، الآية [١٩٧].

سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[١] ، ومتى اتقى العبد ربه جعل الله تعالى له من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، ومن كل بلاء عافية، ومن كل اختبار نجاحاً وفوزاً وفلاحاً، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[٢]، فالعبد فقير إلى ربه محتاج إليه، وإلى مده بالعون من عنده في أمر دينه ودنياه ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[٣]، ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[٤]، ولكن ما يمنح الله تعالى عبيده مما هو محبوب في النفوس ومرغوب فيه من مال وبنين وأنهار وبساتين ومنازل طيبة للساكنين، هي ابتلاء وامتحان وفتنة واختبار، أيشكر عبده أم يكفر؟ ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾[٥] وفيه تمحيص لاتجاه العبد أيغتر بهذا النعيم الزائل الفاني فيرغب فيه ويركن إليه عن النعيم الثابت الباقي؛ ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾[٦]، فالمال والبنون زينة للنفوس، ومحسنة في الجبلة، وهواية لكل ميول إلا ما شاء الله، فهذه الآية الكريمة تقرر أن القيم ليست في الحقيقة هي المال، وليست هي الجاه، وليست هي السلطان، وليست هي اللذات والمتع في هذه الحياة الدنيا، إذاً هي غير باقية ولا محالة زائلة.

والإسلام لا يمنع الطيبات أكلاً واستعمالاً وزينة وجمالا؛ ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ

(١) سورة الأنفال، الآية [٢٩].

(٢) سورة الطلاق، الآيتان [٢-٣].

(٣) سورة القصص، الآية [٢٤].

(٤) سورة طه، الآية [١١٤].

(٥) سورة النمل، الآية [٤٠].

(٦) سورة الكهف، الآية [٤٦].

ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾(١) ولكنه لا يجعل منها غاية لحياة الإنسان ومحط أنظاره وموقع آماله ومنتهى مرامه، فمن شاء أن يتمتع بها فليتمتع، ولكن ليذكر الله تعالى الذي أنعم عليه بها، وليشكره على النعمة بالعمل الصالح، فالباقيات الصالحات خير وأبقى.

أيها المسلمون: كثيراً ما نرى المال على أصحابه وبالا يجر لهم الويلات، ويكن عليهم خبالا، وعن آخرتهم ملهيا وشاغلاً فهم له راغبون، وبه يفتخرون، ولآخرتهم كارهون، والعبد لا يخلو من محبة إحدى الدارين دار الدنيا ودار الآخرة، فهو يعمر أحبهما إليه، قيل لبعض العلماء: مالنا نكره الآخرة والسلف الصالح يحبون الإقدام عليها؟! فقال رحمه الله: لأنهم عمروها، ومن عمر شيئاً أحب الإقدام إليه، وأنتم عمرتم الدنيا وقصرتم فأحببتم البقاء فيما عمرتم، وكرهتم الإقدام على ما قصرتم، فالدنيا سريعة الانقضاء والانقراض، مشرفة على الزوال والبوار، وكل ما كان من زينة الدنيا فهو سريع الانقضاء والزوال، والمال والبنون من زينتها، وما كان كذلك فإنه يقبح بالعاقل أن يفتخر به، وأن يفرح بسببه، أو يقيم له في نظره وزنا، أو يجعله أكبر همه وغاية أمله، فإن هذا من شأن المشركين والكفار والمنافقين وضعفاء الإيمان، فهم الذين يفتخرون بمظاهر الدنيا وزخرفها على الفقراء، وعلى أهل الإيمان والتقوى الذين جعلوا همتهم فيما يبقى، وقنعوا بكفايتهم مما يفنى، وما درى المغترون بالدنيا أن كل ذلك متاع الحياة الدنيا، والآخرة عند ربك

---

(١) سورة الأعراف، الآية [٣٢].

للمتقين، ولغفلتهم عن الآخرة صوبوا أنظارهم إلى المظاهر الدنيوية وركزوا عليها؛ لأنها غاية أملهم وقصارى مرامهم، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾(١).

أيها المسلمون: حذار أن نغتر بالمظاهر الزائفة البراقة الخداعة، كما اغتر بها من جهلوا قدرة الله، وظنوا أنهم لا يعذبون على ذلك حتى قالوا: ﴿وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾(٣)، أي: الإقبال عليه والتفرغ لعبادته خير لكم من اشتغالكم بهم، والجمع لهم، والشفقة المفرطة عليهم، ولهذا قال تعالى: ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾(٤)، قال ابن عباس وسعيد بن جبير وغير واحد من السلف رضي الله عنهم: ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾: الصلوات الخمس. وقال عطاء ابن أبي رباح وسعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما عن الباقيات الصالحات: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، ولا مانع من عموم الآية لجميع ما ذكر، وقال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ

(١) سورة الروم، الآية [٧].

(٢) سورة سبأ، الآية [٣٥-٣٧].

(٣) سورة التغابن، الآية [١٥].

(٤) سورة الكهف، الآية [٤٦].

مَتَـٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ﴾[١]، قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ على هذه الآية: يخبر الله تعالى أنه زين للناس في هذه الحياة الدنيا من أنواع الملاذ من النساء؛ لأن الفتنة أشد بهن، ذكر في الصحيح أنه ﷺ قال: **(ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء)** فأما إذا قصد بهن الإعفاف وكثرة الأولاد فهذا مطلوب مرغب فيه مندوب إليه، كما وردت الأحاديث بالترغيب في التزويج والاستكثار منه، وأن خير هذه الأمة من كان أكثرها نساء، وقوله ﷺ: **(الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة)**، وقوله ﷺ :**(ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله تعالى خيراً له من زوجة صالحة؛ إن نظر إليها سرته وإن أمرها أطاعته، وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها حفظته في نفسها وماله)**. وقوله ﷺ في الحديث الآخر: **(حبب إليَّ من دنياكم: النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة)**. وقالت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا: (لم يكن أحب إلى رسول الله ﷺ من النساء إلا الخيل). وفي رواية: (من الخيل إلا النساء). وحب البنين تارة يكون للتفاخر والزينة فهو داخل في هذا، وتارة يكون لتكثير النسل، وتكثير أمة محمد ﷺ، ممن يعبد الله وحده لا شريك له فهذا محمود ممدوح؛ كما ثبت في الحديث: **(تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة)**. وحب المال كذلك تارة للفخر والخيلاء والتكبر على الضعفاء، والتجبر على الفقراء، فهذا مذموم، وتارة يكون للانتفاع به والنفقة في القربى وصلة الأرحام والقربات ووجوه البر والطاعات فهذا ممدوح محمود شرعا، فاتقوا الله عباد الله وإياكم والاغترار بزينة الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا.. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَـٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَـٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ

---

(١) سورة آل عمران، الآية [١٤].

ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

(١) سورة يونس، الآية [٢٤].

الخطبة السابعة والثمانون:

التذكير بالموت

الحمد لله الدائم الباقي، الحي القيوم الذي لا يموت، سبحانه تفرد بالبقاء وحده ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾(١) وأشهد أن لا إله إلا الله خلق الإنسان وأوجده في هذه الحياة الدنيا لأجل محدود ووقت معلوم ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾(٢) وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خاطبه ربه بقوله: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾(٣) صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الذين استعدوا للموت وعملوا لما بعده؛ حيث السؤال والحساب والثواب والعقاب.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى واعلموا أنه ما من مخلوق إلا وقد كتب الله عليه الفناء، فالإنسان يوجد في هذه الدنيا بغير اختياره، ويخرج منها بغير طوعه بالموت على أي سبب من الأسباب، فهو حتم مقضي، لا يتمارى في هذا اثنان، ولا يختصم فيه خصمان، وإنما المقصود التنبيه على أمرين:

الأمر الأول: تذكر الموت في هذه الدنيا، فإنه يحد من العمل لدار الدنيا ويقلل من التعلق بها، ويقصر الأمل فيها، فلا يعطيها الإنسان أقصى قوته وغاية أمله؛ لعلمه بانتهائها، أو موافاته أجله قبل نهايتها، قال ﷺ: **(أكثروا من ذكر هاذم اللذات؛ فإنه يذكر الآخرة)**.

---

(١) سورة الرحمن، الآية [٢٦-٢٧].

(٢) سورة الأعراف، الآية [٣٤].

(٣) سورة الزمر، الآية [٣٠].

الأمر الثاني: ما عسى أن يلقاه الإنسان بعد موته؛ فإنه ثمرة حياته في الدنيا ومقتطفات أعماله، ففي الدنيا عمل ولا حساب وزرع ولا حصاد، وغرس ولا قطاف، وفي الآخرة حساب ولا عمل، وحصاد لما زرع وقطاف لما غرس، ففي ذكر الموت وما بعده راحة للمطيعين ووحشة للعاصين وتسلية للدعاة المخلصين، حتى لا يحزنوا إذا لم يجب المدعوون، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾(١) فكل ذي روح لا بد أن يلاقي مصرعه طال الزمن أو قصر.

قال الفخر الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ على الآية الكريمة: اعلم أن المقصود من هذه الآية تأكيد تسلية الرسول ﷺ والمبالغة في إزالة الحزن من قلبه وذلك من وجهين:

أحدهما: أن عاقبة الكل الموت، وهذه الغموم والأحزان تذهب وتزول ولا يبقى شيء منها، والحزن متى كان كذلك لم يلتفت العاقل إليه.

الثاني: أن بعد هذه الدار دار يتميز فيها المحسن عن المسيء، ويتوفر على عمل كل واحد ما يليق به من الجزاء، وكل واحد من هذين الوجهين في غاية القوة في إزالة الحزن والغم عن قلوب العقلاء.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يخبر تعالى إخباراً عاماً يعم جميع الخليقة بأن كل نفس ذائقة الموت كقوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾(٢) فهو تعالى وحده هو الحي الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون، وكذلك الملائكة وحملة العرش، وينفرد الواحد الأحد القهار بالديمومة والبقاء، فيكون آخراً كما كان أولاً سبحانه وتعالى.

---

(١) سورة آل عمران، الآية [١٨٥].

(٢) سورة الرحمن، الآية [٢٦-٢٧].

فهذه الآية فيها تعزية لجميع الناس ؛ فإنه لا يبقى أحد على وجه الأرض حتى يموت ، فإذا انقضت المدة وفرغت النطفة التي قدر الله تعالى وجودها من صلب آدم وانتهت البرية ، أقام الله تعالى القيامة وجازى الخلائق بأعمالها جليلها وحقيرها ، كثيرها وقليلها ، كبيرها وصغيرها ، فلا يظلم أحداً مثقال ذرة ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾(١) فأجر المؤمن ثواب ، وأجر الكافر عقاب ، فلم تكن النعمة والبلية في الدنيا أجراً وجزاء ؛ لأنها عرضة للفناء ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ أي : ظفر بما يريد ونجا مما يخاف ، وفي الحديث : **(من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ، وليأت إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه)**. وفي حديث آخر : **(موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها)** ، واقرءوا إن شئتم ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾. وقوله : ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ ، أي : تغر الإنسان وتخدعه ، فيغتر بطول البقاء ، وهي دنيئة فانية ، وقليلة زائلة.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «والغَرُور بفتح الغين : الشيطان يغر الناس بالتمنية والمواعيد الكاذبة» ، وقال ابن عرفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «الغرور : ما رأيت ظاهراً تحبه ، وفيه باطن مكروه أو مجهول ، والشيطان غرور ؛ لأنه يحمل على محاب النفس ، ووراء ذلك ما يسوء ، قال : ومن هذا بيع الغَرَر ، وهو : ما كان له ظاهرٌ بيع يَغرُّ وباطن مجهول».

فالدنيا لها ظاهر ولها باطن ، فظاهرها متاع للسرور ؛ ونعم المتاع للمطيعين ، وباطنها مطية الشرور ، وبئس المطية للعاصين الذين يغترون بمظاهرها وزخارفها

---

(١) سورة آل عمران ، الآية [١٨٥].

ويغترون بملذاتها وطيباتها ويغفلون عما من أجله خلقت وخلق أهلها فيسرون بها، ويظنون أنها باقية، فيصوبونها أنظارهم وأفكارهم ووجهاتهم، وما دروا أنها لهم طاوية ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾(١).

فاتقوا الله تعالى أيها المسلمون واستعدوا للموت دائماً، وتزودوا فإن خير الزاد التقوى.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَـٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَـٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾(٢).

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

---

(١) سورة الروم، الآية [٧].

(٢) سورة النساء، الآية [٧٨].

الخطبة الثامنة والثمانون:

التحذير من الشيطان

الحمد لله القائل: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾(١)، وأشهد أن لا إله إلا الله قال في محكم كتابه: ﴿فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾(٢)، ونبهنا إلى أن الشيطان ليس له سلطان على المؤمنين، فقال: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾(٣)، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله حذرنا دائماً من نزغات الشيطان ووساوسه؛ حتى لا نقع في الحرام فقال: **(إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم)**، أي: العروق، **(فضيقوا عليه بالاستغفار)**. اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا أيها الناس، اتقوا الله تعالى، وأطيعوه، عباد الله المسلمين، يقول الله تعالى: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾(٤)، يأمر الله تعالى نبيه بأن يذكر لأمته شرف آدم وفضله وهو أبوهم، وهم ذريته وبشرف الأب يشرف الولد إذا أخذ بالسبب الذي شرف به أبوه؛ حيث أمر الملائكة أن يسجدوا له، فيسجدون؛ سمعاً لله تعالى وطاعة وانقياداً، ويأبى إبليس؛ بغياً وحسداً لآدم، واستكباراً ونفوراً عن أمر الله تعالى،

---

(١) سورة فاطر، الآية [٦].

(٢) سورة النحل، الآية [٩٨].

(٣) سورة النحل، الآية [٩٩].

(٤) سورة البقرة، الآية [٣٤].

ثم يستنكر هذا الأمر، كيف يؤمر بالسجود لآدم الذي خلق من طين وهو خلق من نار؟! ومن زعمه الخاطيء ووهمه الضائع بأن أصله خير من أصل آدم، وما علم أن تفضيل المخلوقات بيد الله تعالى يفضل من شاء على من شاء، ويكرم بعضهم على بعض؛ لحكمة تقتضي ذلك، وقد كرم بني آدم على جميع المخلوقات، وسخر لهم ما في السموات والأرض جميعاً منه، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون؛ لقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلٗا ﴾(١).

ولما عصى إبليس أمر ربه تعالى حكم عليه بالطرد والإبعاد عن رحمته، ودخول جنته، إلا أنه طلب من ربه الإنظار إلى يوم القيامة، ونصب لآدم وذريته العداوة، وأخذ على نفسه العهد بأن يصرف بني آدم عن ذكر الله تعالى وشكره مهما قدر واستطاع، وأن يأتيهم من كل جانب وجهة؛ لجلبهم إلى صفه؛ قال تعالى: ﴿ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ﴾(٢).

ولذا حذر الله تعالى آدم وذريته من وسوسته، وأخبرهم أنه لهم عدو مبين؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾(٣).

وأخذ الله تعالى على بني آدم العهد بأن لا يطيعوه ولا يتبعوه، فمن أخذ بأوامر الله تعالى وأوامر رسوله ﷺ، واجتنب ما نهاه الله تعالى عنه وما نهاه

---

(١) سورة الإسراء، الآية [٧٠].

(٢) سورة الأعراف، الآية [١٧].

(٣) سورة فاطر، الآية [٦].

عنه رسوله ﷺ، فقد وفى بعهد الله تعالى وأغضب الشيطان عدو الله، ومن ترك أوامر الإسلام وارتكب المحرمات فقد خان عهد الله تعالى وعرض نفسه لسخط الله تعالى وغضبه، حيث أرضى عدو الله إبليس وعدوه؛ قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾(١).

أيها المسلمون: لقد أمر الله عز وجل إبليس بتكريم أبينا آدم عليه السلام وأقر بذلك إقراراً واضحاً صريحاً وأنه من أجل هذا التكريم أظهر بأن يحاول كل المحاولة ويجتهد كل الاجتهاد على أن يتغلب على ذرية آدم ويحتويهم ويستولي عليهم، إلا من أخذ بأسباب السلامة منه، ومن الوقوع في شراكه وهم الأقلون، ومن هنا بدأ بالمحاولة مع أبينا آدم وأمنا حواء قبلنا؛ حيث طلب منهما أن يتناولا من الشجرة التي نهاهما الله تعالى عن ذوقها؛ ابتلاءً واختباراً، هل ينفذان أمره، أم يطيعان عدوه حينما وسوس لهما في ذوقهما، وحلف لهما أنه ناصح وصارت هذه طريقة لأتباعه من عصاة بني آدم؛ بحيث إنهم يظهرون النصح لمن أطاع الله تعالى لإغوائه وإضلاله، حتى يشترك معهم في معصية الله تعالى، فما لبث إبليس في وسوسته مع آدم وحواء إلا وقد لانا معه في طاعته، وارتكبا ما نهاهما الله عنه، ولكنهما سرعان ما أقلعا عن معصية الله تعالى وتابا إليه حينما تبينت لهما عقوبة المعصية، وهي انكشاف عورتهما قال تعالى: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾(٢)، وهكذا أيها المسلمون جرت سنة الله تعالى في بني آدم وهي: أن من أذنب وتاب

---

(١) سورة يس، الآية [٦٠].

(٢) سورة الأعراف، الآية [٢٢-٢٣].

كان تابعا لآدم، ومن أذنب واستمر واستنكف واستكبر عن طاعة الله تعالى كان تابعاً لإبليس، وكذا من اعترف بتكريم آدم واتبعه والأنبياء من ذريته كان معترفاً حقا: قولاً وفعلاً، ومن اعترف بتكريمه وخالف طريقته وطريقة الأنبياء من بعده كان ممن احتنكه إبليس واستولى عليهم؛ قال تعالى: ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَـٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[1].

فواعجباً ممن يعترف له عدوه بأنه أكرم منه ثم يتبعه، والحق ما شهدت به الأعداء.

أيها الأخ المسلم: ألا تنظر نظرة صدق ويقين، وجد واجتهاد عقوبة الله تعالى لآدم وحواء على معصية واحدة وهي أنهما ذاقا الشجرة التي نهاهما الله تعالى عن ذوقها، فما بالك بالمعاصي المتتابعة والجرائم المتراكمة واحدة تلو الأخرى حتى اسودت القلوب بعد بياضها، وأغلفتها عن التفكير في عقوبتها والخوف من شؤمها، فما هي معذرتنا من الله تعالى حينما يحل بنا بأسه، إلا أن يتغمدنا برحمته، ما العذر إذا أكلنا الربا وفشت فينا وسائل الزنا، والركون إلى الخلاعة والمجون والكذب والغش والخيانة، وصارت السنة بدعة والبدعة سنة، والباطل حقاً، والحق باطلا، حتى ذابت شخصيتنا الإسلامية، وماعت في شخصية أعدائنا ولم يعد من الإسلام إلا اسمه، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

فاتقوا الله عباد الله، وخالفوا الشيطان دائماً واتبعوا ما جاء في كتاب ربكم وسنة نبيكم تفوزوا بجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[2].

---

(١) سورة ، الآية [٦٢].

(٢) سورة فصلت، الآية [٣٦].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

الخطبة التاسعة والثمانون:

التحذير من الغناء

الحمد لله العلي القدير، هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم، سبحانه أرسل رسوله ؛ لإنارة البصائر، وأشكره على ما أنعم به من سمع للسامع وعين للناظر، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يحب المتقين، ويبغض الفاسقين، وأشهد أن محمداً عبدالله ورسوله خاتم المرسلين وسيد المتقين، اللهم صلِّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه الذين جاهدوا من أجل كلمة التوحيد، فصاروا أعلى الموحدين بعد النبيين، وعرفوا معنى لا إله إلا الله بأنها تنفي كل طاعة في معصية الله، وعرفوا لا إله إلا الله بأنها تثبت وحدانيته عز وجل فهو المستحق لأن يعبده الخلق أجمعون.

أما بعد:

فيا أيها الناس اتقوا الله تعالى، واعلموا أن زلزلة الساعة شيء عظيم، قد وصف الله تعالى حالتكم حين مشاهدتها ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾(١) فالناس في هذا اليوم منهم من هو ناج من هذا الهول، وعليه فليحمد الله تعالى، جعلني الله وإياكم من الناجين، ومنهم من هو واقع عليه هذا العذاب، فلا يلومن إلا نفسه، وهم من ذكرهم الله تعالى بقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ﴾(٢).

---

(١) سورة الحج، الآية [٢].

(٢) سورة الحج، الآية [٣].

عباد الله: إن مما اتبع الناس فيه الشيطان في هذا الزمن، سماع الغناء، والركون إليه، وتشجيعه، وتشجيع المغنيين والمغنيات، والمستمعين لهم والمستمعات، ولآلات الطرب، كالعود وأنواع الموسيقى.

أيها الأخ المسلم: إن سألت عن حكم الغناء بأي اسم سمي سواء بالغناء والفنون فهو محرم عند جماهير العلماء؛ لنص الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾(١)، قال بعض المفسرين: هذه الآية إحدى الآيات المحرمة للغناء، والثانية قوله تعالى: ﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾(٢)، وهذا أمر الله تعالى للشيطان، وصوت الشيطان هو: الغناء والمزمار.

والثالثة: في تهديد الكفار وهي قوله تعالى: ﴿ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴾(٣) وقال المفسرون: السمود: الغناء.

فأين واقع المسلمين اليوم من وصف الله تعالى للكفار الذين يضحكون من الإسلام والمسلمين ويستمرون في سمودهم، وغنائهم، وطربهم، ومجونهم، بشتى أنواع فنونهم، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله على قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾(٤): «لما ذكر حال السعداء وهم الذين يهتدون بكتاب الله، وينتفعون بسماعه، كما قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ

---

(١) سورة لقمان، الآية [٦].

(٢) سورة الإسراء، الآية [٦٤].

(٣) سورة النجم، الآية [٥٩-٦١].

(٤) سورة لقمان، الآية [٦].

جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾(١).

عطف بذكر حال الأشقياء الذين أعرضوا عن الانتفاع بسماع كلام الله تعالى، وأقبلوا على استماع المزامير والغناء بالألحان وآلات الطرب»، ثم ذكر أن عبدالله بن مسعود ﵁ يحلف بأن اللهو هو: الغناء.

وإن سألت عن المال الذي يؤخذ عليه فهو حرام، وعن أجرة الدار التي تستأجر لآلات اللهو فهي حرام، وسئل العلماء عن الجارية المغنية تباع بعشرين ألفاً وإن لم تغن فبألفين، فقالوا: تباع بألفين، ولم يعتبروا الزيادة التي هي من أجل الغناء ثمناً.

فما بالك بالأشرطة والآلات والمعدات كذلك، وما بالك بمن أعد نفسه للغناء والرقص؛ ليأخذ على ذلك مالاً، وكفى وصف العلماء له بأنه فاسق، وأنه غير عدل، وغير ثقة.

فاتقوا الله تعالى أيها المسلمون، والتزموا بآداب دينكم، وتوجيهات نبيكم ﷺ، واحذروا الشيطان ووساوسه، ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾(٢).

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴾(٣).

---

(١) سورة الزمر، الآية [٢٣].

(٢) سورة هود، الآية [١١٣].

(٣) سورة الأنعام، الآية [٧٠].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

الخطبة التسعون:

من أنواع الابتلاء

تأخر المطر وهبوب الريح العاصفة

الحمد لله مصرف الأحوال والأكوان، أحمده سبحانه الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون، وأشكره على جميع نعمه في السراء والضراء، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لا إله غيره ولا رب سواه، ولا نعبد إلا إياه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أفضل من عرف قدر الله تعالى، وبين أن كل شيء بأمر الله تعالى وبتدبيره وتسخيره، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أهل الفضل والإيمان، أهل الحق والقرآن، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

أيها الناس: اتقوا الله تعالى، واقدروه حق قدره، ولا تخالفوا أمره، ولا ترتكبوا نهيه بالتعرض لزجره، واعلموا أن الله تعالى يبتلي الخلق بالضراء: هل يجزعون أم يصبرون؟ وبالسراء هل يشكرون أم يكفرون؟ ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾[1]. وإن من أنواع البلوى والامتحان للخلق، الابتلاء بتأخر الأمطار، ووجود الجدب والإقفار، وبتكوين الرياح والعواصف التي تدمر ما شاء الله تعالى تدميره، فقد تكون رحمة فتلقح السحاب بتقديره وتسوقه إلى حيث أمرها ربها؛ لأن تمطر فيه ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا

---

(١) سورة النمل، الآية [٤٠].

﴿فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾(١) ولا ينزل سبحانه المطر إلا بمقدار تقتضيه حكمته ﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ﴾(٢) وينزله سبحانه في حال الرخاء والشدة ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾(٣) ولربما منع المطر؛ حتى يكون سببا لطغيان الناس واستمرارهم في البغي والعصيان وليظهروا إليه الافتقار ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾(٤).

عباد الله: لقد تأخر المطر عن قوم نوح، كما انقطع الإيلاد فلم تلد نساؤهم لمدة أربعين سنة، ونبيهم نوح يدعوهم؛ لأن يتضرعوا إلى ربهم ويقلعوا عن معصيته، يدعوهم جهارا وإسرارا، ويأمرهم بأن يستغفروا ربهم إنه كان غفارا، يرسل السماء عليهم مدراراً ويمدهم بأموال وبنين، ويجعل لهم جنات ويجعل لهم أنهارا، وهم لا يجيبون؛ بغيا واستكبارا، حتى أهلكهم الله تعالى بالغرق، كما أهلك غيرهم بالريح العقيم، التي لا تلد خيراً، وهم عاد، ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۞ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾(٥)، وقال: ﴿وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ۞ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ﴾(٦).

---

(١) سورة فاطر، الآية [٩].

(٢) سورة الزخرف، الآية [١١].

(٣) سورة الشورى، الآية [٢٨].

(٤) سورة الشورى، الآية [٢٧].

(٥) سورة الحاقة، الآية [٦-٧].

(٦) سورة الذاريات، الآية [٤١-٤٢].

عباد الله : أتدرون ما واقع عاد مع هود نبي الله ﷺ، إنه التنكر لدعوته والاستهزاء بإنذاره والاستبعاد لعقوبة الله تعالى، ينذرهم ويخوفهم ويقول: هذا بيد الله تعالى تعجيله أو تأجيله، وإنما هو مبلغ عن الله تعالى فليس الأمر باختيارهم وتوقعاتهم حسب ما تملي لهم رغباتهم؛ وهم في غيهم وعنادهم سادرون يرون السواد المتراكم في السماء ويقولون: ﴿هَـٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾، وما دروا أنه ما استعجلوا به؛ ﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٢٤ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَـٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾[1].

عبادالله : إن الواجب على خلق الله تعالى أن يتأدبوا مع ربهم وخالقهم، ومربيهم ومصرف أحوالهم ومصرف الرياح والأكوان بالاعتقاد والأقوال والأفعال التي ترضي ربهم عز وجل؛ فإذا رأوا الريح نشأت في الجو فليخافوا من أن تكون كريح عاد، وليرجوا ربهم أن تكون رياحا ملقحات وللسحاب سائقات، فهي حينما تنشأ تحتمل هذا؛ فحينما تحمل العذاب عبر عنها القرآن بالريح، وحينما تحمل الخير والمطر عبر عنها بالرياح، والعبد لا يعلم عن نتائجها إلا بعد حصول المطر أو ما تسببه من التدمير والحوادث، لذا كان الرسول ﷺ يشتد خوفه إذا رأى شيئا في السماء؛ فقد روت عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان إذا رأى غيماً أو ريحاً، عرف ذلك في وجهه، قالت: (يارسول الله، إن الناس إذا رأوا الغيم فرحوا؛ رجاء أن يكون فيه المطر، وأراك إذا رأيته عرفت في وجهك الكراهية)، فقال رسول الله ﷺ: **(يا عائشة: ما يؤمنني أن يكون فيه عذاب، قد عذب قوم بالريح، وقد رأى قوم العذاب، فقالوا: هذا عارض ممطرنا)**.

---

(١) سورة الأحقاف، الآيتان [٢٤-٢٥].

ومما أدب به الرسول ﷺ أمته هو النطق الجميل حين رؤيتهم الريح أن يتوجهوا إلى مصرفها ويضرعوا إليه أن يجعلها خيرا لا عذابا، فعن أبي بن كعب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **(لا تسبوا الريح، فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا: اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أمرت به، ونعوذ بك من شر هذه الريح وشر ما فيها وشر ما أمرت به)**. ففي الحديث النهي عن سب الريح والإرشاد إلى الكلام النافع إذا رأى الإنسان ما يكره والإرشاد إلى أنها مأمورة وإلى أنها قد تؤمر بخير وقد تؤمر بشر، وقد عقد الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله باباً لهذه المسألة أسماه: باب النهي عن سب الريح، حيث إن في السب منافاة لكمال التوحيد، وقد يؤدي إلى منافاته بالكلية، ثم ساق هذا الحديث، وقال الشارح الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمهما الله -على هذا الحديث في تعليل النهي عن سب الريح-: لأن الريح إنما تهب عن إيجاد الله تعالى وخلقه لها وأمره؛ لأنه هو الذي أوجدها وأمرها فسبها سب للفاعل وهو الله سبحانه، كما ورد النهي عن سب الدهر وهذا يشبهه ولا يفعله إلا أهل الجهل بالله تعالى، وبدينه وبما شرعه لعباده، فنهى ﷺ أهل الإيمان عما يقوله أهل الجهل والجفاء، وأرشدهم إلى ما يجب أن يقال عند هبوب الرياح فقال: **(إذا رأيتم ما تكرهون: فقولوا: اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أمرت به ونعوذ بك من شر هذه الريح وشر ما فيها وشر ما أمرت به)**. يعني: إذا رأيتم ما تكرهون من الريح إذا هبت فارجعوا إلى ربكم بالتوحيد ففي هذا عبودية لله تعالى، وطاعة له ولرسوله ﷺ، واستدفاع للشر به وتعرض لفضله ونعمته، وهذه حال أهل التوحيد والإيمان خلافاً لحال أهل الفسوق والعصيان، الذين حرموا ذوق طعم التوحيد

الـذي هـو حقيقـة الإيمـان ، فـاتقوا الله تعـالى أيهـا المـسلمون واعتـبروا يـا أولـي الأبصار لعلكم تفلحون.

أعوذ بالله من الشيطان الـرجيم ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ ﴾[١].

بـارك الله لـي ولكـم في القـرآن العظـيم ، ونفعـني وإيـاكم بمـا فيـه مـن الآيـات والذكر الحكيم ، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

(١) سورة فاطر ، الآية [٩].

الخطبة الحادية والتسعون:

أضرار المعاصي

الحمد لله القاهر القادر، هو الأول والآخر والظاهر والباطن، أحمده سبحانه وأشكره على جميع نعمه وعموم فضله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له ما في السموات والأرض؛ ليجزي الذين أساءوا بما عملوا، ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إمام المتقين والمبشر لهم بحسن العقبى والحجة على العاصين والمحذر لهم من شؤم معاصيهم، فهو البشير النذير، اللهم صلِّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه الذين اشتد خوفهم من الذنوب، فهي عليهم أشد من وقع السهام؛ لأنها تقتل القلوب والأرواح، كما أن الرصاص يقتل الأبدان ويخرب البنيان.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى واشكروا نعمه، وارجوا رحمته، وخافوا سطوته ونقمته، فهو القادر على من انتهك محارمه.

قال تعالى: ﴿ يَـٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرۡجُواْ ٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴾ (١)، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَـٰحِهَا وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ (٢).

عباد الله المؤمنين: أتدرون ما الإحسان الذي هو سبب لقرب رحمة الله تعالى؟ هو: لزوم طاعة الله تعالى على نور من الله قولاً وفعلاً وإخلاصاً ومتابعة

---

(١) سورة العنكبوت، الآية [٣٦].

(٢) سورة الأعراف، الآية [٥٦].

لرسول الله ﷺ فلا يقبل قول بلا عمل ولا يستقيم قول وعمل إلا بنية خالصة لله تعالى ومتابعة لرسوله ﷺ .

ومن الإحسان الذي يقرب من رحمة الله تعالى :أن يتباعد المسلم عن معصيته ، فلا يترك أمره ، ولا يخالف نهيه ، ولعله بذلك يكون من المحسنين الذين تقربوا إلى الله تعالى بطاعته ومتابعة رسوله ﷺ وتشملهم رحمة الله تعالى ، ويغمرهم عفوه ، واعلموا أن للمعاصي أضراراً يعجز القلم واللسان عن عدها وحصرها ؛ فآثارها السيئة على القلب والبدن في الدنيا والآخرة واضحة جلية ، لمن وفقه الله تعالى ، فمن ذلك حرمان العلم الشرعي ؛ لأنه نور يقذفه الله تعالى في قلب المسلم ، والمعصية تطفئ ذلك النور.

جلس الشافعي عند مالك رحمهما الله وجميع علماء المسلمين ، فأعجبته فطنته وكمال فهمه فقال : إني أرى الله تعالى قد ألقى عليك قليل نور ، فلا تطفئه بظلمة المعصية.

ومن الآثار المترتبة على المعصية : حرمان الرزق كما في الأثر : **(إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه)** ، وكما أن التقوى مجلبة للرزق وغنى النفس ، وبركة المال ، فإن ترك التقوى مجلبة للشح ونقص البركة والفقر ، ومنها : ما يجده العبد من وحشة بينه وبين الله تعالى ، ومن وحشة بينه وبين الناس ، ولا سيما أهل الخير منهم فإنه يجد وحشة بينه وبينهم وكلما قويت تلك الوحشة بعد منهم ومن مجالسهم وحرم بركة الانتفاع بهم ، وقرب من حزب الشيطان بقدر ما بعد عن حزب الرحمن ، وتقوى هذه الوحشة حتى تستحكم فتقع بينه وبين امرأته وولده وأقاربه ، بل وبينه وبين نفسه فنراه مستوحشا من نفسه ، وقال بعض السلف : إني لأعصي الله فأرى ذلك في خلق دابتي وامرأتي.

أيها المسلمون: إن من أضرار المعاصي ما يجده العبد من تعسير أموره عليه، فلا يتوجه لأمر إلا يجده مغلقا دونه، أو متعسراً عليه، هذا وإن من اتقى الله تعالى جعل له من أمره يسرا، ومن عطل التقوى جعل له من أمره عسرا.

وياله من عجب، كيف يجد العبد أبواب الخير والمصالح مسدودة عنه، وطرقها متعسرة عليه ولا يعلم من أين أُتي ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴾[1]، ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ﴾[2] فاتق الله تعالى يا أخي المسلم، اجتنب المعاصي، وحذار من ارتكابها لتسعد في دنياك وتحظى بلقاء الله تعالى والقرب منه في أخراك، واحمد الله تعالى على نعمة الإيمان والإسلام.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[3].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

***

(١) سورة الطلاق، الآية [٤].

(٢) سورة الطلاق، الآية [٢-٣].

(٣) سورة الأحزاب، الآية [٧٠-٧١].

الخطبة الثانية والتسعون:

التحذير من المعاصي

الحمد لله أنار قلوب المؤمنين بنور الإيمان، وجعل على قلوب العاصين أكنة بسبب العصيان، وفي آذانهم ثقلاً عن سماع القرآن، أحمده سبحانه وأشكره على ما هدانا ووفقنا؛ فإنه أهل الفضل والإحسان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الكريم المنان، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وخيرته من خلقه، أضاء به الأكوان، وجعل رسالته رحمة لكل إنسان، اللهم صلِّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه، وجميع أتباعه في كل مكان وزمان.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى، وأطيعوه، وأنيبوا إليه وأسلموا له، فطوبى للمطيعين التائبين العابدين، واحذروا مخالفة أمره ومعصيته، فإنه أعد النار بمقتضى عدله وحكمته للمخالفين المعاندين، ألا وإن بطاعته سعادة الدنيا والآخرة، ونور القلب والبصيرة، والحياة عن الموت وعلو الهمة عن هبوطها ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾(١)، ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَا ﴾(٢)، ألا وإن بمعصية الله تعالى كل ظلمة وغباوة وكل جهل وغمامة وكل عمى وندامة وكل هم وسآمة ﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ

(١) سورة إبراهيم، الآية [١].

(٢) سورة الأنعام، الآية [١٢٢].

ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ﴾[١] وبالمعصية ظلمة يجدها العاصي في قلبه حقيقة يحس بها، كما يحس بظلمة الليل البهيم إذا ادلهم، فتصير ظلمة المعصية لقلبه كالظلمة الحسية لبصره، فإن الطاعة نور، والمعصية ظلمة، وكل ما قويت الظلمة ازدادت حيرته حتى يقع في البدع والضلالات والأمور المهلكة وهو لا يشعر، وإن هذه الظلمة لتظهر في العين ثم تقوى حتى تعلو الوجه وتصير فيه سواداً يراه كل الناس، قال عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: (إن للحسنات ضياءً في الوجه ونوراً في القلب وسعةً في الرزق، وقوةً في البدن ومحبةً في قلوب الخلق، وإن للسيئة سواداً في الوجه، وظلمةً في القبر والقلب ووهناً في البدن ونقصاً في الرزق، وبغضةً في قلوب الخلق). ومن أضرار المعاصي أنها تضعف القلب؛ لأن الطاعة حياته وقوته، وبفقدها يضعف ويموت، كالغرس يفقد الماء، والمعاصي تضعف البدن؛ لأن المؤمن يقوى بدنه بقوة قلبه لاستنارته عاقبة أمره، والفاجر والكافر يفقد قوة بدنه أحوج ما يكون إليه لعدم يقينه بمصيره، فما أقوى من أبدان فارس والروم ولكنهم عجزوا عن مقاومة المسلمين وخضعت أعناقهم، ومن أضرارا المعاصي حرمان الطاعة، فلو لم يكن للذنب عقوبة إلا أن يصد عن طاعة تكون بدله، ويقطع عن طريق طاعة أخرى، وما ينشأ عن ترك الطاعة وارتكاب المعاصي من تقصير العمر ومحق بركته، وكما أن البر يزيد في العمر فالفجور ينقصه، قال ﷺ: **(من أحب أن يطيل الله في**

---

(١) سورة طه، الآية [١٢٤-١٢٦].

عمره وينسأ في أجله فليصل رحمه). فاتقوا الله تعالى أيها المسلمون وداوموا على طاعة الله سبحانه، فاللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ﴾(١).

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

(١) سورة الأنبياء، الآية [٤٧].

الخطبة الثالثة والتسعون:

التحذير من المسكر

الحمد لله الذي أخرج الإنسان من بطن أمه لا يعلم شيئاً، فجعل له السمع والبصر والفؤاد، أحمده سبحانه وأشكره على نعم ليس لها تعداد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي خلق الإنسان من علق، وعلمه ما لم يعلم، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أفضل الشاكرين لنعم ربه، اللهم صلِّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه أهل العقل والعرفان.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى، واتقوا يوما تجتمعون فيه لا ريب في اجتماعكم، ثم تفرقكم، فريق في الجنة وفريق في السعير، فأهل الجنة أولوا الألباب الذين صار لهم حظ من بشارة القرآن، فعملوا بما بشروا به، وفطنوا لإنذاره فاجتنبوا ما نهاهم عنه ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾(١).

أي: أهل العقول السليمة، فالعقل نعمة من الله على عبده يزن به جميع أموره فيعرف به الضار من النافع ويفارق به سائر الجمادات وفضل به على سائر المخلوقات.

ألا وإن مما حذر منه وأنذر عنه، كل مزيل لهذه النعمة؛ نعمة العقل والتفكير، فالمحافظة على سلامة هذا العقل ضرورية للإنسانية وللمسلم خاصة، وإن مما يفسد هذه النعمة ويخل بها ويخلط عليها تعاطيه المسكر من أي شيء كان من خمر أو كحول، أو أي مادة معصورة أو غير معصورة.

---

(١) سورة إبراهيم، الآية [٥٢].

قال ﷺ : **(كل مسكر خمر، وكل خمر حرام)**، وكما يحرم الكثير يحرم القليل ؛ قال ﷺ : **(ما أسكر كثيره فقليله حرام)**. فحرمة المسكر رتب الله تعالى عليها عقوبات دنيوية وأخروية، ففي الدنيا ثمانون جلدة إن كان يقيم في مجتمع إسلامي يقيم ولاته الحدود، هذا مع ما يتوقع من المفاسد بسبب سكره، وزوال عقله، فقد يقتل وقد يُقتل، وقد يسلب ماله، أو يتلفه وهو لا يشعر، ويقع في أمه وأخته أو من ذوات محارمه، أو من سائر المحرمات عليه فلهذا يصبح بين مجتمعه مرهوبا مخوفا من شره، فزوجته غير آمنة، وولده خائف، وجاره فزع لا يتوقع منه إلا السوء.

وأما في الآخرة فعليه من الوعيد الشديد ما الله تعالى به عليم، فهو متوعده بعدم دخول الجنة وأن يسقى من الحميم، ولا يأكل إلا من الزقوم ؛ قال عليه الصلاة والسلام : **(ثلاثة لا يدخلون الجنة : مدمن خمر، ومصدق بالسحر، وقاطع رحم)**.

أيها المسلمون : يكفي العاقل رادعاً وزاجراً ما ذكر الله تعالى في الخمر من الصفات السيئة، والمفاسد الضارة، والنتائج الوخيمة .. قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[١] فهذا النداء للمؤمنين إشعارٌ لهم بما يحملهم على المبادرة بالامتثال ؛ ولهذا قال أصحاب رسول الله ﷺ لما سمعوا قول الله تعالى : ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾[٢] : انتهينا انتهينا. فهذا ما يقتضيه الإيمان، والعبودية الصادقة المعترفة بعظم سيدها، الآمر الناهي لها، ومعنى ﴿رِجۡسٞ﴾ أي : نجس، ومعلوم أن العاقل يجتنب

(١) سورة المائدة، الآية [٩٠].

(٢) سورة المائدة، الآية [٩١].

النجس الخبيث، كما هو مشاهد فيما لو شم الناس في أنابيب الماء (ماء الشرب) رائحة كريهة لفزعوا إلى المسؤولين بتنقيتها، ومثله الأطعمة الفاسدة، فالحذر من النجس المفسد للعقول أولى بالمسلم وأجدر به مما يفسد الأجسام، فصحة الأجسام مرتبة على صحة العقول، وهاتان الصحتان هما النافعتان في الدنيا والآخرة إذا استعملا في طاعة مسديها، والشيطان عدو الإنسان، ومعلوم أن العدو تحذر أعماله، ورتب الله تعالى الفلاح والنجاح على اجتنابها الذي فيه امتثال أمر الله عز وجل.

ومما يترتب على الخمر والميسر وقوع العداوة والبغضاء بين الناس والصد عن ذكر الله تعالى، وأحرص ما يحرص عليه الشيطان، إيجاد هذه الأمور بين المسلمين، فالخمر ما خامر العقل أي: غطاه، والميسر هي: المغالبات التي فيها عوض من الجانبين كالمراهنة، إلا ما كان فيه عون على توصل إلى علم شرعي، أو جهاد في سبيل الله تعالى عند بعض العلماء، والأنصاب هي: ما ينصب لعبادة غير الله تعالى من وثن أو صنم، أو تمثال ونحوها، أو ما يعكف عنده مما يصد عن ذكر الله تعالى، والأزلام هي: التي يقتسمون بها عندما يريدون حاجة من الحوائج كسفر ونحوه فتمضيهم أو تردهم.

أيها المسلمون ... كل مسكر من خمر أو غيره ملعون بعينه، وأي فائدة فيمن طرد عن رحمة الله عز وجل، وكرهه الله تعالى ورسوله ﷺ .

ولعن مع الخمر عدة أشخاص ذكرهم رسول الهدى ﷺ: لعنت الخمر بعينها، وشاربها، وساقيها، وبائعها، ومبتاعها، وعاصرها، ومعتصرها، وحاملها، والمحمولة إليه، وآكل ثمنها.

فأي فائدة تعود على الإنسان إذا تسبب بطرده وإبعاده عن رحمة الله تعالى خالقه ومربيه. وأي فائدة يستفيدها إذا عرض نفسه للهلاك.

فاحذروا أيها المسلمون تناول المسكرات من خمر وخلافها، فكل ما أسكر فهو خمر، وكل خمر حرام، جنبنا الله تعالى كل مكروه، وهدانا إلى سواء السبيل.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾[1].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

---

(١) سورة المائدة، الآية [٩٠-٩٢].

الخطبة الرابعة والتسعون:

القوة البدنية للمسلم

الحمد لله ذي القوة المتين أحمده وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله أمرنا أن نصرف ما أنعم به علينا من نعمة الصحة والقوة في طاعته والعمل بما يرضيه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله القائل: **(المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير)**. اللهم صلِّ وسلم وبارك على عبدك ونبيك القوى الأمين، وارض اللهم عن صحابته الذين اغتنموا صحتهم في الدنيا في العمل بما يرضيه ونشر دينه وحراسة عقيدتهم وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى، واعلموا أن من سعادة الإنسان المسلم في هذه الحياة الدنيا، أن يصرف ما أعطاه الله تعالى من الصحة في البدن في طاعته، وما رزقه من الأمن في التزود من التقوى، ومن العمل بما يحب ويرضى، وبهذا يصبح المسلم قد راعى شكر هاتين النعمتين بدلا من جحدهما، وجاء في الأثر: **(نعمتان مجحودتان الصحة في الأبدان والأمن في الأوطان)**[1]. وعلامة الشقاوة جحد هاتين النعمتين بأن لا يقوم بشكرهما.

فالصحة والقوة في البدن مطلب من مطالب الإسلام؛ فلقد كان رسول الله ﷺ أقوى المؤمنين بدنا، كما كان أقواهم في إيمانه؛ وقد قال ﷺ: **(المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير)**. ثم بين ﷺ ما تستعمل فيه هذه القوة، وهو العمل فيما يعود على الإنسان من المصلحة الدينية

---

(١) صحيح الأخبار، محمد بن بلهيد ٥/٢٢٩.

والدنيوية، وما يثبت عقيدته وصلته بربه فقال: **(احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل؛ فإن لو تفتح عمل الشيطان)**(١). ولقد دعا الإسلام إلى الرياضة البدنية إذا كانت عونا على طاعة الله تعالى، وعلى جهاد الكفار وإحقاق الحق، وإبطال الباطل، كما دعا إلى تعلم الرماية وركوب الخيل والمسابقة فيهما، والمسابقة على الأقدام والمصارعة؛ فلقد سابق ﷺ عائشة مرتين، فسبقته في الأولى وسبقها في الثانية، والرياضة مشروعة أيضاً في الشرائع السابقة؛ كما قال تعالى عن إخوة يوسف عليه الصلاة والسلام: ﴿يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا﴾(٢).

ومثل هذا السباحة؛ لأنها ترويض للبدن وتمرين للأعضاء، وأمنٌ من الغرق، وقد ألحق بعض العلماء في الرياضة الجائزة حمل الأثقال والقفز ما لم يصل إلى حد هلاك النفس، أو حد الشعوذة، حتى إذا احتاج المسلم لنفسه في حرب الكفار كان قويا في بدنه، كما يطلب منه أن يكون أميناً في عقيدته وعمله، وهاتان الصفتان هما صفة الأنبياء وأتباعهم؛ قال تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾(٣) وقد دل على قوة بدنه رفع الصخرة التي لا يرفعها إلا العشرة من أقوى الرجال، وصارع الرسول ﷺ (ركانة)-وهو من أقوى الكفار وأشدهم- على قطيع من الغنم فصرعه

(١) صحيح مسلم، كتاب القدر (٦٧٧٤).

(٢) سورة يوسف، الآية [١٧].

(٣) سورة القصص، الآية [٢٦].

الرسول ﷺ في المرة الأولى، والثانية، والثالثة، ثم قال: والله ما وضع جنبي على الأرض غيرك يا محمد فعرف (ركانة) أن قوة بدن محمد ﷺ ما هي إلا من قوة إيمانه، وثبات قلبه؛ ولذا أسلم ركانة، فقال الرسول عليه السلام: **(إن الغنم هي لك)**، وقال الله تعالى في أتباع الأنبياء: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾[1]، وقال سبحانه آمرا المسلمين بإعداد القوة للكفار ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾[2] وبين أن النفقة- في هذا السبيل-مخلوفة وموفىً جزاؤها؛ قال تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾[3] قال بعض المفسرين: إن هذه الآية نزلت في المسلمين يوم بدر، لما قصدوا الكفار من غير استعداد ولا عدة، فأمرهم الله تعالى بأن لا يعودوا لمثله، ثم فسروا القوة باتخاذ السلاح وإيجاده بأيدي المسلمين واتخاذ الحصون والجنود في الثغور وتعلم الرماية، وقرأ النبي ﷺ هذه الآية على المنبر ثم قال: **(ألا إن القوة الرمي)** قالها ثلاثاً.

وقال ﷺ لما مر على صبية يتعلمون الرماية: **(ارموا بني إسماعيل؛ فإن أباكم كان رامياً)**. ويشتمل تعلم الرماية لكل آلة أعدت لذلك من بنادق وغيرها؛ لأن الإعداد إنما يكون مع الاعتياد، وإذاً من لا يحسن الرمي ولا أساليب الحرب التي تتطلبها الحروب في هذه الأوقات لا يسمى معدا للقوة،

---

(١) سورة الفتح، الآية [٢٩].

(٢) سورة الأنفال، الآية [٦٠].

(٣) سورة الأنفال، الآية [٦٠].

وجوز النبي ﷺ بذل العوض على المسابقة بالخيل والإبل والرمي ؛ لما فيها من العون على الجهاد في سبيل الله تعالى ، وتعلم الكر والفر والإصابة ، وقد جعلها ﷺ من اللهو الجائز ، بل هو حق وأبطل سواها ، قال ﷺ : **(كل لهو يلهو به الرجل فهو باطل إلا رمية بقوسه ، أو تأديبه فرسه أو مداعبته امرأته ؛ فإنه من الحق)**. وكره كراهية شديدة لمن تعلم الرمي أن يتركه ؛ لما في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : **(ارموا واركبوا وإن ترموا أحب إليَّ من أن تركبوا ومن تعلم الرمي ثم نسيه فليس منا)**. وقال أيضاً : **(ومن علم الرمي ثم تركه فهي نعمة كفر بها)**. وسبب هذه الكراهية أن من تعلم الرمي حصلت له أهلية الدفاع عن دينه ، ونكاية العدو ، وتأهيل لوظيفة الجهاد ، فإذا تركه فقد فرط في القيام بما يتعين عليه القيام به ، فإذا عرفنا جواز الرياضة البدنية فيما تقدم وذلك بما يعود على الإسلام والمسلمين بالمصلحة فهي طاعة رُغِّبَ فيها ؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : «السبق والصراع ونحوها طاعة إذا قصد بها نصرة الإسلام وأخذ العوض عليه -أي : ما يجعل جائزة-أخذٌ بالحق ؛ لما في تعلم الرماية وركوب الخيل من العون على الجهاد في سبيل الله تعالى ، ويدل عليه قوله ﷺ : **(من رمى بسهم بنية الجهاد في سبيل الله كان له ثواب تحرير رقبة)** أي : عتقها». وإن من الأهداف السامية للقوة البدنية في المسلم إغاظة الكفار ؛ لعلمهم اليقيني بأن المسلم سيستعمل قوته في طاعة الله تعالى وفي جهادهم ، فلقد قال الكفار حينما أراد النبي ﷺ عمرة القضاء : سيأتيكم محمد وأصحابه قد أوهنتهم حمى يثرب ، فأُوحِي إلى الرسول ﷺ بذلك ، فأمر الصحابة بأن يمشوا المشي السريع متقارب الخطى في الثلاثة الأشواط الأولى من

الطواف، والكفار على جبل أبي قبيس-الذي يطل على الكعبة-ينظرون إليهم؛ فماتوا بغيظهم، وقالوا: كأنهم غزلان ما ضرتهم الحمى؛ ومن هنا شرع الرمل في الطواف عند قدوم مكة؛ ليعرف المسلمون الهدف الذي رمل من أجله الرسول عليه الصلاة والسلام.

أيها الأخ المسلم: إن البدن ليس ملكاً لك تصرفه حسب الهوى والشهوة، بل هو ملك لله تعالى، فعليك أن تصرف قوته وحركاته وسكناته في طاعة من خَلَقه، فما ألهى وأشغل عما أمر الله عز وجل به فهو منهي عنه، وإن لم يحرم جنسه كالبيع والتجارة، وأما سائر ما يتلهى به البطالون من أنواع اللهو وسائر ضروب اللعب مما لا يستفاد به في حق شرعي فكله حرام.

وقال بعض العلماء: «من وثب وثبة مرحاً ولعباً بلا نفع فانقلب فذهب عقله، عصى وقضى الصلاة». فما كان من الرياضات الجائزة جاز صرف المال والقوة فيها، وما كان من الرياضات الممنوعة التي تشتمل على أنواع من المحرمات فصرف الأموال فيها غير جائز، وإن مما قد تشتمل عليه بعض الرياضات في وقتنا الآن من مآخذ:

أولاً: خلو النية الصالحة، والقصد الصحيح للتقوي على الجهاد في سبيل الله؛ إذ لو كان كذلك لما حصلت هذه المحرمات، كانكشاف بعض العورات من الأفخاذ؛ فأعلى البدن مستور وبعض العورة مكشوف، فأين هذا من تعاليم الإسلام!!.

ثانيا: لو قصد بها المعنى الصحيح لما تركت الصلاة، ولما حصل السهو عنها من اللاعبين والمشجعين، والله أكبر، ما أعظم المسلمين لو كان ذلك الجهد فيما يعود عليهم بالمصلحة، وإذا حان وقت الصلاة ورفع الأذان وأقيمت الصلاة

وحُـرِمَ مـن لم يُـصَلِّ مـن اللعـب والمـشاهدة، والله أكـبر لـو قـصد المـسلمون برياضتهم وألعابهم المعنى الصحيح، فهل يبيحون تقبيل اللاعبين؟! والله أكبر لو قصد بالمباراة بين النوادي إظهار قوة المسلمين وشجاعتهم وأنهم أصحاء أقوياء لما انزرع الحِقْدُ بينهم، ولما حدثت الخصومات بين الفرقاء، ولما جرحوا شعور الآخرين، ولما أبدوا الإعجاب والفخر حينما يفوز بزعمهم الفائزون، وإن آثار هذه الألعاب السيئة ليظهر على الشباب في الأسواق والمدارس والعجائز في البيوت، ألا فليعلم هؤلاء أن الصياح وتشجيع الفائزين في الألعاب والرياضات بالتصفيق والضجيج ينشأ عنه إعجاب الفائزين، وجرح شعور المغلوبين، وهذا يخالف هدف الإسلام وهو الدعوة إلى إيجاد المحبة والألفة بين أفراد المسلمين، فإذا غلب أحدهم -في الرياضات الجائزة- أخذ العوض الذي أعد للسابق، ودعي للمسبوق بالتوفيق والسداد.

أسأل الله سبحانه أن يرفع عنا البلاء، وأن يوفق المسؤولين عن الرياضات في بلادنا بأن يسلكوا بها الطريق الصحيح الذي يرضي الله تعالى ويوافق سنة رسوله ﷺ، ويصرفوا أوقاتهم وأموالهم وأبدانهم في طاعة الله تعالى، فلقد أخذت الكثير من أوقات الشباب وألهتهم عن دروسهم ومراجعة علومهم، وليت القائمين على أمر الشباب والرياضة قللوا منها بعض الشيء ومارسها طلابنا وشبابنا في فترات إجازاتهم؛ بحيث تكون على الطريقة المرضية التي تسعد المسلمين.

فلنتق الله تعالى في كل أمورنا، ولنتأس بهدي وتعاليم ديننا، ولنستفد من الرياضة بجميع أنواعها، ولتكن غايتنا رضا الله تعالى ونصرة الإسلام.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾[1].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

(١) سورة الأنفال، الآية [٦٠].

الخطبة الخامسة والتسعون:

الحسد

الحمد لله الذي نهانا عن الحسد وحذرنا عواقبه، وأشهد أن لا إله إلا الله الفعال لما يريد، ولا يحدث في ملكه إلا ما يريده، بيده كل شيء، يخلق ما يشاء، يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله علمنا بقوله: **(لا تحاسدوا، ولا تناجشوا ولا تباغضوا، وكونوا عباد الله إخوانا)**. اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى، واعلموا أن من تقوى الله تعالى ترك ما نهى عنه الله تعالى ورسوله ﷺ وفعل ما أمر به الله تعالى ورسوله ﷺ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(لا تحاسدوا ولا تناجشوا، ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله، ولا يكذبه، ولا يحقره، التقوى هاهنا – ويشير إلى صدره ثلاث مرات– بحسب امريء من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه، وماله، وعرضه)**. [رواه مسلم].

عباد الله، الإسلام عقيدة، وقول، وعمل في العبادات والمعاملات، والآداب والأخلاق والسلوك في جميع الحالات والأوقات، فرسول الهدى ونبي الرحمة ﷺ يؤدب أمته، وينهانا عما يخل بهذه الجوانب الإسلامية، فيقول في هذا الحديث الشريف: **(لا تحاسدوا)**، فدل هذا النهي على تحريم الحسد، وأجمع المسلمون على عدم جوازه، فهو شر من الشرور، وقد أمر الله تعالى نبيه بالتعوذ منه، وأمره لنبيه أمر لأمته مالم يرد تخصيص؛ قال تعالى: ﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ

﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾(١) فهو مذموم وآثاره سيئة على الأفراد والجماعات الأسرية والدولية ؛ لما فيه من الاعتراض على تقدير الله وقضائه، وعطائه ومنعه، وفيه الأنانية وسوء الطوية والنية ؛ لأن معناه : أن الحاسد لا يريد الخير إلا لنفسه أو إزالته عن أخيه ولو لم يصبه منه شيء.

فالحسد إذاً : تمني زوال النعمة عن الغير، وقد يريد الحاسد نقلها لنفسه، وقد لا يريد إلا إزالتها عن غيره، فكلاهما مذموم، والثاني أخبث من الأول، وكلاهما شر على الأفراد والجماعات، ويكفي في الحسد ذمه ؛ أن أول من اتصف به إبليس ؛ حيث أمر الله تعالى ملائكته بالسجود لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين، فما منعه عن السجود لآدم إلا الحسد لآدم، لما خلقه الله تعالى بيده وعلمه الأسماء كلها وأمر الملائكة بالسجود له، وأسكنه جنته، ومعنى قوله ﷺ : **(لا تحاسدوا)** : لا يحسد بعضكم بعضا، أي : لا يكره أن يفوقه أخوه بشيء من الفضائل ؛ فإن ذلك بفضل الله تعالى وتدبيره ومقتضى حكمته.

فمقتضى الإيمان ألاَّ يقع الحسد في قلب مسلم، ولا لسانه، ولا أفعاله ؛ فإنه من الموبقات المهلكات، المسببات للطرد والإبعاد عن الجنات ؛ كما جاء في أثر ابن عمر ؛ محذراً لنا أن نعمل عمل الحاسدين فنهلك كما هلكوا، ونلعن كما لعن رئيس الحاسدين إبليس.

ففي الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما أن إبليس قال لنوح : اثنتان أُهلك بهما بني آدم : الحسد، وبالحسد لعنت وجعلت شيطانا رجيما، والثانية : الحرص فأصاب الشيطان من بني آدم حاجته بالحرص.

---

(١) سورة الفلق، الآيات : [١-٥].

فالحسد داء عضال، ومرض فتاك، يسري في القلوب، ويمزقها كتمزيق الأكلة والجذام للأجسام، واسمعوا مقالة خير الأنام: **(دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء، والبغضاء هي الحالقة، حالقة الدين لا حالقة الشعر، والذي نفس محمد بيده لا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أخبركم بشيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم)**.

عباد الله: إن المسلم لا يريد أن تحترق حسناته وأن تضمحل وتذوب، فتحذير النبي ﷺ عن الحسد أشد التحذير ما هو إلا لاحتراق الحسنات وإذابتها.

قال رسول الله ﷺ: **(إياكم والحسد، فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب)**. فإذا عرف المسلم أن الحسد أحد الأمراض التي تسبب الآلام والأوجاع، وتقطيع الأوصال وجب عليه اجتنابه والحذر منه؛ قال ﷺ: **(سيصيب أمتي داء الأمم)**، قالوا: يا نبي الله، وما داء الأمم؟ قال: **(الأشر والبطر والتكاثر والتنافر في الدنيا والتباغض والحسد حتى يكون البغي والهرج والمرج)**، ومن الناس من كان حسده خفيفا فيسعى باكتساب مثل من حسده أو غبطه بنعمة الله عليه، فهو يريد أن يصيبه مثل ما أصاب أخيه ويناله ما ناله، فإن كانت الفضائل دنيوية فلا خير في ذلك؛ لأن مآلها إلى الفناء والزوال؛ كما قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾(١).

وإن كانت الفضائل دينية فهو حسن، فقد تمنى النبي ﷺ الشهادة في سبيل الله تعالى؛ ففي الصحيحين عنه ﷺ أنه قال: **(لا حسد إلا في اثنتين: رجل**

---

(١) سورة القصص، الآية [ ].

أتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار). وهذا هو الغبطة والتنافس في الخير.

فاتقوا الله تعالى أيها المسلمون، وإياكم والحسد فإنه يذهب الحسنات، ويأكلها كما تأكل النار الحطب، وتنافسوا على عمل الخير وفعله، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾(١).

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب. فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

---

(١) سورة الفلق، الآية [١-٥].

الخطبة السادسة والتسعون:

لا تباغضوا

الحمد لله معز من أطاعه واتقاه، ومذل من خالف أمره وعصاه، أحمده سبحانه يثيب من أحبه وتولاه، ويعاقب من أبغضه وعاداه، وأشكره على عموم نعمه وجزيل فضله، وأرجو أن يكون شكرا يحبه ويرضاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لا معبود بحق سواه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ألف الله به القلوب، ويغفر باتباعه الذنوب، اللهم صلِّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه ومن اقتفى أثره إلى يوم الدين.

أما بعد:

أيها الناس: اتقوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون، واتقوا يوما تقفون فيه بين يدي خالقكم فيثيبكم على فعل أوامره واجتناب منهياته، ويسألكم عن أي شيء خالفتم فيه أمره ونهيه، فلا جواب لكم إلا بالتقصير والندم والغفلة، والوهم والعجز وحب الحياة وطول الأمل فيعاقبكم بعدله، إلا أن يغفر الله برحمته وفضله عمن مات مسلما لا يشرك به أحداً من خلقه.

أيها المسلمون: يقول رسول الله ﷺ: **(لا تباغضوا)**. إن المسلمين أخوة، والأخوة يتحابون ولا يتباغضون، أتدرون ما هي الرابطة التي تربط بينهم؟ هي عقيدة التوحيد التي سماهم الله تعالى بها مسلمين، والتي نهتهم عن التباغض حسب ما تمليه الأهواء والعدا، والنفوس الشريرة الأمارة بالسوء، أما إذا كان يبغض لله ومن أجل الله فهو أمر مطلوب وبغض محبوب؛ فإن المسلم لا ينال ولاية الله إلا بأن يحب في الله، ويبغض في الله، ويعادي في الله ويوالي في الله، وقوله: **(لا تباغضوا)** أي: لا تفعلوا أسباب البغض التي تجعل بعضكم يحقد على بعض، ويبغض بعضكم بعضا، فالتحاب يسعد به أقوام، والتباغض يشقى به آخرون،

ففي التحاب يوجد التعاون على البر والتقوى، وتوجد الرحمة، ويوجد العطف والشفقة، فيحب كل واحد لأخيه ما يحب لنفسه في دنياه وأخراه، وفي التباغض بيننا تفقد هذه الأمور الخيرة، فيحل محلها أضدادها، فتأتي الأنانية والمحبة للذات الشخصية والتعاون على الإثم والعدوان، ألا وإن للمحبة بين المسلمين أسبابا، وعقبى المحبة دخول الجنة؛ قال ﷺ: **(والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم: أفشوا السلام بينكم)**.

ولفضل المحبة ومكانتها عند الله تعالى ولما يترتب عليها من الائتلاف والوئام، امتن الله تعالى على عباده بالتأليف بين قلوبهم؛ كما قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾(١)، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(٢).

وإن من أسباب الألفة والمحبة: الإصلاح بين المسلمين الذي جعله الله تعالى خيراً، وجعله رسوله ﷺ أفضل من نوافل الصلاة والصيام.

قال تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾(٣).

---

(١) سورة آل عمران، الآية [١٠٣].

(٢) سورة الأنفال، الآية [٦٢-٦٣].

(٣) سورة النساء، الآية [١١٤].

و قال ﷺ : **(ألا أخبركم بأفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة؟)**، قالوا: بلى يارسول الله، قال: **(إصلاح ذات البين؛ فإن فساد ذات البين هي الحالقة)**. ولفضل الصلح الموجد للمحبة أبيح الكذب فيه، كما أن للمحبة أسبابا وللبغض أسبابا حرم الله تعالى على المسلمين إتيانها واقترافها وجعلها من عمل الشيطان وصادة عن ذكر الله تعالى.

فمن أسباب التباغض: فشو السكر والمسكرات بين الناس، ووجود الميسر وهي الألعاب التي لا دين فيها ولا دنيا، بل هي مبنية على المغالبة التي تجعل المتغالبين واللاعبين والممارسين لهذه النشاطات يلعن بعضهم بعضا، ويسب بعضهم بعضا إذ لا هدف لهم إلاَّ أن يغلب أحدهم الآخر، كاللعب بالنرد والشطرنج وسائر ما يتلهى به البطالون كلعب الورقة وما شابه ذلك مما تكون خاتمته اللعن والسب والطرب والفرح على المغلوب؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾[1] ومما يسبب البغض: النميمة وهي: نقل الحديث من شخص إلى آخر لا يرضاه مما هو وشاية بينهم، والغيبة هي: ذكرك أخاك بما يكره وأن تحاول إيجاد عيب للبريء؛ قال ﷺفيما خرجه الإمام أحمد وغيره من حديث أسماء بنت يزيد رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عن النبي ﷺ قال: **(ألا أنبئكم بشراركم؟** قالوا: بلى يارسول الله، قال: **(المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الأحبة الباغون البُرآءَ العنت)**[2]، وكما أن القول المؤذي من أسباب التباغض، فإن الفعل المؤذي من أسبابه القوية أيضا كالتعدي بما يؤذي البدن وما ينقص المال، وما يخدش الكرامة ويجرح الشعور، كأذى المسلمين بإلقاء القمامات في

---

(١) سورة المائدة، الآية [٩١].

(٢) مسند الإمام أحمد برقم (١٧٩٩٨).

طرقهم، وفيما يؤدي إلى المساجد بالذات، ألا تدري أن بفعلك هذا كنت سببا من أسباب التباغض، ومن أمره والداه بغير معصية فلم يمتثل، أو آذاهما بكلام قاس شرس فقد أتى بسبب من أسباب التباغض وتفكيك الأسرة، ومن كذب أو غش أو خان معاملته فقد أتى بسبب من أسباب التباغض المنهي عنه، وأما التباغض في الله فهو أوثق عرى الإيمان وليس داخلا في النهي، لو ظهر لرجل من أخيه شر فأبغضه عليه وكان الرجل معذوراً في نفس الأمر أثيب المبغض له، وإن عذر أخاه كما قال عمر: (إنا كنا نعرفكم إذ رسول الله ﷺ بين أظهرنا، وإذ ينزل الوحي، وإذا ينبئنا الله من أخباركم، ألا وإن رسول الله ﷺ قد انطلق به، وانقطع الوحي، وإنما نعرفكم بما نخبركم، ألا وإن من أظهر منكم لنا خيراً ظننا به خيرا، وأحببناه عليه، سرائركم بينكم وبين ربكم تعالى).

قال الربيع بن خثيم: «لو رأيت رجلا يظهر خيراً ويسر شراً فأحببته عليه آجرك الله على حبك الخير، ولو رأيت رجلا يظهر شراً ويسر خيراً فأبغضته عليه آجرك الله على بغضك الشر، فلا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا».

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾(١).

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

---

(١) سورة المائدة، الآية [٩١-٩٢].

الخطبة السابعة والتسعون:

التدابر

الحمد لله الذي خلق بني آدم من نفس واحدة، فكل الخلق لآدم وآدم من تراب، سبحانه وعد من اتقاه وأطاعه بالجنة ونعيمها، وتوعد من عصاه بالنار وسعيرها، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، في التزام أوامره السعادة في الدارين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله دعانا إلى هديه، والتمسك بسنته، ومن سار على نهجه وتأسى به نال شفاعته وحظي بالقرب منه في جنان الرضوان، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين وسلم تسليماً.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا ربكم، الذي خلقكم من نفس واحدة، وخلق منها زوجها، وبث منهما رجالا كثيراً ونساء، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام، إن الله كان عليكم رقيبا، واتقوا يوم التنادي يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم.

عباد الله.. إذا آمنتم بمراقبة الله عليكم فلا يفقدكم حيث أمركم، ولا يجدكم حيث نهاكم، فاجعلوا مراقبته نصب أعينكم فافعلوا أوامره واجتنبوا منهياته تفلحوا وتنجوا من الخسران والهلاك، ألا وإن مما نهاكم عنه التدابر فيما بينكم قال ﷺ: **(ولا تدابروا)** ثم قال: **(وكونوا عباد الله إخوانا)** والتدابر معناه: أن يولي كل واحد ظهره للآخر، والمراد به: تنافر القلوب وتقاطعها وهجران بعضها بعضا، فيفقد بينها الائتلاف والوئام، والتراحم والتعاطف والتعاون على البر والتقوى.

ففي الصحيحين عن أبي أيوب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليالٍ، يلتقيان فيصد هذا ويصد هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام)**. وخرج أبوداود من حديث أبي خراشٍ السلمي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **(من هجر أخاه سنة فهو كسفك دمه)**.

وهذا التقاطع المنهي عنه في الأمور الدنيوية، وأما في الأمور الدينية فيجوز الهجران فيها فوق ثلاث أيام حسب ما تدعوا إليه الحاجة، وما يراه الهاجر رادعا وزاجرا، وقد هجر النبي ﷺ الثلاثة الذين تخلفوا عن الذهاب معه إلى غزوة تبوك إلى أن تاب الله عليهم بسبب ندمهم وإقلاعهم، وذلك مخافة النفاق منهم، إذ لا يتخلف عن الرسول ﷺ ولا عن اتباعه ولا الاقتداء به إلا منافق أو فاسق مستخف بسنته، وأباح النبي هجران أهل البدع المغلظة وأهل المعاصي والدعاة إلى الأهواء والشهوات.

أيها المسلمون: عالجوا التدابر والهجران بالسلام فإنه يقطع ذلك ويزيل أثره ويحل مكانه المودة والمحبة، وخرج أبوداود من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: **(لا يحل لمؤمن أن يهجر مؤمنا فوق ثلاثٍ، فإن مرت به ثلاثٌ فليلقه فليسلم عليه، فإن رد عليه السلام فقد اشتركا في الأجر، وإن لم يرد عليه فقد باء بالإثم وخرج المسلّم من الهجرة)**.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[1].

(١) سورة آل عمران، الآية [١٠٢-١٠٣].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

الخطبة الثامنة والتسعون:

المال نعمة و نقمة

الحمد لله الرزاق ذي القوة المتين، أحمده سبحانه وأشكره فهو المنعم على خلقه في الرخاء والشدة وفي اليسر والعسر، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ﴾(١) وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أفضل الشاكرين لنعم الله، والقابلين لها، المثنين بها على مسديها، اللهم صلِّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وأصحابه المتمسكين بهديه ذوو الفضل والعرفان.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده، ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً إن وعد الله حق، فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور.

عباد الله: اعلموا أن ما رزقكم الله تعالى من الأموال وانفتاح الدنيا وزينتها ما هو إلا متاع، وعما قليل سيزول أو يزول عنه صاحبه، فالمال نعمة من الله تعالى على خلقه؛ فإذا استعملوها في طاعته فهي فتح باب رحمته وبركته؛ قال تعالى في أهل الكتاب: ﴿ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ أَقَامُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِم مِّن رَّبِّهِمۡ لَأَكَلُواْ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۚ ﴾(٢) فدل هذا على أن المال بيد المطيع نعمة، وخير نافع في الدنيا والآخرة؛ قال تعالى: ﴿ وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا

---

(١) سورة الذاريات، الآية [٥٧].

(٢) سورة المائدة، الآية [٦٦].

عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾[١] وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ﴾ أي: آمنت قلوبهم بما جاء به الرسول وصدقت به، واتبعوه بفعل الطاعات وترك المحرمات ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: قطر السماء وإنبات الأرض، قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ أي: ولكن كذبوا رسلهم، فعاقبهم بالهلاك على ما كسبوا من المآثم والمحارم، ويقول الله تعالى في قوم نوح ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾[٢]. ويقول الله عز وجل في الوليد بن المغيرة الذي نصب العداوة لمحمد ﷺ، ولم يشكر الله تعالى على ما رزقه من الأموال والأولاد: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا﴾[٣].

فالمال يا عباد الله إن استعمل في طاعة الله تعالى فهو نعمة، وإن استعمل في معصية الله تعالى فهو نقمة، وباب سوء وعذاب؛ قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾[٤]، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «أي: أعرضوا عنه وتناسوه وجعلوه وراء ظهورهم، ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: فتحنا عليهم أبواب الرزق من كل ما يختارون، وهذا استدراج منه تعالى، وإملاء لهم، عياذاً

---

(١) سورة الأعراف، الآية [٩٦].

(٢) سورة نوح، الآيات: [١٠-١٢].

(٣) سورة المدثر، الآيات: [١١-١٣].

(٤) سورة الأنعام، الآية [٤٤].

بالله من مكره؛ ولهذا قال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ﴾ أي: من الأموال والأولاد والأرزاق ﴿أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً﴾ أي: على غفلة ﴿فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ﴾ أي: آيسون من كل خير. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: (المبلس: الآيس)»، وقال الحسن البصري رحمه الله: «ومن وسع الله عليه فلم ير أنه يمكر به، فلا رأي له، ومن قتر عليه فلم ير أنه ينظر له، فلا رأي له، ثم قرأ ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ﴾[1].

قال: مكر بالقوم ورب الكعبة، أعطوا حاجتهم ثم أخذوا.

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب فإنما هو استدراج)** ثم تلا الرسول صلى الله عليه وسلم الآية، وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: **(إذا أراد الله بقوم بقاء أو نماء رزقهم القصد والعفاف، وإذا أراد الله بقوم اقتطاعا فتح عليهم باب خيانة،** ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ﴾[2]**)**»إ. هـ.

وقال تعالى فيمن يأكل من نعم الله تعالى ولا يبالي بطاعته ولا من أي طريق اكتسب المال، أو في أي طريق أنفقه ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوًى لَّهُمۡ﴾[3]، وقال: ﴿ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾[4].

---

(١) سورة الأنعام، الآية [٤٤].

(٢) سورة الأنعام، الآية [٤٤].

(٣) سورة محمد، الآية [١٢].

(٤) سورة الحجر، الآية [٣].

عباد الله : كما أنه يجب أن تكسب الأموال من طريق حلها شرعا ، فيحرم أن تنفق في غير الطرق المشروعة ؛ قال ﷺ : **(إن رجالا يتخوضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة)**. ألا وإن من الطرق المشهورة في كسب الأموال غير المشروعة ما يفعله كثير من المسلمين من بيع ما لا يقدرون على تسليمه ، فيحدث الغرر ؛ كبيع ورقة الأسمنت على المصنع ؛ فإن هذا داخل فيما لا ينبغي ؛ فإن من شروط صحة البيع القدرة على التسليم ، وهذا غير قادر على التسليم ؛ لأنه لا يزال عند المصنع ، ولا يعلم متى يسلم ، ومن الطرق غير المشروعة بيع أوراق المساهمات في الأراضي وهو لا يعرف نسبة نصيبه من الأرض فيوقع البيع على رأس المال ، وقد تكون المسألة فيها ربا كأن تباع الأرض فيصبح ثمنها في ذمة رأس مال المساهمين فيبيع المشترك نصيبه بأقل ، فهذا هو عين الربا ؛ لأنه يبيع دراهم معدودة بدراهم معدودة ، ومن الطرق غير المشروعة الكذب في المناقصات والمشتريات للدوائر الحكومية ، ومؤسسات الشركات أو الأفراد فيعطي صاحب الدكان من يشتري فاتورة بأزيد من الثمن ؛ لتكون الزيادة للمشتري الموكل كي يرغبه في الشراء منه مرة أخرى.

ومن الطرق غير المشروعة أخذ الأموال بالكذب والحيلة من الضمان الاجتماعي وهو لا يحل ، إذ لا تنطبق عليه الشروط المطلوبة ، كذلك البنك العقاري أو المساعدة للمواشي أو الزراعة ، أو الأشجار ، فيجب على المسلم ألاَّ يتناول شيئا من هذه الطرق إلا إذا انطبقت عليها الشروط التي أقرتها الدولة ، وكذلك ما ينفقه كثير من الناس في الأسفار إلى البلاد التي توجد فيها حرية المعاصي ؛ ليشاركهم في ارتكابها ويعين عليها ، وأكبر من هذا أن يجعل سفره في مقابل نعمة نجاحه ، أو عافية صحته فيذهب ليقيم بين المعاصي فيرتكب جرم مشاهدتها إذا فرضنا أنه لا يتناولها ، ومن جملة ما يبذل في هذه الطرق ما

يشترى للأولاد من المراكب التي لا يحسنون استعمالها، ولا يعقلون عاقبة سوء استعمالها، أخي المسلم: ألا بذلت شيئا من المال فيما يقدمك إلى الآخرة، وفيما تكون به قدوة، قال ﷺ: **(إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة إلا من صدقة جارية، أو لد صالح يدعو له، أو علم ينتفع به)** فإذا لم تقدم صدقة، ولم تخلف علما، ولم تقم بإصلاح الولد بل ربما أعنته على اللهو والفساد، فماذا ترجو من مالك المكدس الذي سهرت عليه ليلك، وأمضيت فيه نهارك، وأتعبت فيه فكرك وجسمك، فاتق الله تعالى يا أخي المسلم واصرف مالك في وجوه الخير، واحمد الله تعالى على ما أنت فيه من نعم، وثق أن مالك مقياس لاختبارك، فاحرص على النجاح: ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾[(١)].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ۝ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾[(٢)].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

---

(١) سورة المزمل، الآية [٢٠].

(٢) سورة فاطر، الآيات: [٥-٦].

الخطبة التاسعة والتسعون:

اللجوء إلى الله

الحمد لله الذي يحيي الأرض بعد موتها، فتصبح مخضرة مختلطة بالنبات، مما يأكل الناس والأنعام إن الله لطيف خبير، أحمده سبحانه له ما في السموات ومافي الأرض إن الله لهو الغني الحميد، وأشكره فهو المتفضل المنعم القادر القهار على القبض والبسط ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِ ﴾(١) وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله، وينزل من السماء من جبال فيها برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أفضل من أظهر الافتقار إلى ربه، والاحتياج إليه، فلازم الاستغفار، مع أنه مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك محمد الذي شرع لأمته الذل والانكسار بين يدي ربهم إذا أجدبوا وأقحطوا، وأمرهم بالشكر إذا أنعم الله عليهم بالخصب، فأكلوا وأرغدوا، وعلى آله وأصحابه ومن استن بسنته إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا أيها الناس اتقوا الله تعالى: فبتقواه صلاح الدنيا والآخرة، واتقوا اليوم الآخر بفعل طاعته تعالى واجتناب معصيته؛ فبذلك تأمنون من كل كارثة، واعلموا أن الله سبحانه يبتلي خلقه بالسراء والضراء، والجدب والخصب،

---

(١) سورة يونس، الآية [٢٤].

والقحط والمطر، فبالضراء من جدب وقحط يعلم صبرهم ورجوعهم إليه أو يلجأون إلى غيره، وهل يشكرونه على السراء من خصب ومطر وصنوف النعم، أم يكفرونه وينسبونه لغيره ... قال تعالى: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾[1].

وليس ما ينعم الله تعالى به على خلقه علامة على المحبة، ولا ما يصيبهم به من أنواع النقم علامة على بغضه لهم؛ **(إن الله إذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط)**. فاللجوء إلى الله تعالى أيها المسلمون بشكر نعمه، ونسبتها إليه، ولا تنسبوها لغيره، ولا يغرنكم مابه الكفار والفساق من الخصب وملاذ الدنيا وزخرفها، فليست علامة على محبة الله تعالى لهم؛ لأن الدنيا لاتزن عند الله تعالى جناح بعوضة، فالدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾[2] فهم غافلون عما يوصلهم إلى الآخرة التي خلقوا من أجلها فهي دار الخلد والبقاء، أما المسلمون المطيعون فهم الذين يعلمون أن الدنيا مطية إلى الآخرة، فيشكرون الله تعالى على السراء ويطلبون المزيد منها، ويصبرون على الضراء والبلوى، ويسألون الله تعالى كشفها ودفعها، ويعلمون أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن الرخاء مع الشدة، وأن مع العسر يسرا، ويعلمون أنه ما نزل

---

(١) سورة النمل، الآية [٤٠].

(٢) سورة الزخرف، الآية [٣٣-٣٥].

بلاء إلا بذنب، ولا رفع إلا بتوبة، ويعلمون أن الله تعالى ينزل الغيث، فينزل من السماء ماء بقدر فينشر به بلدة ميتا، فيحييها كما أحياهم، ويعلمون أن الله ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد، والمسلمون يعلمون أن امتناع المطر له أسباب منها: منع الزكاة، والكذب، والغش، والخيانة وتعلقهم بغيره، فيمنع عنهم المطر؛ ليعلموا أن غيره لا يستطيع إنزاله.

فاتقوا الله تعالى أيها المسلمون، وأتقنوا ما تصنعون وما تعملون، فرحم الله امرأً صنع صنعة فأتقنها، ولا تكونوا كمن قال الله تعالى فيهم: ﴿ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾(١) واحذروا أن تقولوا كما قال قوم هود: تستبعدون العذاب وتستبطئون العقوبة والهلاك: ﴿ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَٰذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾(٢).

ودعا نوح عليه السلام قومه فلم يجيبوا فامتنع المطر عنهم أربعين سنة، وكذلك أرحام النساء عقمت فلم تلد، فقال لهم عليه الصلاة و السلام كما حكى الله تعالى ذلك عنه بقوله تعالى: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴾(٣).

---

(١) سورة الشعراء، الآية [١٣٠-١٣٥].

(٢) سورة الشعراء، الآية [١٣٦-١٣٩].

(٣) سورة نوح، الآية [١٠-١٢].

عباد الله : إن اللجوء إلى الله تعالى ، والتوبة من الذنوب لَمِنْ سنن الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام ؛ فقال تعالى عن آدم وحواء عليهما السلام : ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[1] ، وعن نوح : ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾[2] ، وعن هود : ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ﴾[3] ، وعن صالح : ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾[4] ، وعن شعيب : ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾[5] ، وعن موسى : ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ﴾[6] ، وكان نبينا يأمرنا بالاستغفار ويخبر عن نفسه أنه كان يتوب إلى الله تعالى ويستغفره في اليوم والليلة مائة مرة فتوبوا إلى الله تعالى جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾[7] .

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

---

(١) سورة الأعراف ، الآية [٢٣].

(٢) سورة نوح ، الآية [١٠].

(٣) سورة هود ، الآية [٥٢].

(٤) سورة هود ، الآية [٦١].

(٥) سورة هود ، الآية [٩٠].

(٦) سورة الأعراف ، الآية [١٥١].

(٧) سورة الواقعة ، الآية [٦٨-٧٠].

الخطبة المائة:

استعمال الجوارح في طاعة الله

الحمد لله السميع البصير الحي القيوم، العليم القدير، أحمده سبحانه فهو ذو القوة المتين وأشكره على نعمه العظيمة وآلائه الجسيمة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أنعم بالسمع على ابن آدم؛ ليسمع به كلام الله تعالى وما ينفعه، والبصر؛ ليبصر آيات ربه ومخلوقاته الدالة على عظمته وقدرته، والفؤاد؛ ليعقل به أوامره ونواهيه، ويتفكر به في مخلوقاته فهو القائل: ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾(١) وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيد المرسلين وإمام المتقين، اللهم صلِّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه وجميع أتباعه السامعين الطائعين اللاجئين إلى رب العالمين.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى، واتقوا يوما يجمعكم فيه، ذلك يوم التغابن، وحينئذ لا ينفع المفرط ندمه، ولا تمنيه الرجعة ليعمل صالحا ﴿كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾(٢).

عباد الله: إن من تقوى الله تعالى التزام فعل أوامره واجتناب منهياته رجاء ثوابه، وخوفا من عقابه؛ فإن الله جل وعلا أرسل رسوله محمداً ﷺ؛ ليبين لنا طريق الجنة؛ فيسلكه من رغب فيها ووفقه الله تعالى لذلك، كما بين لنا طريق

---

(١) سورة الملك، الآية [٢٣].

(٢) سورة المؤمنون، الآية [١٠٠].

النار ؛ فيحذر سلوكه من يخافها ، والرسول ﷺ حريص كل الحرص على تحذيرنا من النار.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **(مثلي ومثلكم كمثل رجل استوقد ناراً فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب اللائي يقعن في النار وجعل يحجزهن ويغلبنه فيقتحمن فيها ، قال : فذلك مثلي ومثلكم أنا آخذ بحجزكم عن النار هلموا عن النار فتغلبوني وتقتحمون فيها)**. أخرجاه من حديث عبدالرزاق.

فاحذروا الإعراض عن أمر رسول الله ﷺ والميل عن سنته ، فمن أعرض ومال عن هديه فقد غلب رسوله ﷺ واقتحم إلى النار ، ومن أخذ بهديه كان ممن أخذ الرسول بحجزه وزحزحه عن النار ، فأصبح رفيقا لنبيه في الجنة ، فالله تبارك وتعالى قد حذر من مخالفة أمر رسوله ﷺ ، وتوعد بالعقاب على المخالفة ، فدل هذا على تحريم مخالفة رسول الله ﷺ وأن من خالفه فقد عرض نفسه للعقوبات التي قد تكون في الدنيا كالقتل ، والحد ، والسجن ، والإصابة في النفس والمال والولد ، وقد تكون في الآخرة إنْ سلم منها في الدنيا بالعذاب الأليم ، ثم إن كانت المخالفة فردية خفية فعقوبتها تخصه ، وإن كانت ظاهرة واضحة جماعية فقد تكون العقوبة عامة بقحط وجدب أو زلزال أو ريح تهلك الحرث والنسل ، أو مرض أو وباء يعم الجميع أو سلطان جائر ، وأعظم عقوبة يجب أن يخافها المخالف لرسول الله ﷺ الطبع على القلب واسوداده ، في ظلمة المعاصي فيرى المنكر معروفا ، ويرى المعروف منكرا ، فيشرك ولا يدري أنه مشرك ، ويعصي ولا يدري أنه يعصي ، ويبتدع ولا يدري أنه مبتدع ، فهذه أعظم

عقوبة ، إذا انعكس القلب وانقلب الفؤاد والبصر كأنه لم يؤمن بالقرآن والرسول ﷺ أول مرة ، فهذا يذره الله تعالى في طغيانه : يخوض ويلعب حتى يومه الموعود.

فاتقوا الله تعالى أيها المسلمون واشكروا نعم الله عليكم ولا تحركوا جوارحكم إلا في طاعة الله تعالى وشكر نعمه.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[1].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

(١) سورة النور ، الآية [٦٣].

الخطبة الحادية والمائة:

التحذير من الكذب

الحمد لله القائل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾(١) وأشهد أن لا إله إلا الله أمرنا بالصدق ونهانا عن الكذب ووعد الصادقين جناته وجزاءه العظيم، فقال: ﴿ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ ﴾(٢) وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين، وجهنا إلى كل فضيلة، وحذرنا من كل رذيلة، ووصفه ربه في القرآن قائلا: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾(٣) اللهم صلِّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وأصحابه الذين صدقوا ماعاهدوا الله عليه فكانوا في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

أما بعد: فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى، واتقوا اليوم الآخر، فمن اتقى الله تعالى بادر إلى طاعته واجتنب منهياته، ومن اتقى اليوم الآخر خاف من عقابه، وطمع في ثوابه.

ألا وإن مما يجب أن يحذره المسلم الكذب والتحيل على أخذ الأموال والحصول عليها من الأفراد وبيت المال، فكل ذلك حرام لا يصح الاستيلاء على شيء منه إلا على الوجه الشرعي ببيع، أو هبة، أو قرض، أو بذل صدقة، أو إعطاء في مقابل عمل أو دون مقابل سواء أعطيت الفرد بنفسه، أو أنها وضعت شروطاً لمن يستحق الأخذ كالضمان الاجتماعي، والتعويضات في مقابل التالفات بسبب هدم أو حريق أو غير ذلك.

---

(١) سورة التوبة، الآية [١١٩].

(٢) سورة الأحزاب، الآية [٢٤].

(٣) سورة القلم، الآية [٤].

وما جعلته الدولة من الشروط لقرض البناء عن طريق بنك التنمية العقاري يجب أن يتقيد المسلم بهذه الشروط ويصدق فيها، فالصدق هداية إلى النجاح والفلاح، والكذب هداية إلى الفجور والهلاك والخسران، فيحرم الكذب في قوله: ليس لي بيتٌ، والحقيقة أنه له بيت، وأن يعطي لأحد أولاده أرضا ليأخذ من البنك باسمه قرضا؛ لأن ذلك يترتب عليه كثير من المفاسد منها: أنه لم يعدل بين أولاده، ومنها إحداث النزاع والشقاق بين الولد وأبيه؛ لأنه ربما يطمع فيه بعد ذلك، ومنها أنه يأخذ باسم ولده فيحول بينه وبين الأخذ باسمه مرة أخرى، كما يحرم على المسلم أن يطلق زوجته؛ ليتحيل على اقتراضها من البنك مثلما يحرم عليها ذلك إذا وافقته، كما يحرم على المسلم أن يقرر أنه متزوج من أجل إعطائه قرضاً يبني به، ويحرم كذلك اشتراك اثنين في صك واحد، وهو في الحقيقة لواحد فقط، وكل ذلك -يا عباد الله- كذب وحرام، ويسمى غلول، والتحيل على الأخذ من بيت المال من غير طريقة مشروعة وهو ما يسمى بالغلول، ولا يقبل الله تعالى صدقة من غلول.

كيف بك -أخي المسلم- وأنت سوف تتصدق وتصلي وتطعم أولادك وزوجاتك وتصل أرحامك وأقاربك وتكرم صديقك وضيفك من هذا المال غير المشروع.

والله إنك لمسئول يوم القيامة ومعرض لخطر الفقر والعقوبات في الدنيا، ولا يخلصك بأن تقول: إنه مال الدولة أو من بيت المال ولي حق فيه، فليس يا أخي المسلم لكل فرد حق، فمن الناس من له الحق، ومنهم من ليس له ذلك، ثم إن من له حق لا يجوز أن يأخذه من غير إذن من له الولاية؛ فالله تعالى ولاه ووكل

إليه تصريفه فلا يجوز لأحد أن يأخذ من المال إلا فيما جعل له في مقابل عمل قام به، أو أعطي إياه شخصياً، أو انطبقت عليه شروط المقترضين المستفيدين، ولست يا أخي مسئولاً عن تصرف ولي الأمر في تصريف هذه الأموال، فالمسئولية مسئوليته؛ فإن أحسن التصرف فله ولرعيته، وإن أخطأ فالذنب عليه وجزاؤه على الله تعالى، وواجبنا أن ندعوا له بالتوفيق والسداد والرشاد في الأقوال والأفعال.

أيها المسلمون: يجب على كل مسلم منا أن يحسن النية وأن لا يشغل ذمته بشيء من الأموال إلا بطريقة مشروعة، وأن ينوي الوفاء ويسأل الله تعالى التيسير ويتحمل الله تعالى عنه يوم القيامة إذا عجز عن التسديد، والويل لمن تحيل على أخذ الأموال وساءت نيته في السداد والوفاء، ففي الحديث الصحيح: **(من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه، ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله)**.

فاتقوا الله تعالى أيها المسلمون، واعلموا أن المال ظل زائل والملك لله تبارك وتعالى يورثه من يشاء، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾(١).

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

(١) سورة آل عمران، الآية [١٦١].

الخطبة الثانية والمائة:

محبة المؤمن لأخيه

الحمد لله الغني الحليم، الحميد العليم، العفو الكريم، الغفور الرحيم، أحمده سبحانه لا يضيع أجر من أحسن عملا، وأشكره فهو ذو الفضل والإحسان على أهل التوحيد والإيمان بإدخالهم الجنة وإعتاقهم من النيران، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الكريم المنان، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي بعثته علينا منة من الرحمن، اللهم صلِّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه أهل العلم والعرفان ومن تبعهم بإحسان.

أما بعد:

فيا أيها الناس اتقوا الله تعالى، وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته، ويجعل لكم نوراً تمشون به، ويغفر لكم والله غفور رحيم.

واعلموا أنه من خصال الإيمان أن يحب المسلم لأخيه المسلم ما يحب لنفسه، من جلب الخير له، ودفع الشر عنه، ومن العمل بما ينفعه ودفع ما يؤذيه، وخصوصاً القريب والجار؛ ففي الحديث الشريف: **(لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)**.

فهو ﷺ ينفي كمال الإيمان ويحلف على ذلك، ويقول: **(والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى يحب لجاره، أو قال لأخيه ما يحب لنفسه)**.

فلو لم تكن هذه الصفة محمودة لما أكدها رسول الله ﷺ بالحلف.

ومعناه: أن تحب لأخيك من الطاعات التي ترضي الله تعالى ورسوله ﷺ ما تحب لنفسك، وأن تكره لأخيك ارتكاب المحرمات والمكروهات كما تكرهها لنفسك؛ لأنها تسخط الله تعالى ورسوله ﷺ، وأن تحب لأخيك من المباحات المأكولات والمشروبات والملبوسات، ما تحبه لنفسك بمعاونته على تحصيلها، وليس معناه أن تعطيه ما بيدك، فهذه صفة أخرى من صفات الخير وهي الإيثار على النفس إذا كان هو بحاجة.

أيها المسلمون: إن مما يحب المسلم لأخيه: أن يراه يحافظ على صلواته وطاعة ربه، وأن يبعد أذاه عنه لا سيما إن كان جارا: فلو سألت هذا المصلِّي عن ما يريد بصلاته؟ لقال: أريد رضا الله تعالى؛ ليدخلني جنته، ويعتقني من النار.

فالإيمان الكامل أن تحب ذلك لأخيك المسلم، ولو سألت أي مسلم: هل تحب أن تؤذي أحداً من جيرانك؟ لكان جوابه: لا، بينما بعضنا قد يؤذي جيرانه من غير ما مبالاة.

فما أعظم هذا الدين؛ حيث حرص على سلامة القلوب وترابطها، وما أوسع فضله؛ إذ يثيبك على نفعك لإخوانك المسلمين.

(خيركم أنفعكم للناس) من استطاع أن ينفع أخاه فلينفعه، ولا أنفع لأخيك المسلم من تعليمه الدين وأحكامه، وإعانته على طاعة الله تعالى؛ لأنها هي التي خلق من أجلها؛ ففيها سعادة الدنيا والآخرة؛ : ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[١].

فمن منع فضله عن أخيه أو ود لأخيه شرا، فقد انتفى عنه كمال الإيمان.

---

(١) سورة الذاريات، الآية [٥٦].

فاتقوا الله تعالى أيها المسلمون واقبلوا هدي نبيكم لكم، وارحموا إخوانكم المسلمين، فعلموهم وأرشدوهم، فهذه هي الرحمة، والراحمون يرحمهم الله. ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[1].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾[2].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

(١) سورة الأنبياء، الآية [١٠٧].

(٢) سورة التوبة، الآية [١٢٨].

الخطبة الثالثة والمائة:

مناسبة آخر العام

الحمد لله الذي جعل في انقضاء الأيام والأعوام عبرة وعظة: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾(١) وأشهد أن لا إله إلا الله هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله جاء بالهدى ودين الحق، اللهم صلِّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

أيها المسلمون: اتقوا الله تعالى حق تقواه، واعلموا أن من تقواه سبحانه وتعالى التفكر وإمعان النظر، والالتفات بالبصيرة والبصر، إلى قول رب البشر، ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ۝١٢ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ۝١٣ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾(٢).

وقوله: ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾(٣).

فالله خلق الزمان مركبا من ساعات وأيام وشهور وأعوام وكل ذلك عائد على الخلق بأجل المصالح، وأعظم المنافع، فمنها ضبط الحساب؛ لمعرفة الأوقات، وترتيب النظام؛ ليعمر الكون ويعيش الأنام؛ لابتغاء الفضل من الملك العلام؛ سعياً وكدحاً وتناولاً للطعام، والشراب وصنوف الإنعام، وطاعات لله من ذكر

---

(١) سورة ق، الآية [٣٧].

(٢) سورة الإسراء، الآية [١٢-١٤].

(٣) سورة النور، الآية [٤٤].

وصلاة وصيام، وزكاة وحج البيت الحرام، فهذه الليالي والأيام فرصة لمن وفق للاغتنام، وحقق طاعة ربه وشمر عن اللعب والهزل والأوهام، إلى معرفة الحلال والحرام، والعمل بالسنن والفروض وسائر الأحكام.

عباد الله: إن هذه العصور والدهور بأمر الله تعالى تأتي وتمضي، وهي لعمر الإنسان تطوي وبكل الخلق تنتهي: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾(١).

والأجل المسمى هو يوم القيامة، فهذه الدنيا مزرعة للآخرة، فلا بد للزارع أن يجني، وهي مطية يمتطيها صاحبها إلى الآخرة، والإنسان بعد ذلك إما في النار يهوي أو إلى الجنة يأوي: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾(٢)؛ لأن الليل والنهار خزينتان، فمن كنز فيهما خيرا وجده، ومن كنز فيهما شراً فلا بد أن يلقاه؛ وحينئذ فلا يلومن إلا نفسه إلا أن يمنح عفو مولاه، ورحمة الله تتولاه.

ونحن اليوم في آخر العام، فكم من نفس قبله قد انتهت، وكم من نفس أثناءَهُ بالمنية قد فوجئت، فأرواحهم إلى السماء علت، أو إلى أسفل سافلين هبطت، والعاقل منا من راجع نفسه اليوم، قبل أن يعرض على الله فيندم ولا ينفع الندم: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾(٣).

---

(١) سورة لقمان، الآية [٢٩].

(٢) سورة الشورى، الآية [٧].

(٣) سورة ، الآية [٥٦-٥٩].

أيها المسلم: راجع نفسك على أي شيء تطوى صحائفك هذا العام، واحذر الغفلة؛ لعله لم يبق من عمرك إلا ساعات أو أيام، فالحسرة كل الحسرة على من انقضى عمره، وهو على تماديه وغفلته قد أقام، ووافاه أجله وهو مكب على المعاصي والآثام، ويا بشرى لمن قام على الدين واستقام: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾(١).

فشتان ما بين متعرج في الطريق أو سالك له على انتظام: ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(٢)، فاتقوا الله عباد الله، واستدركوا بقية أعماركم؛ فالعمر ينصرم سَنَةً بعد سَنَةٍ، والغافل عما يراد به في سِنَةٍ يملأ صحائفه بالسيئات، فراجع نفسك يا أخي، وعد إلى ربك، واسأله التوبة النصوح، واغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل مرضك، وغناك قبل فقرك، وحياتك قبل موتك، ودنياك قبل آخرتك.

أعوذ بالله من الشيطانه الرجيم ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾(٣).

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

---

(١) سورة الروم، الآية [٣٠].

(٢) سورة الملك، الآية [٢٢].

(٣) سورة الإسراء، الآية [١٣-١٤].

فهرس الموضوعات